بيت الحكمة

دراسة في الادارة المدنية في العصر العباسي

الوزارة إنموذجا ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ ـ ٥٩٠ هـ/١١٩٤

تأليف
كارلا ال كلاوسنر
Carla L. Klausner
مركز دراسات الشرق الاوسط
جامعة هارفرد

ترجمة وتعليق
الدكتور عبد الجبار ناجي

بغداد ٢٠٠١

http://www.al-maktabeh.com

دراسة في الادارة المدنية في العصر العباسي

الوزارة إنموذجا ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥ - ٥٩٠هـ/ ١١٩٤

تأليف

كارلا ال كلاوسنر
Carla L. Klausner
مركز دراسات الشرق الاوسط
جامعة هارفرد

ترجمة وتعليق

الدكتور عبد الجبار ناجي

اسم الكتاب : دراسة في الادارة المدنية في العصر العباسي (الوزارة انموذجا ٤٤٧هـ/١٠٥٥ م - ٥٩٠هـ/١١٩٤م)

اسم المؤلف : كارلا ال كلاوسنر

ترجمة وتعليق : الدكتور عبد الجبار ناجي

الناشر :بيت الحكمة /بغداد ٢٠٠١

الطبعة : الاولى

حقوق الطبع محفوظة للناشر :

بيت الحكمة -العراق-بغداد -باب المعظم -ص.ب. (٥٣٦٤٠)هاتف - ٤١٤٠٠١٥/٤١٤١٢٠١ فاكس ٨٨٦٣٠١٥

E-Mail:hikma@uruklink.net

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقاومة الأديان

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

محتويات الكتاب

١-مقدمة المترجم..... ٥

٢-مقدمة المؤلفة: اشكالية الدولة الاسلامية في اسيا الغربية ١٩

٣-الفصل الاول: النظام الاداري والسياسي ٢٩

أ-تمهيد.... الاتجاه نحو اللا مركزية..... ٣١

ب-السلطة المركزية والاقليمية..... ٣٩

-المؤسسة العسكرية ٣٩

-الادارة المدنية: الدواوين الرئيسة وموظفوها ٤٢

-نظام الاقاليم ٤٩

-مخاطر انقسام السلطة ٥٢

جـ-دور العلماء والقضاة كموظفين اداريين ٥٣

د-العلاقة بين الخليفة والسلطان ٦١

هـ-استنتاجات ٧٣

٤-الفصل الثاني: الوزير ومنصب الوزارة: ٧٧

ا-المقدمة: ٧٩

ب-مهمات الوزير: المالية، العسكرية، الدينية في المناسبات، المحسوبية ٨٢

جـ-تجنيد الوزراء ١٠١

-الطبقة البيروقراطية ١٠١

-الفئات الاجتماعية والاقتصادية الاخرى ١٠٥

-الاعتبارات الجغرافية ١١٢
-استخدام الموظفين السابقين ١١٧
-تشابه موظفي الخليفة والسلطان ١١٨
-مشاكل الملاك الوظيفي ١٢٠
د-ثقافة الوزير وتدريبه ١٢١
- المدرسة انموذجا ١٢١
-انماط ثقافية اخرى ١٢٨
-عدم كفاية التعليم في تنمية روح النظام والقيادة للمارسة الادارية ١٣١
هـ-خلفية الوزير الثقافية والدينية واهتماماته ١٣٥
و-امتيازات الوزير ومخاطره ١٣٩
ز-استنتاجات ١٤٥
٥-الفصل الثالث: الوزير ومنصبه(التدخل الخارجي) ١٥١
ا-المقدمة ١٥٢
ب-تدهور وزارة السلطان ١٥٤
جـ-التدخل العسكرية في اداء الادارة المدنية ١٦٣
د-استنتاجات ١٧٣
٦-ملاحق
-قائمة باسماء الخلفاء خلال هذه المرحلة ٢٢٢
-شجرة انساب البيت السلجوقي ٢٢٣
-الوزراء والاداريون للسلاطين السلاجقة في العراق ٢٢٤

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

مقدمة المترجم

(دراسة في الادارة المدنية في العصر العباسي الاخير: الوزارة انموذجا)

كان الهمّ الاساس الذي دفع بافلاطون الى وضع الخطوط الاساسية للمجتمع المثالي الذي تخيل تحقيقه على بساط الواقع اليوناني او غير اليوناني في جمهوريته هو تحقيق او تحقق العدالة التي رآها كجزء لا يتجزأ من الفضيلة بل هي الفضيلة عند البشر. وعن طريق الفضيلة والتسامي الروحي يتطلع الانسان الى الخير والصلاح. وكذا كانت قبل افلاطون بكثير فلسفة العراقيين في القوانين الاصلاحية التي دون ملوكهم العظام بنودها وموادها على مسلاتهم الحجرية، فبنودها في اغلبها تنزع الى الهدف المنشود الذي ناضلوا لاجل تحقيقه في مجتمعاتهم الا وهو العدالة والخير الصالح. وما سطّره ارسطو في رسالته(السياسة) عن الدولة وفلسفة وجودها ان هو الا تعبير اخر عن هذه الوجهة التي يتمنى المرء وجودها في تحقيق الحياة الرغيدة الآمنة.

والفيلسوفان، افلاطون وارسطو، وهما يتأملان اريج العدالة الفوّاح، قدما اراء متقدمة في السياسة المدنية وفي تنظيم دولة المدينة

مكتبة المهتدين الإسلامية لتقارب الأديان

وان كان ذلك على الصعيد المثالي الذي يصعب مناله وتحقيقه او تطبيقه كما اعتقداه في مجتمع صغير جدا لا في دولة واسعة* .

والنهضة العربية الاسلامية هي الاخرى قد انجبت علماء ومفكرين انشغلوا كثيرا في تخطيط مثل هذا البناء في مجتمع المدينة الفاضلة اذ وضعوا نصب اعينهم تحليل فلسفة الدولة واهداف وجودها، فألّفوا في هذا العلم عددا من المصنفات بعضها تاملي والاخر تطبيقي، فهذا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر والي شرطة بغداد يضع كتابا او رسالة عنوانها(السياسة الملوكية)(ابن النديم: الفهرست/ طبعة رضا نجدد ص١٣١)، وتاثر العالم العربي الكندي بارسطو فصنف عدة كتب في هذا الميدان منها رسالة(في السياسة الكبرى) التي يبدو انه حاور فيها سياسات ارسطو، وألّف رسالة اخرى عنوانها(في السياسة العامة) (ابن النديم ص٣١٩). كما صنف تلميذه احمد بن الطيب السرخسي كتابا او رسالة اسماهما(كتاب السياسة الكبير) وكتاب(السياسة الصغير) (ابن النديم ص٣٢٠-٣٢١). وألّف ابو زيد البلخي المعروف بتصنيفه الكتب على طريقة الفلاسفة كتابا سماه(كتاب السياسة الكبير)(ن.م.ص١٥٣)، كما صنف الامير العجلي ابو دلف كتابا بعنوان(كتاب سياسة الملوك) (م.ن. ص١٣٠)، والف ابن قتيبة كتابا-قيل منسوب اليه- هو الامامة والسياسة. كما ألّف الفيلسوف الفارابي(رسالة في السياسة) مطبوعة

---

* ينظر، افلاطون: جمهورية افلاطون(نقلها الى العربية من الانجليزية حنا خباز/ طبعة ثالثة مصر /المطبعة العصرية ص٦-٧؛ ارسطوطاليس : السياسة(نقلها احمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية ١٩٤٧) الفصل الاول. د. محمد كامل ليلة: النظم السياسية(الدولة والحكومة) القاهرة ١٩٦٧، ص٢٠،٢١.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وكتابا اخر مطبوعا هو(السياسة المدنية). هذا قليل مما صنفه العلماء العرب في المسالة الكبرى- العدالة المدنية- في القرنين الثالث والرابع الهجري قبل ان يتألّق ابو الحسن علي الماوردي في القرن الخامس الهجري في الاسهام بالكتابة عن الفكر السياسي الاسلامي او في السياسة المدنية في كتابه(الاحكام السلطانية والولايات الدينية) وكتابه الاخر(ادب الوزير) ليصبح مجالا او ميدانا للعطاء المتواصل في هذا العلم فصنف ابن ابي الربيع كتابه القيم(سلوك المالك او السالك في تدبير الممالك).

والامام محمد بن محمد الغزالي(التبر المسبوك في نصيحة الملوك)، وألّف محمد بن علي بن الازرق كتابا عنوانه(بدائع السلك في طبائع الملك). ووضع الطرطوشي كتابا اسماه(سراج الملوك). والجدير عدم اغفال ما صنفه الوزير السلجوقي ذائع الصيت نظام الملك في هذا المجال وهو كتاب سياسة نامه. كما لا تخلو مقدمة العلامة ابن خلدون من اهمية في هذا الباب.

يقول ابن خلدون في(حقيقة الملك) ويقصد بالملك الدولة انه"منصب طبيعي"(فالبشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم... . واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المفاضلة واقتضاء الحاجات ومدّ كل واحد منهم يده الى حاجته باخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض... فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم) (المقدمة طبعة دار صادر/بيروت/ص١٤٨) لذلك فان

ابن خلدون يُذكّر باهمية وجود هذا الضابط المنظم في السياسة المدنية فيقول"اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله او ملاحة وجهه او عظم جسمانه او اتساع علمه او جودة خطه او ثقوب ذهنه وانما مصلحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية... فحقيقة السلطان انه المالك للرعية القائم في امورهم عليهم. فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان" (المقدمة ص١٤٩). ويصرح ابن خلدون بفكرة العدالة الافلاطونية وتحقيق الحياة الرغيدة الارسطية باستعماله مصطلح(الرفق)، فهي النعمة على الناس والمدافعة عنهم(فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك)وان النعمة عليهم-أي على الناس- والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية.." (م.ن. ص١٤٩). فالسياسة المدنية عند ابن خلدون لا تكمن تحديدا بالسلطان ذاته انما بالوظائف السلطانية(حسب تعبيره) فهذه الوظائف"مندرجة تحت الخلافة لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا" (م.ن. ص١٨٦) ثم يفصل ابن خلدون مهمات هذه الوظائف فيقول:"فالاحكام الشرعية في سائر وجوهها لعموم تعلق الحكم الشرعي بجميع افعال العباد والفقيه ينظر في مرتبة الملك والسلطان" (م.ن. ص١٨٦). وان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة هي:-

١. اما ان تكون في حماية الكافة واسبابها في النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير.
٢. واما ان يكون في امور مخاطباته وتنفيذا اوامره وهذا هو الكاتب.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٣. واما ان تكون في امور جباية المال وانفاقه وهذا هو صاحب المال والجباية.

٤. واما ان يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عن السلطان لئلا يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه، ويخلص قائلا بانه لا تعدو احوال السلطان هذه الوجوه الاربعة (ص١٨٧).

***

بهذا المعنى تعامل ايضا ابن ابي الربيع في كتابه سالف الذكر الذي سبق المقدمة في الحقبة الزمنية، فاركان المملكة عنده تقوم على اربعة:-الملك، الرعية، العدل، التدبير. وسياسة الملك تستند الى اربعة اركان ايضا هي:- سياسة الملك نفسه، ثم سياسة بدنه، ثم سياسة خاصته(بمعنى سائسي المملكة)، واخيرا سياسة جمهور الرعية(سلوك المالك تحقيق د.ناجي التكريتي/بغداد ١٩٨٠) (ص١٧٦-١٨٠).

اما بخصوص ما يخص الملك من الاتباع والانواع التي لا يستغني عنهم، فاولهم وزير عالم، وكاتب عارف، وحاجب عاقل، وقاض ورع، وحاكم عادل، وعامل جلد، ومال متوفر، ورب شرطة، وجند اقوياء، وحكيم مجرب، وجليس صالح، وصاحب الطعام والشراب(م.ن. ص١٩٢-١٩٣) فيقول"اعلم انه لا بد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير على نظم الامور، ومعين على حوداث الدهور، يكشف له صواب التدبير. فالوزير هو الشريك في الملك،

المشير فيه، يحفظ اركانه المدبر بالقول والفعل اركانه".(م.ن. ص١٩٢-١٩٣).

ويقدم ابن ابي الربيع خلاصة لاوصاف الوزير العالم العادل وهي:-

١. ان يكون حسن العلم بالامور الدينية، حسن العقل.
٢. شديد الحلم جميل الصفح ما لم يضر بالسياسة.
٣. حلو اللسان بليغ القلم ليخاطب الملوك.
٤. حميد الاخلاق اديب النفس.
٥. معمور القلب بالنصيحة معتقد الخير والصلاح.
٦. قليل اللهو، بطيء الغضب، كريم الطبع.
٧. كتوم السر صبورا محتملا.
٨. صحيح الجسم والرأي جيد الفكر(م.ن. ص١٩٤-١٩٥).

على وفق هذه الرؤى تناولت الاستاذة كارلا كلاوسنر موضوعها في الادارة او السياسة المدنية في العصر العباسي المتاخر متمثلة بمؤسسة الوِزارة عبر حقبة زمنية امتدت من سنة دخول السلاجقة عسكريا بغداد السلام ومن ثم تقويضهم الدولة البويهية المسيطرة على العراق منذ سنة ٣٣٤هـ. ففي عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥ دخل طغرلبك سلطان السلاجقة بغداد، فبدأ عهد التسلط السلجوقي الاجنبي الاخر للعراق حتى سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤ اذ نجح الخليفة العباسي الناصر لدين الله في هذه السنة في القضاء على اخر سلطان سلجوقي/ طغرل الثالث في معركة فاصلة معلنا بذلك انهاء عصر التسلط السلجوقي.

لقد واجهت الخلافة العباسية في بغداد العديد من التحديات الداخلية والخارجية بعد مدة وجيزة من تاسيسها، غير ان تحديات الغزو الخارجي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

المتمثل بنزوح شعوب بدوية رعوية من اطراف المشرق الاسلامي يُعَدُ بحق من اخطر التحديات التي كادت تقوض اسس مؤسسة الخلافة العباسية والسياسة المدنية والادارية التي ورثت عناصر الثبات والديمومة منذ القرن الاول للهجرة.فكانت الظروف العامة في عموم المنطقة الممتدة حول بحر قزوين وشرقا الى ما بعد نهر سيحون مهيئة سياسيا، بالدرجة الاساس، الى ظهور عدة قوى- ربما كانت بدايات ظهورها خاضعة لفعل عوامل ادارية- سياسية والاشارة هاهنا الى الامارات الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية في بلاد سجستان وخراسان وما وراء النهر-. فالخلافة العباسية اختارت لاسباب عدة خيارا من المحتمل انها وجدت فيه حلا موفقا او بالاحرى ملائما للمشاكل التي تواجهها داخليا او نتيجة لسعة امتداد الامبراطورية العربية مترامية الاطراف التي يصعب كثيرا ادارتها حسب الصيغة المركزية وذلك عن طريق تعيين ولاة وعمال من المتنفذين او المتطلعين بمنحهم كيانات شبه مستقلة في بداية المرحلة مع انها بمرور الزمن اغتنمت الفرص فتحولت الى امارات قوية مستقلة بعضها كالطاهريين كوّن تهديدا للعباسيين انفسهم. فركنت الخلافة العباسية الى هذا الحل بان تتعامل هذه الامارات الاسلامية مع شؤون مناطق نفوذها الداخلية والخارجية بما له علاقة بالممالك التي ظلت تدين بالديانات الشامانية والوثنية المتاخمة لحدود الدولة السامانية الشرقية والتي كانت تتربص بهذه الامارة والامارات الاخرى وتتحين الفرص للانقضاض عليها، وكذلك لتتعامل بما تمليه عليها الظروف مع الموجات البشرية المهاجرة من تركستان صوب نهر سيحون والمتحفزة للانسياح في المراعي من سهوب بلاد ما وراء

النهر، فقد كانت هذه القبائل الرعوية مضطرة بفعل العوامل الاقتصادية الضاغطة جدا وازدحام ديارهم وضيق مراعيهم، كما يرى الراوندي* في كتابه راحة الصدور الى الهجرة الواسعة الى حوض نهر سيحون وهم يتدافعون فيما بينهم بحث الخطى واستثمار امارات وعلامات التدهور والانحلال التي تشهدها الدولة السامانية في ايامها الاخيرة لعبور النهرين سيحون وجيحون الى الغرب حيث المساحات الواسعة من المراعي الخضر الفسيحة في عموم المشرق الاسلامي وصولا الى اراض العراق وبلاد الشام.

انهاً حكمة التاريخ وقانونه من ان تتهيا لهذه الحشود البشرية من القبائل الغزّية من السلاجقة الاتراك ومن القبائل التركمانية التي انضوت تحت لوائها ظروف تكاد لا تصدق. فهناك دولتان اسلاميتان قويتان قد اثبتتا تفوقا ونجاحا مقتدرا في الجانب العسكري وفي رد هجمات واعتداءات القراخانيين من قبائل القارلوق التركمانية ومن الاليخانيين. لكن قانون التاريخ قد فرض تخاذل هاتين القوتين امام زحف القبائل الرعوية التي لم تكن تتطلع في بداية هجرتها الى سياسة او ملك انما تبحث عن الكلأ والمرعى. فيقول البنداري في تاريخ دولة ال سلجوق ان هذه القبائل الغزّية لم تكن تألف الحياة الحضرية لانها دأبت على حياة الترحل والتنقل طلبا للرزق وانتجاعاً لسهول الكلأ والمرعى** . وبعد ان تحقق لها ذلك بدأت مرحلة جديدة باعتناق السلاجقة الديانة الاسلامية

---

* الراوندي، راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية(ترجمة د. عبد المنعم حسنين مصر ١٩٦٠) ص١٤٥.

** تاريخ دولة ال سلجوق ص٧.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

واقبالهم على الدين الحنيف بحماسة ورغبة، وبعد ان كسروا شوكة الغزنويين العسكرية وازالتهم من المسرح السياسي في المشرق واجهوا تحديا حضاريا، اداريا وسياسيا واجتماعيا وحضريا، اذ ان المنطقة التي انتشروا فيها كانت مزدهرة بازدهار الحضارة العربية الاسلامية. والمنطق هنا لا يتخذ موقفا وسطا اذ لا تعايش على المدى البعيد بين الحياة الرعوية المتنقلة والحياة الحضرية المستقرة، فاما العودة الى البداوة والنمط الرعوي وهو امر غير مقبول منطقيا واما التعايش مع الاستقرار. وكان الاغراء كبيرا بالنسبة الى السلاجقة بان يتعايشوا مع هذا التحدي وان يتبنوا ما يمكن تبنيه حضاريا وبالاخص المفاصل التي يحتاجون اليها كثيرا. فانهم بحاجة ماسة في هذه المرحلة الى تنظيم ونظام لفك تشابك الصراع القبلي بينهم من جهة وبينهم وبين اتباعهم من جهة اخرى، وانهم بحاجة الى تهذيب افكارهم وممارساتهم فالبداوة تعادل التوحش والقسوة واللا حضرية. وعلى هذا اعتمدوا السياسة المدنية التي وضع العرب اسسها من مؤسسات ادارية ونظم سياسية. ولتنفيذ ذلك قرّبوا عددا من الشخصيات المتمرسة في السياسة المدنية حتى وان كان بعضهم ممن خدم اعداءهم من البويهيين والغزنويين وغيرهم.

ومن الجانب الاخر كان السلاجقة قبائل تميزت بالاتجاه العسكري الحربي عندئذ ليس من السهل عليهم ان يتحولوا بين ليلة وضحاها عن هذا النمط من الحياة سواء كان ذلك الامر بين انفسهم كزعماء للبيت السلجوقي الذي تملك وتنفذ سياسيا وعسكريا ام بين صفوف افراد قبائلهم ممن زحف وراء قياداتهم لينتشروا في الاراضي الفسيحة

منتفعين من نجاحاتهم في اقاليم غنية واسعة. ولعل الزعماء السلاجقة(السلاطين) قد وجدوا- وهم على صواب- ان لا سبيل الى اقرار هذه القبائل والسيطرة عليها الا باشغالها وتحفيزها بالفتح دوما. انهم كما راينا في قول البنداري كانوا يأنفون حياة الحضر وحياة الاستقرار، لذلك فقد نهجوا منذ اول انتصاراتهم سياسة عسكرية جاءت في الواقع بنتائج باهرة للاسلام انها سياسة اعلان الجهاد ضد الممالك الكافرة في الجهات الشرقية وضد الدول الاوربية المحاذية لطريق تقدمهم العسكري ولمناطق نفوذهم في ارضروم والتخوم الارمنية ولا سيما بعد ان حققوا انتصارا مذهلا في معركة ملاذكرد او كما سماها ياقوت الحموي بلاسكرد او بلازكرد(معجم البلدان/ دار صادر بيروت جـ١ ص٤٧٦)، ثم بعد ذلك ضد الحملات الفرنجية(الصليبية) في بلاد الشام ولاسيما الحملة الصليبية الاولى.

لقد نجحت الاستاذة الباحثة مؤلفة الكتاب في تصوير هذه الثنائية المتصارعة في بنية السلاجقة الاجتماعية والتراثية، تلك الثنائية التي أدت في نهاية المطاف الى انحلال سيطرتهم وضعفها ذاتيا وبصورة سريعة.

فلان السلاجقة اسسوا حياتهم على النمط العسكري فحسب فكانوا شاهرين سلاحهم دائما درأً للاخطار وتثبيتا لهيمنتهم والضرب بقوة على من يقف في طريق توسعاتهم وعملياتهم العسكرية، وقد اوجد هذا الاتجاه العسكري طبقة او فئة عسكرية استخدمت السلاح للحفاظ على امتيازاتها الكثيرة واقطاعاتها ضد بعضهم بعضا لاثبات شرعية كل طرف من اطراف النزاع ضمن البيت السلجوقي، وحصل نتيجة ذلك انقسام

from www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

امبراطوريتهم الى دويلات متنازعة في اغلب الاحيان متخذة مسميات اقليمية نظير سلاجقة ايران او سلاجقة العراق او سلاجقة الروم وغير ذلك والى اتابكيات هي نتيجة مباشرة لهذا المفهوم العسكري الاستبدادي فالاتابك هو الشخص العسكري الذي يختار من السلطان الاب للاشراف على تربية ورعاية امير سلجوقي قاصر لم يبلغ سن السلطنة لكنه يمنح حكم اقليم ما، وبمرور الزمن يتحول الاتابك الراعي والمشرف الى ملك وحاكم فعلي لامارة يتزعمها باسم اتابكية هذا الاقليم او تلك المدينة كاتابكية الموصل او اتابكية اربيل وغيرها.

في الان نفسه فلأن السلاجقة قد انصرفوا كلية الى الشان العسكري صار من البديهي ان يعتمدوا كلية على اداريين نابهين وأكفاء فكريا واداريا من الذين نهلوا من الثقافة العربية الاسلامية وممن تدرب على النظم الادارية والسياسة المدنية في الدولة العربية الاسلامية وبذلك ساعدوا على ايجاد فئة او لنقل طبقة بيروقراطية ادارية متمرسة استطاعت ان توجه السياسة المدنية توجيها منطلقا من فلسفتها الخاصة وفهمها الاداري في السياسة العامة. ويتزعم هذه الفئة الوزير ويدور في فلكه اصحاب الدواوين والصدور والاكابر من الموظفين والكتاب. لذلك بهدف تقوية هذا البناء البيروقراطي في الادارة المدنية سعى نظام الملك الوزير نافذ الرأي للرعيل الاول من السلاطين السلاجقة الى بناء مدارس النظاميات على وفق المذهب الشافعي لتدريس المذهب ودروس اخرى في اللغة العربية والادب العربي وشؤون الادارة وعلوم الحساب لتخريج دفعات من الطلبة الاداريين يغذون الماكنة الادارية للطبقة البيروقراطية. يقول البنداري ما نصه بشان خطة نظام الملك الادارية ان

نظاما "في ايامه نشا للناس اولاد نجباء وتوفر على تهذيب الابناء الابـاء ليحضروهم في مجلسه ويحظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل احد لمنصـب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل. ومتى وجد في بلدة قـد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفا وجعل فيـها دار كتب" (تاريخ دولة ال سلجوق ص٥٩). فحققت سياسة نظام الملك بعيـدة النظر هذه نتائج مذهلة على صعيد السياسة المدنية وثباتها امام تحديـات الفئة العسكرية في صراعها المحتدم.ولكنها في المقابل لم تحقق ما كـان نظام الملك يصبو اليه في تحقيق العدالة والخير والصـلاح، اذ انشـغل هؤلاء في صراعهم مع اولئك العسكريين من جهة كمـا انشـغلوا فـي نزاعاتهم الداخلية المدفوعة بدوافع الحسد والحقد والضغينـة والمنفعـة المادية.

ويبين البنداري نجاح نظام في بناء الادارة المدنية(وفي عصره نشـا طبقات الكتاب الجياد وفرعوا المناصب وولوا المراتب ولـم يـزل بابـه مجمع الفضلاء وملجأ العلماء. وكان نافذا بعيدا ينقب عـن احـوال كـل منهم ويسال عن تصرفاته وخبرته ومعرفته. فمن تفرس فيه صلاحيـة الولاية ولاه، ومن رآه مستحقا لرفع قدره رفعـه واعـلاه، ومـن رأى الانتفاع بعلمه اغناه ورتب ما يكفيه من جدواه حتى ينقطع الـى افـادة العلم ونشره وتدريس الفضل وذكره. وربما سيره الى اقليم خـال مـن العلم ليحلى به عاطله ويجبى به حقه ويميت باطله) (تاريخ ال سـلجوق ص٥٩).

واتسم هذا العصر ايضا باستجابة الخلافة العباسـية الناجحـة لـهذا التحدي العسكري السلجوقي اذ انجبت الخلافة خلفاء عـاهدوا انفسـهم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

على التجديد والعمل والتالق دينيا وفكريا واداريا وسعوا سعيا دؤوبا لتحقيق العدالة للمجتمع والاستعانة بنفر من الوزراء الاخيار الذين تمتعوا بارادة قوية للبناء الجديد في السياسة المدنية في مواجهة السلاجقة.

فنهض الخلفاء العباسيون منذ عهد الخليفة المسترشد بالله فصاعدا لاستكمال هذا البناء وتثبيت اركانه فمنهم من استشهد وهو يؤدي دوره المسلح ضد السلاجقة بينما ظل من بقي يعمل الواحد بعد الاخر كالراشد والمقتفي والمستنجد والمستضيء والناصر حتى اكتمل الاستعداد وتجديد البناء فضرب الخليفة الناصر ضربته بدك معقل السلطان السلجوقي(دار المملكة الكائن في محلة المخرم العلوازية العيواضية الحالية) سنة ٥٨٣هـ معلنا انتهاء مرحلة السيطرة السلجوقية العسكرية وابتداء عهد الادارة المدنية المتمثلة بمؤسسة الخلافة وتوابعها من مؤسسات ادارية تحت اشراف الخليفة.

لقد اعتمدت الباحثة مصادر اساسية متنوعة واظهرت قدرة ممتازة على تفهم النصوص العربية معقدة التركيب منها على وجه الخصوص النصوص الواردة في كتاب احياء علوم الدين للامام محمد الغزالي، وهي نصوص بليغة عن العلاقة بين العلماء والسلطان. وكذلك النصوص السجعية التي لخصها البنداري من كتاب العماد الاصفهاني.

واظهرت معرفة جيدة باللغة العربية ولغات اخرى كالفارسية والفرنسية. وكما انها نجحت في توظيف هذه النصوص التاريخية في تاشير فلسفتها من الكتاب.

نسال الله تعالى التوفيق والفلاح في ترجمة هذا الكتاب الذي يعد اضافة نوعية الى مكتبة المؤلفات الحديثة عن تاريخ الخلافة العباسية، وعن السياسة المدنية خاصة. ولبيت الحكمة المعطاء كل تقدم وتألق على تشجيعه المستمر في نشر وترجمة الكتب القيمة.

المترجم

أ.د. عبد الجبار ناجي

مايس ٢٠٠١

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

مقدمة المؤلفة

اشكالية الدولة الاسلامية في آسيا الغربية

ان السمة البارزة للاسلام في حقبه الاولى كانت في نجاحه السريع والواضح. فضلا عن ذلك فان الاسلام على خلاف النصرانية قد ظهر في مجتمع خال من الدولة[1]. وقد استدعى هذا النجاح وجود مؤسسة سياسية جديدة، فالعقيدة الدينية- لما لا يقل عن مدة قرن- كانت متجسدة في أية مؤسسة اجتماعية منها عدا ما يمثل المؤسسة الخاصة بالدولة(او الحكومة). ولقد مهدت وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الطريق امام ظهور تدريجي للخلافة كونها المؤسسة السياسية للاسلام.

لقد ضمنت الحرب الاهلية الاولى امرين: ضمان وجود الخلافة وامر المحافظة على الايدلوجية التي تمثلها ضد التأكيدات المحددة للاستقلال القبلي، النظرة القبلية التي تؤكد على الاستقلال الذاتي للقبيلة- أي العصبية القبلية. وعلى الرغم من ان الامويين قد اعترفوا بالمطالب الاخلاقية والمعنوية لايدلوجية الدولة، ولذلك مكنوها على البقاء وعلى ان تجسد نفسها في مؤسسات اجتماعية جديدة فان مؤسساتهم السياسية بالضرورة كانت مستندة الى اسس ابتعدت عن المبادىء الاسلامية والاهداف الاسلامية وحتى بدت معارضة لها. فقد اصبح من الواضح وبصورة متزايدة انه بامكان مؤسسة الخلافة ان تبقى وتستمر لتصبح مؤسسة حكم مؤثرة فقط عندما اصبحت حقيقة

اسلامية ممثلة لمجتمع كان يتقدم ويتطور في مؤسساته على قيم جديدة.

وكانت الثورة العباسية تعبيرا عن الحاجة الملحة الى إحداث مؤسسة حكم منسجمة مع مبادىء الايدلوجية- ايدلوجية الدولة- فالامبراطورية العباسية كانت بالتاكيد امبراطورية اسلامية- بالنسبة الى المسلمين- من دون تمييز عرقي. وفوق ذلك فبسبب انتحال الخلفاء القابا ذات بعد روحي وديني قد جعلوا تلك السياسة التي تربط بين الزعماء الدينيين(العلماء) والفقهاء من جهة بقوة مع نظام الحكم. وكان بمقدورهم في الاقل بداية ارضاء شعور المسلم بطريقة لم يستطع الخلفاء الامويون القيام بها من قبل. ومع ذلك فقد اصبح واضحا، بعد مدة قصيرة، ان الفقهاء سيواجهون متاعب ومصاعب في أية محاولة لانشاء او صياغة حكومة اسلامية انموذجية اعتمادا على الحديث وذلك لانه ليس من الممكن الاستغناء عن مؤسسات غير اسلامية أي اما بالتحول او بتقليد انظمة الحكم السابقة او بادخال تجديدات ضرورية فيها. اما من الجانب الاخر فان العرض المعروف جيدا الذي وضعه ابن المقفع الكاتب العباسي والذي يفيد ان الخليفة نفسه هو الذي يقرر وينظم بان السنة النبوية(التي يقصد بها الطريقة والقيم) ما هي الا ذريعة لسيطرة الدولة على الدين والشريعة. تلك الفكرة التي رفضها الخليفة المنصور كونها ادعاء كبيرا جدا للسلطة الدنيوية. فالشريعة عندئذ بدأت بالتطور تلقائيا على مستوى النظرية وخارج نطاق الواقع السياسي. ومع ان الفقهاء قد نوشدوا الى تكييف الايدلوجية الى ممارسات نظام الحكم العباسي وسياساته، فان

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

المسلمين او علماء المذاهب الاسلامية رفضوا الانصياع الى هذا المطلب او الانجرار الى تعاون قريب مع الدولة. والواقع فقد كانت المؤسسة الدينية المتنامية مستقلة فعلا عن دعم المؤسسة السياسية، التي اصبحت منعزلة عنها بصورة متزايدة خلال العصر العباسي.

وعلاوة على ذلك فانه لما اصبحت المؤسسة البيروقراطية- الادارة- مجردة من القيم الاخلاقية الاسلامية وعندما اصبحت البنية العسكرية كيانا مستقلا تماما وهو كيان غريب عن بقية السكان فقد بدأت هذه المؤسسات ايضا لقوى مستقلة ذاتيا مهددة للاداء الوظيفي الموائم للدولة. وبايجاز فانه يمكن القول ان الخلافة العباسية انهارت لانها صارت تدريجيا بعيدة عن تلك الاسس التي استندت اليها قوتها في الاصل ففقدت السيطرة على تلك النظم[٢].

ان انحلال الامبراطورية العباسية قد اشر وابرز فشل مؤسسة الخلافة كمؤسسة سياسية اسلامية[٣]. ان تهاوي الخلافة العباسية، على اية حال، لا يعني بانه ليس هناك مجال الى الاسلام او الاهداف الاسلامية في الحياة السياسية في اسيا الغربية. وكما ذكر البنداري: ان كل ما فعلته الخلافة العباسية هو طرح المسألة بشأن كيف يمكن فهم وادراك والمحافظة على الاسلام من جهة وقوة الامارات الجديدة في ظهورها[٤] من جهة ثانية.

اظهر قرن من الفوضى والاضطراب السياسي والاداري تحت حكم البويهيين فشلهم المعنوي والعملي، اما في حل والغاء تلك المؤسسات التي تحدت الوضع العباسي وإما في التوصل الى تفاهم معها بالطريقة التي كان في ايجاد او تأليف حكومة مستقرة ومؤثرة على وفق اسس

جديدة. ان افلاس السلطة البويهية في اسيا الغربية قد مهد الطريق نحو ارساء منهج جديد للمذهب السني وارساء موقف جديد من مشكلة السلطة الاسلامية تحت حكم السلاجقة الاتراك.

فلقد ورث السلاجقة امبراطوريتهم الجديدة بالمصادفة الى حد ما. ولذلك فان اسهامهم لم يتبين فقط من خلال مجموعة من المميزات والمواقف الخاصة اصلا بهم والتي ادخلوها الى المنطقة ولكن ايضا من خلال اعترافهم بحال تلك القوى المحلية ايضا وكيفية التعامل معها اذ كانت فاعلة اصلا عندما جاءت في تماس معها.

كانت الامبراطورية السلجوقية في الاساس دولة عسكرية متاهبة للحرب والتوسع حيث وضعت فوق أي شيء آخر عنصرا حاكما اجنبيا على السكان المحليين التي استدعت الصفوة منها الى تدبير شؤون السلطة والادارة. ان هذا الشكل من نظام الحكومة والادارة، تبناه السلاجقة على اساس الانموذج الساماني المتقدم والغزنوي وهو نمط قد ادخله الاتراك الى اسيا الغربية، وصار سمة مميزة ودائمة للسلطة في المنطقة.

كان السلاجقة الاتراك كالسامانيين والغزنويين مسلمين على المذهب الحنفي. وهكذا فقد سعى السلاطين الاوائل ومستشاروهم الى اعادة توحيد المجتمع الارثودوكسي(المحافظ) وتعزيز بنيته وذلك يوافق اهتماماتهم ويوجد الظروف لانعاش الجهاد الاسلامي. كذلك اخذو على عاتقهم بناء ادارة تجنبهم الوقوع في شرك مشاكل السلطات السابقة، وتبقى مع ذلك منسجمة مع المعتقدات الاساسية للايدلوجية

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الاسلامية. وقد توقعوا تحقيق هذه الاغراض باتباعهم الخطوات الآتية:-

١. تأكيد على ان السلطة العليا الدنيوية للسلطان السلجوقي
٢. تجديد الاندماج بين الحكومة والمؤسسة الدينية
٣. السيطرة على النظام التعليمي الجديد
٤. اعادة ترسيخ سيادة الادارة المدنية التي كانت قد انحلت في ظل الحكام البويهيين المتاخرين.

وقد حاول السلاجقة في مطالبتهم الخليفة الاعتراف الرسمي بالسلطان-كونه زعيم المؤسسة السياسية- لتعزيز موقفهم والتعامل واقعيا مع المشكلة النظرية الناجمة عن تدهور مؤسسة الخلافة العباسية وبين التسليم الفعلي والمؤثر للسلطة الدنيوية من الامراء البويهيين والسلاطين السلاجقة. فعلى السلطة والدين مهما يكن الترابط عبر الاستخدام الواسع ودعم الدولة لنظام المدرسة التعليمي. فكان عليهم استخدام هذه المدارس ذات التعليم العالي- مثلما يبدو- ككليات تدريب في العلوم الدينية للرجال الذين سيتبوأون مواقع ادارية في المناصب الدينية والادارية. وبتاديتهم هذا النظام فقد توقع السلاجقة لا ان يكسبوا دعم الفئات الدينية فحسب انما أملوا ايضا في نشر القيم الاسلامية السنية في المجتمع بشكل واسع وبصورة خاصة على الصعيد السياسي. ومع التطور المتوقع للبنية الادارية الجديدة من خلال النظام التعليمي فان السلاجقة تصوروا ادارة مدنية قوية وثابتة ستعمل كقوة موازنة داخل الامبراطورية وكعامل ضبط اخير للمطالب المتوقعة والمطامع المتوقعة للفئة العسكرية الارستقراطية.

ومع ان هناك ترابطا متجددا بين المؤسسة الدينية والسلطة السياسية تحت ظل الحكم السلجوقي، فان قبول مؤسسة القضاء للسلطان بان يكون ممثلا للادارة العسكرية والسياسية جنبا الى جنب مع الخليفة كونه رأس المؤسسة الدينية قد ساعد او افاد فقط بشكل اكثر وضوحا في تحديد التقسيم الوظيفي الفعلي بين السلطنة والخلافة. فمثلا فقد طور الغزالي مفهوما متعدد الجوانب للخلافة كونها مؤسسة تمثل الحكومة الاسلامية برمتها وكونها تتالف من ثلاثة عناصر اساسية الخليفة والسلطان والعلماء. وكل من هذه العناصر الثلاثة توائم بنسبة ما السلطة الداعمة للحكومة الاسلامية وتؤدي وظيفة تحتاج اليها تلك السلطة. وان كل جزء كان يمثل ايضا عنصرا رئيسا في السلطة السياسية في المجتمع الاسلامي السني[٥]. وكان هذا المفهوم الخاص بالتوزيع النظري وبتقسيم السلطة اسهامة اخرى من اسهامات الحقبة السلجوقية الى التجارب المختلفة للحكومة لما بعد العباسيين.

ان نجاح مثل هذا النظام قد استند الى التوازن الحساس او الدقيق للسلطة والى التعاون المستمر للعناصر المختلفة. وعلى اية حال فالتطبيق العملي لذلك وبان المؤسسة السياسية قد هيمنت على المؤسسة الدينية، واندمج الهرم او السلطة الدينية في كثير من الحالات ضمن الاطار الحكومي.

وصارت الشؤون الدينية تحت الاشراف العام لوزير السلطان. وتشير البروفسورة لامبتون Lambton الى ان القاب السلاطين

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-mostafa.com

السلاجقة العظام تعكس في الظاهر التعاون بين السلطنة والخلافة غير انها ضمنيا تعد اعترافا بالوضع المتفوق للسلطان.

وهكذا فقد منح محمد بن ملكشاه لقب قسيم امير المؤمنين ومنح سلاطين اخرين ووزراءهم القابا مشابهة[٦]. وقد مارس السلطان السيطرة على الخليفة خلال علاقة المصاهرة وكذلك بترشيح وزرائه. ومع ذلك فان السلطان قلما تدخل في تعيين الخليفة، وان الخلفاء لم يعودوا، كما كان الحال زمن البويهيين، معرضين للعزل مرارا وبشكل كيفي. علاوة على ذلك فان قداسة الخليفة ومنصب الخلافة قد ازداد بدرجة كبيرة تحت ظل السلاجقة. وان الخليفة نفسه قد الحق، على اية حال، ضررا كبيرا في الموازنة بين النفوذ والسلطة ضمن الدولة وذلك عن طريق بحثه في اعادة سلطته الدنيوية وباسهامه كاي امير اقليمي اخر في النزاعات التي صارت السمة المميزة للتاريخ السياسي في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري.

وفشل العلماء في المحافظة على استقلاليتهم وذلك بسبب اندماجهم الوثيق بانظمة السلطة ايام السلاجقة. تلك الاستقلالية ان وجدت لجعلت الشرائح الدينية علاقة ربط مؤثرة بين السلطان والخليفة وبهذا فقط يمكن المحافظة على التوازن الدقيق والحساس بين القوة والسلطة داخل الامبراطورية. علاوة على ذلك فان العلماء باقرارهم المستمر للحكومة في جمع الضرائب،تماما كما تفعل الفئات الكهنوتية في المجتمعات الشرقية السابقة، قد خسروا فرصتهم تحت حكم السلاجقة في تحديد ادارة المؤسسات والنظم والحكومة التي ان وجدت فربما تحقق الاهداف الاسلامية.

مكتبة المهتدين الإسلامية للأبحاث والدراسات

كانت ايدلوجية العلماء قد تخصصت نظريا بمشاكل الحكومة او المؤسسات السياسية. وان نظاما تعليميا مؤسسا على مثل هكذا نظرية ومعتمدا على ارشادات او وصايا الفئات الدينية الممثلة له لا يمكن ان نتوقع بانه سيوفر لهذه الفئات الاجابات او الحلول المباشرة لمتطلبات الحياة اليومية المرتبطة بالسياسة الواقعية والعملية. وفوق ذلك فليس غريبا ان البيروقراطية(كتاب الدواوين) الذين تلقوا تعليمهم على وفق الدين الاسلامي والادب الفارسي، ان يستمروا في تادية عملهم على اسس التقاليد الاولى او على مفاهيم الادارة السابقة. وبالرغم من ان المفروض بهؤلاء البيروقراطيين(الاداريين) الذين تعلموا في المدارس ان يحلوا محل طبقة الكتاب السابقة، الا ان الحقيقة تبقى ان معظم الموظفين المدنيين في الامبراطورية السلجوقية هم في الاصل والثقافة من الفرس وانهم مالوا الى تخليد وادامة قيم واخلاق سابقيهم . وانهم، كاسلافهم، ظلوا ينظرون ألى المؤسسة السياسية على وفق الصيغ السياسية بالدرجة الاولى.

بتأكيد السلاجقة على السيادة الدنيوية للسلطان وربط الحكومة بالدين من خلال نظام المدرسة في التعليم فانهم كانوا يحاولون اعادة توطيد اولوية الادارة المدنية كونها الموازن المؤثر لقوة وطموحات القادة العسكريين. ومهما يكن فان الادارة المدنية لا يمكن الاعتماد عليها للتادية والعمل وان تكون عنصرا استقرار قادر على مقاومة المطالب المستمرة والتدخلات المتزايدة للارستقراطية العسكرية حتى في داخل منطقة تنافسها، وهذا يرجع الى طبيعة ومميزات الاداريين الذين يكونونها. وفي النهاية فقد تخلص الامراء والاتابكة من جميع الضوابط

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وضمنوا الوسيلة للوصول الى الارض والموارد الاقتصاديـــة ومـــن ثـــم فانهم دمروا حتى المظهر الذي يستند اليه النظام المركزي للحكومة.

لقد تخصصت هذه الدراسة بالدرجة الاساس علـــى دراســـة الوزيـــر السلجوقي ومنصبه كتوضيح للخلل الوظيفي في نظـــام الادارة المدنيـــة. وعلى اية حال فان مناقشة ما سبق حدوثه او ما جاء بعـــد ذلـــك هـــي دراسة ستكون عديمة المعنى. لهذا لا بد من بحث المؤسسات السياســـية والادارية للامبراطورية السلجوقية وكذلك دراسة نقـــاط الضعـــف فـــي الجهاز التنظيمي للحكومة ذاتها بشيء من الايجاز.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الاول

التنظيم السياسي والاداري تحت حكم السلاجقة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

(١)

تمهيد:الاتجاه نحو اللامركزية.

كما يبدو فان ضعفا معينا ومتوارثا منذ البداية قد ظهر على هيكلية الدولة السلجوقية.وان واحدا من مظاهر الضعف هذه هو الاتجاه الواضح نحو التقسيم واللامركزية في المفهوم التركي للزعامة او القيادة كما هو متبع في العائلة باجمعها.وكذلك في التوسع والانتفاع من نظام الاقطاعات العسكرية،والاعتماد على هذا النوع والانماط الاخرى في الادارة غير المباشرة في اجزاء الامبراطورية المختلفة.

وقد تعزز هذا الاتجاه ايضا بحالة التوتر القائمة بين مواقف الغزاة البدو ومواقف قادتهم،تلك المواقف التي كانت تقريبا تطابق الاهداف او الغايات القائمة التي تتميز بها المناطق الاسلامية الحضرية (المستقرة) التي رحلوا اليها.

لقد تأثر السلاطين الاتراك منذ البداية بالانموذج الاجنبي الخاص بالحاكم الاوتوقراطي الذي ساد المناطق او الاقاليم المفتوحة؛ومع ذلك فان السلاجقة كانوا اكثر اتجاها نحو الدين واقل طغيانا ممن سبقهم مباشرة من الحكام في شرقي العالم الاسلامي؛وكما يبين البروفسور بارتولد ان دواوين البريد ونقل الاخبار التي صارت سمة انموذجية لسيطرة الدولة قد اوقف السلاطين الاوائل العمل بها وذلك"لان مثل هذا النظام كان مثار استياء اولئك الرجال غير المتحضرين"[٨].لذلك فان نوعا من الضبط ينبغي دعمه والمحافظة عليه ليحكم استبدادية الامراء والحكام المستقلين،وان النظام على كل كان من المحتمل ان يعود مرة اخرى الى وضعه السابق زمن حكم ملكشاه[٩].

وفوق ذلك فان الفكرة الفارسية للملك كونه الحاكم المطلق للدولة لم تلق قبولا مطلقا من لدن القادة الاتراك الذين ظلوا على فهمهم واعتقادهم ان الامبراطورية هي ملك للعائلة السلجوقية برمتها.وان هذا الفهم البدوي(القبلي)لاتحاد متراخ وضعيف بزعامة افراد مختلفين من العائلة الحاكمة قد بقي حيا طيلة الحقبة السلجوقية.فقد وزعت الاقاليم بين افراد غير بارزين من العائلة،وصار واضحا منذ وقت مبكر ان هناك امارات(دويلات)منفصلة من امثال سلاجقة الروم وسلاجقة كرمان وسلاجقة سوريا(الشام)قد طورت اتجاهات او مسارات مستقلة ومعتمدة على الظروف المحلية الخاصة.

ومرة اخرى يمكن القول إن السلطان مع ذلك كان يميل الى تعيين خلف له في الحكم منذ مدة مبكرة من بين اولاده الصغار.وان هذا الابتعاد عن الممارسة او التطبيق البدوي التركي كان في العادة مؤشر معارضة خاصة حينما يرتقي الى العرش شخص قاصر او غير مهم.وكان موت أي سلطان تعقبه دائما تقريبا صراعات بين الاقارب الاحياء على الهيمنة او السلطة[١٠].وكان البويهيون هم الاوائل في احلال فكرة الحكم القبلي من اجل الاكبر،وهو فهم جامع وشامل ويعد سمة الحكومة في المنطقة منذ عهد الاخمينيين وهي الايدلوجية التي استطاع الاسلام ان يعدلها قليلا فقط.اذ ليس بمقدورهم ان يحلوا هذه المشكلة_ أي مشكلة التعاقب على الحكم حلا فعالا_ومهما يكن فان حل العثمانيين مؤخرا المتمثل بقتال الاخوان كان اسلوبا معقدا جدا.ولذلك فان الاتجاه نحو الصراعات الداخلية وانقسام اراضي الامبراطورية الى امارات صغيرة خلال الحقبة السلجوقية ربما عد ضعفا سياسيا

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

للامبراطورية وسببا رئيسا لزوالها.كذلك فان التغيرات المتكررة في العاصمة(عاصمة السلاجقة)والتبدلات في اماكن القوى المتسلطة التي جاءت نتيجة للنزاعات بين الاخوان خلال حقبة التدهور والضعف قد ادت الى تفاقم الفوضى العامة للحكومة وعدم كفاءتها الادارية.

وتوضيح آخر للاتجاه نحو اللامركزية وايقاع الضرر في نهاية المطاف بالدولة هو ذلك المتعلق بنظام اقطاع الاراضي.وكان هذا من موروثات البويهيين،وان نظام الملك قد اعاد بناءه واستثمره كوسيلة من وسائل دفع رواتب الجند وربطه بالارض خلال حقبة التوسع السريع للسلاجقة في فتح البلدان.وما ان تدهورت الامبراطورية وتحولت بصورة متزايدة نحو الجانب العسكري،فان توزيعا واسع النطاق لهذه الاقطاعات كرواتب او مقابل الدفع نقدا،وكذلك اغتصاب حقوق ملاكي الاراضي وامتيازاتهم من المقطعين،وفساد النظام بصورة عامة قد اسهم ايضا في تحجيم نفوذ الحكام على البلدان ونقل او تحويل اكثرها من السيطرة الفعلية للسلطة المركزية.

كما ينبغي ملاحظة ان الامبراطورية منذ البداية وخلال معظم الحقبة السلجوقية كانت تدار بصورة غير مباشرة.فلم يجد السلاطين الاوائل انفسهم فحسب سلاطين بالمصادفة تقريبا وانهم الوريثون الشرعيون لمناطق نفوذ العباسيين والبويهيين السابقة وحيث انهم حققوا منزلة رفيعة مستقلة او شبه مستقلة لكنهم ايضا واجهوا مشاكل مالية وادارية أثرت بالفعل في ادارتهم امبراطوريتهم الجديدة المترامية الاطراف وفي المحافظة على فاعلية ماكنتهم العسكرية.ولهذا السبب فان اسسا نابعة من الضرورة والمصلحة قد أملت الى حد ما سياسة مرنة بخصوص

المناطق التي لم يكن اندماجها بهيكلية السلطة السلجوقية الا اندماجا سائبا وغير محكم.وكانت هذه المناطق هي المستقرة والمأهولة بالسكان والتي كانت تدار وظلت تديرها العوائل الحاكمة المحلية السابقة.اما المناطق القبلية فان غالبيتها ظلت تقدم ولاءها الى الزعماء القبليين المحليين.والمناطق التي وزعت كاقطاعات ادارية وعسكرية بغية توكيد الاشراف المستمر عليها وديمومة الارض الزراعية ومواردها فضلا على عوائدها المالية المحددة للسلطة المركزية[١١].

اشتملت المناطق المأهولة بصورة رئيسة من تلك المقاطعات التي لم تزل بايدي البويهيين خلال السنين الاولى لعهد السلاطين العظام[١٢]،اضافة الى المناطق المختلفة في اقليم بحر قزوين الذي كان تحكمه امارات محلية امثال السلاريين Salarids حكام ناحية طرم[١٣] والاسبهبيذيين Ispahbads حكام طبرستان[١٤]. واشتملت المناطق القبلية على الاراضي الكردية والعربية والتركمانية في مختلف اجزاء الامبراطورية.وبشكل خاص فانه في بداية الحقبة كان هناك افراد من العوائل الحاكمة المحلية في كل من المناطق المستقرة (المأهولة) والمناطق القبلية: كالحكام السلاجقة والمقطعين من العسكريين الذين التزموا(ضمنوا)الاراضي الزراعية او من وزع بينهم جزء من الاراضي التي كانوا يمتلكونها في السابق.

ويبدو ان البويهيين ظلوا يحتفظون باقطاعات لهم من السلاجقة حتى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م[١٥].وكذلك قد ثبتت الامارة الكردية المروانية على ملكية الاراضي في ديار بكر وميافارقين كما هو الحال بالنسبة الى الامارات العربية العقيلية في الموصل والمزيدية في الحلة.

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فعندما توفي دبيس بن علي بن مزيد عين بهاء الدولة منصور خلفا له شريطة ان يدفع ٤٠٠٠٠دينار سنويا الى السلطان[١٦].وبالرغم من انه كانت هناك محاولة لحكم بعض المناطق الكردية بصورة مباشرة وذلك بارسال حكام عسكريين ومدنيين،لكن ظل معظم المناطق القبلية تحت سيطرة زعمائها وشيوخها المحليين.

وتقدم لنا البصرة انموذجا من نماذج الاقطاع الاداري خلال الحقبة السلجوقية المبكرة . ففي سنة ٤٤٨هـ ضمن الكندري وزير طغرلبك البصرة والاحواز وادارتها وضواحيها المرتبطة بها الى هزارسب بن بنكير اوبكير الكردي لقاء مبلغ قدره ٣٠٠,٠٠٠دينار.وقد فوض يدا مطلقة حتى انه سمح له بان يذكر اسمه في خطبة الجمعة في الاحواز[١٧].والظاهر ان البصرة بعدئذ قد خضعت لسيطرة ابي سعد سابور،لكنه بعد موته سنة٤٥٩هـ عهدت البصرة وواسط ثانية الى هزارسب بن بنكير اوبكير مقابل دفع مبلغ قدره٣٠٠,٠٠٠دينار[١٨].وقد توفي هزارسب سنة ٤٦٥هـ.وكان هزارسب قد تزوج من اخت السلطان محققا بذلك مركزا اداريا مرموقا[١٩].وبعد ذلك صارت البصرة في وقت ما تحت سيطرة شخص هو علي بن علان اليهودي الذي حسبما يظهر كان يمتلك ثروة ونفوذا كبيرين.

فنقرأ في سنة ٤٧٢هـ ان ملكشاه صادر ثروته وقتله واخذ من كنوزه مبلغا مقدرا بـ٤٠٠,٠٠٠ دينار وبعد ذلك اعطى البصرة الى امير تركي هو خمارتكين.وكان خمارتكين في احدى المرات طغرائيا(حافظ الختم السلطاني) مقابل دفعه١٠٠,٠٠٠دينار[٢٠]ومئة فرس الى السلطان سنويا.

مكتبة المهتدين للاستنساخ المقدار الأدبي

لقد نشد السلاطين الاوائل ومستشاروهم بالفعل الوقوف ضد فساد نظام الاقطاع العسكري وذلك بالمحافظة على نظام توزيع الاقطاعات وجعل تسجيل الاقطاعات تحت سيطرة السلطة المركزية.وحاولوا ايضا ربط المناطق المختلفة التي كانت تدار بصورة غير مباشرة بالسلطة المركزية عن طريق ممارسة الاحتفاظ بالرهائن في بلاط السلطان او عن طريق علاقة المصاهرة مع الاشخاص المتنفذين محليا،او عن طريق ادخال القبائل في الجيش.وكانوا كذلك قادرين على اعادة ترسيخ سيطرتهم المباشرة او فرضها على المناطق التي كانت تدار بشكل غير مباشر وذلك كلما سنحت الفرصة نفسها[٢١].

فمثلا،مع ان المروانيين كانوا يخطبون الجمعة باسم السلاطين السلاجقة وعلى الرغم من انهم كانوا يدفعون الاتاوة فان امير المروانيين في مدة حكم ملكشاه حاول تأكيد استقلاله التام،لكن ملكشاه انتهز الفرصة هذه ليعين فخر الدولة بن جهير على ديار بكر في سنة٤٧٦هـ/١٠٨٣-١٠٨٤.

وهكذا فقد بعثه برفقة جيش للسيطرة عليها عسكريا،وقد نفذ هذه العملية في سنة ٤٧٧هـ[٢٢].وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥-١٠٨٦ غزا ملكشاه آمد وميافارقين وجزيرة ابن عمر[٢٣]. وعلى الرغم من تدمير الامارة المروانية بشكل كبير،فان المناطق القبلية الكردية تركت على اية حال تحت اشراف زعمائها المحليين ولمدة طويلة.

وكان العقيليون في العراق والجزيرة الفراتية هم العائلة المهيمنة.ففي سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤-١٠٨٥ استولى عميد الدولة بن جهير على الموصل.لذلك عاد مسلم بن قريش مرة اخرى لتقديم ولائه

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الى ملكشاه،غير انه قد قتل لاحقا في معركة جرت بينه وبين سليمان بن قتلمش.وباختفاء الامارة العقيلية لم يبق من الامارات العربية المهمة في الامبراطورية السلجوقية الواسعة الا امارة المزيديين في الحلة.مع ان السلاجقة يحتمل انهم قد اعتمدوا عليهم في المحافظة على سيطرة معينة على المناطق العربية القبلية.فالمزيديون العرب صاروا قادة الثورة العربية في العراق والمناطق المجاورة ضد السلاجقة وضد الخليفة في بغداد.ولم تتحطم قوة المزيديين بشكل فعال حتى منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد،وكان ذلك بدرجة كبيرة يرجع الى انتصارات الخليفة العسكرية.فقد كان الخليفة يريد اعادة تأكيد سلطته الدنيوية على العراق والاقاليم المحيطة به.

وفضلا عن العرب الثائرين الذين كانوا دوما ينتهزون اقل فرصة في ضعف السلطة المركزية لاثارة الاضطرابات فقد بقيت هناك وطيلة المدة المشكلة الكبيرة المتمثلة بكيفية التعامل مع القبائل التركمانية التي دخلت المنطقة مع سيدهم السلطان لكنها لم تكن راغبة في الاستقرار او ان تدار على وفق الشروط نفسها التي تطبق[٢٤] على بقية الناس.

ولقد اتضحت المشاكل في مسالة اعادة ترسيخ السيطرة المباشرة على المناطق التي كانت تدار بشكل غير مباشر في المثال الخاص بالبصرة.فقد كانت البصرة منذ عام ٤٨٩هـ تحت اشراف اسماعيل بن ارسلانجق الذي وصف بانه كان ظالما غشوما ونهابا للثروات.وتطلع السلطان محمد بن ملكشاه الى اقامة علاقة ودية مع الامير سيف الدولة صدقة مقطعا اياه المكان بدلا من اسماعيل،ودخل في مراسلات مع الامير صدقة في هذا الشأن.وفي الوقت نفسه فقد بعث

موظفا(العميد)بهدف جمع الضرائب ومباشرة ادارة المنطقة.وكان اسماعيل قد نجح في عرقلة وصول هذا العميد وأسره.وعلى اية حال فقد وصل الامير صدقة على رأس جيش وهزم اسماعيل ثم سيطر سيطرة كاملة على البصرة وعين احد المماليك نائبا عنه هناك.ولهذا فقد اهتبل العرب المجاورون للمنطقة صعبي المراس هذا الحدث فالقوا القبض على هذا النائب ونهبوا المنطقة.فاضطر صدقة الى ان يرسل جيشا لتفريق الاعراب.بعد هذه الاحداث ارسل السلطان شحنة(وهو حاكم عسكري) وعميد لتولي امر البصرة بدلا من صدقة،وبذلك اعاد دعم سيطرة السلطة المركزية[٢٥].

وليس من المستغرب القول ان الوحدة السياسية والادارية في العصر السلجوقي لم تتحقق ابدا وربما باستثناء حقبة قصيرة من الوقت زمن ملكشاه،آخذين بالحسبان المفهوم التركي لتقسيم السلطة،وكذلك الطبيعة العسكرية للدولة التي ادت تقريبا الى الاغتصاب الذي لا مناص منه لحقوق وامتيازات نظام الاقطاع،وكذلك اتساع رقعة الامبراطورية وقلة خبرة الحكام الجدد،واحتياجاتهم المالية،فضلا على النتائج التي افرزتها هذه الظروف نظام الادارة غير المباشرة لاجزاء كبيرة من المناطق التي فتحت في الفتوحات الجديدة.

واضافة الى هذا الاتجاه المتوارث لمفهوم اللامركزية،فان هناك سمات اخرى للسلطة السلجوقية المبكرة التي يمكن عدها ضعفا في البنية الادارية والسياسية وفي الاقل من وجهة النظر التاريخية.وتتضمن تجزئة السيطرة الحكومية على الجانبين المركزي والاقليمي،والموقف الموفق الذي يقبل بالحل الوسط للعلماء او للشريحة

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الدينية،والتوازن الدقيق الحساسية للنفوذ والسلطة التي كان يرتكز عليها الاداء الوظيفي للامبراطورية مع ضرورة وجود الخليفة المستمر في بغداد.

(٢)

السلطة المركزية والاقليمية للسلاجقة

(أ)المؤسسة العسكرية:

كانت الدولة السلجوقية تنظم او تدار على قاعدة الازدواجية او الثنائية وليست الواحدية او المركزية.وبالرغم من ان الحكام الاوائل كانوا يتمنون اعادة توطيد سيادة الادارة المدنية كونها الضابط الاساس لطموحات النخبة العسكرية،ولكن وجود مؤسستين تسيران جنبا الى جنب قد قدم امكانية للتعاون في افضل الحالات.وان فاعلية واستقرار السلطتين المركزية والاقليمية_كما سنرى لاحقا_قد اضعفت بل تهددت بهذا التقسيم للنفوذ السياسي وهيمنة السلطة ضمن الدولة نفسها.

لقد وصف كلود كاهينClaude Cahen نظام الحكم السلجوقي على انه(نظام دكتاتوري تقليدي مقبول من غالبية الناس ويديره الخراسانيون،ويعتمد قاعدة مزدوجة عسكرية مؤلفة من المماليك الاتراك[٢٦] والتركمان)وهو انموذج استند الى نظم الدولتين السامانية والغزنوية،وانه نظام حكم عسكري موجه نحو الحرب والتوسع اعتمد في ادارته المدنية على الصفوة من اهل البلاد الذين كانوا يمثلون تقاليد السلطة الفارسية.فتوسطت الادارة المدنية بين الفئة العسكرية والاهالي

للسيطرة على احدهما من جهة (عبر الاحتفاظ بالادارة المالية)وحماية الاخرى.

وكان السلطان السلجوقي على رأس المؤسسة السياسية الذي كان منصبه قد اكتسب الشرعية عبر مرسوم التقليد الصادر عن الخليفة كزعيم او رئيس للمؤسسة الدينية.

وكما هو الحال في ايام السامانيين والغزنويين فان الحرس الشخصي المكون من المماليك الاتراك كان يكون الدعامة لقوة او هيمنة العاهل المسيطر.وان السلاطين السلاجقة الاوائل قد اسسوا ايضا جيشا كبيرا من الرقيق والاحرار والمرتزقة لكي يقللوا من اعتمادهم على حشود القبائل التركمانية الذين دخلوا معهم الى اسيا الغربية وكذلك من اجل السيطرة عليهم.وكانت ادارة البلاط السلجوقي بايدي ضباط عسكريين،وكان الجيش الموجود انذاك،يوفر خدمة كبيرة كاحتياطي كبير من الافراد الذين كانوا يعملون في الحرب وكذلك في الدولة.وان معظم هؤلاء يبدو انهم تلقوا برنامجا خاصا ما من التعليم والتدريب ومن اجل ان يحظوا بفرصة تسلق المراتب في هيكلية الوظائف والادارة وذلك لاشغال مواقع عسكرية في البلاط وفي الاقاليم حيث كان الوالي(الحاكم)هو من اعلى المناصب.اما الاخرون فانهم كانوا يرتقون الى مواقع وظيفية عالية في الدولة اما بخطوة من السلطان اونتيجة للظروف.

كانت اصناف الافراد المستخدمين في الجيش مرنة،فمن الصعب غالبا التمييز بين افراد الجيش الثابت وبين موظفي او ضباط البلاط (الصدور) وبين مختلف الامراء والاتابكة.

http://www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

فهناك اضافة الى الامراء المرابطين في القصر امراء مرتزقة او جوالين Wander about يقدمون خدماتهم الى مختلف القادة او الزعماء او أولئك الذين يتقلدون حاكمية الاقاليم المختلفة حيثما تسنح الفرصة اليهم،وهناك امراء كانوا حكاما اقليمين عينهم السلطان[٢٧]. وكان الاتابكة جميعا من الامراء الاتراك باستثناء عدد قليل جدا.وكان دور الامراء والاتابكة محدودا حتى عهد محمد بن ملكشاه،ومحدودية دورهم في الدعم الذي يقدمونه لمختلف الامراء السلاجقة المتنافسين في ما بينهم على السيادة او برفضهم شرعية هذا الامير السلجوقي او ذاك.وكان التصارع والتنافس بين هؤلاء السلاجقة هو المهيمن على المرحلة السياسية.فبعد وفاة ملكشاه وحينما عزز السلطان سنجر من سلطته في خراسان،وحينما اضطرب الوضع في الاقاليم الغربية الناتج عن الصراعات بين الاخوة وادعاءاتهم بالسلطنة، بدا الامراء والاتابكة يؤدون ادوارا اساسية ويقررون مسار الاحداث. وسوف ندرس هذا الامر بشيء من التفصيل في ادناه خلال مناقشة تدهور منصب الوزارة وفشل الادارة المدنية بصورة عامة في ضبط او تحديد طموحات وتطلعات الطبقة العسكرية.

وبسبب وجود دراسات قد درست المؤسسة العسكرية ذاتها ومختلف العناصر التي كانت تتالف منها، فاننا يحتمل تحويل اهتمامنا الى الادارة المدنية تحت الحكم السلجوقي اخذين بالحسبان، طبعا، الازدواجية الاساسية لنظام السلطة ووجود تكوين مختلف تماما عن المؤسسات والمناصب القائمة مع الدواوين التي كان يديرها ملاك من موظفي الخدمة[٢٨] المدنية. ويمكننا القول ان هذا النظام القائم على

تماثل المؤسسات التعليمية والحكومية الذي من شانه ان يبقي على مصالح واداب المجموعات الحاكمة المختلفة التي مثلت التوتر والشد بين الافكار المثالية المعلنة وبين الممارسة الفعلية للسلطة السلجوقية وادامة بقائه.

(ب) الادارة المدنية- الدواوين الرئيسة وموظفوها

لقد انتفع نظام الادارة المدنية السلجوقية من تجارب انظمة الحكم المتعاقبة في المنطقة. ومهما يكن فانه ينبغي التأكيد ان مثل هذا النظام كان ما يزال معمولا به اثناء الحقبة السلجوقية. ومع ان هذا النظام قد استند الى نماذج سابقة لكنه لم يكن مقلدا من دون تحوير، كذلك فانه لم ينشا كلية وبصورته الناضجة Full- blown من عقلية نظام الملك. فان لهذا الوزير السلجوقي الذي يعد من اشهر الوزراء تعزى مسالة تنظيم وظائف وواجبات البيروقراطية(الدواوينية الحكومية) فضلا على تأسيسه نظام المدرسة في التعليم. فكانت الادارة تنقسم الى دواوين مختلفة تعنى او تتعامل مع مختلف المهمات الحكومية. وكما هو الحال بالطبع في الحقب التاريخية الاولى من العصر العباسي فان هناك تقسيما للعمل لهذه البيروقراطية الى دواوين، وكان السامانيون والغزنويون ايضا قد تبنوا ونظموا هذه الظاهرة التي كانت موجودة في الامبراطوريات الشرقية المبكرة في المنطقة. وقد برزت تحت ظل الحكم السلجوقي ادارة مدنية مؤلفة من خمسة دواوين رئيسة هي:- الوزارة او الديوان الاعلى، وديوان الاستيفاء وديوان الطغراء(الذي كان يضم ديوان الانشاء والرسائل) وديوان الاشراف وديوان العرض. وكون اصحاب

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

هذه الدواوين الهرم الاداري. واصبح الوزير اكثر الموظفين الاداريين اهمية في هذه الدولة. وظل ديوان البريد والمخابرات او التجسس لا يذكر بوضوح حتى ملكشاه. وورد ذكر ديوانين هما ديوان الاقطاعات[٢٩]. وديوان المصادرات[٣٠]. واضافة الى ذلك فهناك اشارات الى ديوان الخاص خلال سلطنة السلطان سنجر في خراسان (وهو ديوان يعنى بالاراضي السلطانية Crown Lands). وديوان الاوقاف(الوقف [٣١] للامور الدينية).

وسوف نرجع ثانية الى مناقشة مستفيضة لمنصب الوزير، وذلك لكثرة المعلومات المتوفرة عن الوزارة قياسا بالمعلومات عن المؤسسات الاخرى للسلطة المركزية. وكذلك لان الدراسة هذه تعنى بشكل رئيس بدور الوزير في النظام الاداري. ومهما يكن فانه بشأن هذا الموضوع لا بد من ايجاز لاطار الواجبات والمهمات لبقية الدواوين الاخرى.

فديوان الاستيفاء يتعامل مع الجوانب المالية ومع حفظ او مسك الحسابات. فمثلا ان ذلك الجزء من الامبراطورية قد قسم الى اقاليم مسؤولة عن استحصال الضرائب على وفق بيانات او كشوف الضرائب المرتبة في ديوان[٣٢] الاستيفاء. وكان المستوفي صاحب هذا الديوان، والذي كان في الوقت نفسه المسؤول الحسابي والمدير المالي للامبراطورية. وكان اسميا تابعا للوزير، ولكنه قد تسنم سلطة كبيرة في بعض الاوقات بسبب موقعه الوظيفي المهم.

مكتبة المهتدين لاستلام المقالات الأدبية

ويحتمل ان هناك خزينتين(او بيتين للمال) وبالاحرى خزينة او بيت مال واحد يتشعب الى قسمين، واحدة خاصة بالواردات والاخرى بالمصروفات، لان نظام الملك يوضح الاتي:-

"يملك الملوك دائما خزينتين، بيت المال الرئيس او بيت مال العاصمة، وبيت مال او خزينة النفقات. وعندما يجمع الوارد فانه يؤخذ في العادة الى الخزانة في العاصمة، ولا يؤخذ الا في النادر الى خزينة الانفاق. وما لم تكن هناك ضرورة قصوى فانهم لا يسمحون بالانفاق من خزينة العاصمة. وكانت العادة المتبعة دائما هي ان أي مال مدفوع الى الخزينة كواردات الاقاليم مثلا. ينبغي ان لا يحول او يصرف. وعلى هذا فان النفقات ينبغي ان تلبى في مواعيدها، فليس هناك من فشل او تأخير في دفع الارزاق والمكافآت والهدايا لان هذه الخزائن(بيوت المال)[٣٣] كانت دائما تزود بالاموال".

وينبغي ملاحظة ان للسلطان بيت مال خاصا به(على الرغم من ان هذا البيت كان لامور واغراض عملية غير مميز عن بيت مال الدولة) وان الموظف المسؤول عنه مع انه ليس من افراد الشريحة العسكرية فانه لا ريب مسؤول في الادارة المدنية لكنه مختص بالسلطان فقط. فنحن نقرا مثلا انه عندما دفع ابو هاشم صاحب همذان الى محمد بن ملكشاه مبلغا قدره ٧٠٠٠٠٠ [٣٤]دينار للتصدي للمؤامرة التي دبرت ضده،فان السلطان ارسل انوشروان بن خالد لاستحصال المبلغ. وعندما وصل المال الى بيت المال، عين انوشروان مسؤولا عنه في[٣٥]الادارة. فالمفروض ان هذا المبلغ قد حصل عليه السلطان لاستعماله الشخصي. وقد تمتع خازن خزينة السلطان بامتيازات وحقوق او اشارات معينة

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بضمنها تاييد سيده، فقد حظي انوشروان بحق مقابلة السلطان محمد بن ملكشاه[٣٦] شخصيا. ونقرأ ايضا ان عبد العزيز قد استقال من منصبه كمستوف لمحمود بن محمد بن ملكشاه محاولة منه لنيل منصب خازن السلطان فيكون عندئذ في موقع مؤثر عند محمود ضد الوزير الدركزيني ويبدو ان هذا كان مسؤولا عن ادارة شؤون اولاد [٣٧] السلطان.

وكان ديوان الطغراء مؤسسة جاء بها السلاجقة لكنها في النهاية اندمجت مع ديوان الانشاء. ويبدو ان معنى الطغراء هو القوس والنشاب حيث تبناه الاتراك كختم لهم وكرمز[٣٨] للسيادة. وكان هذا الختم يضعه في اعلى جميع المراسلات الرسمية موظف يسمى الطغرائي حيث لم يكن في بداية الامر سوى نقش هلالي وانيق. واعتمادا على ما ذكره البنداري فان الاخ الاصغر للوزير عز الملك بن نظام الملك واسمه عبد الرحيم كان قد منح منصب الطغرائي وذلك لان هذه الوظيفة لا تتطلب أية امكانية سوى البراعة في ما ذكر[٣٩] سابقا.

وكان الطغرائي في البداية اميرا تركيا شابا رفيع المستوى، غير انه منذ عهد نظام الملك فان ديوان الطغراء قد انتقل الى افراد من الماكنة الادارية الاعتيادية ثم صار بعد فترة وجيزة الى ديوان انشاء الامبراطورية وان المنشئ(وهو الشخص المسؤول عن صياغة المراسلات الرسمية والرسائل الرسمية) كان تابعا الى الطغرائي الذي صار موظفا كثير الاهمية في الامبراطورية بعد منصب الوزير والمستوفي. فكان الطغرائي على سبيل المثال هو الذي أستدعي للعمل

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

كوزير للسلطان عندما كان خارجا عن العاصمة في رحلة صيد واثناء غياب الوزير الاصلي[٤٠].

ومع ان كل من ديوان الطغراء وديوان الانشاء كانا احيانا منفصلين فانهما في الاغلب الاعم كانا مندمجين او يصنفان ويسميان باسمين مختلفين ولكن تحت هذه التسمية[٤١] او تلك وكان يشار الى ديوان الانشاء احيانا بديوان الرسائل.

وكان يراس ديوان الاشراف(المشرف) وهو ليس كما يفهم عميل سري في ديوان الخبر intelligence كما هو الحال في زمن الغزنويين لكنه كان موظفا مرتبطا بالادارة المالية. واعتمادا على قول نظام الملك فان واجب المشرف الاطلاع على جميع الامور التي ترد الى البلاط السلطاني واعداد التقارير عند الحاجة. اضافة الى ذلك فانه كان يتمتع بحق ارسال النواب الى جميع اجزاء الامبراطورية للاشراف على تحصيل او جمع الضرائب والواردات وانفاقها. ويبدو ايضا انه قد عهدت الى المشرف مسؤولية الاشراف على الزراعة وعلى الاحوال العامة لمختلف الاقاليم التي تجبى منها الضرائب من خلال[٤٢]وكلائه. اما عن راتب المشرف فانه كان يدفع من بيت المال(خزينة) المركزي وذلك من اجل قطع دابر الرشوة والفساد[٤٣].

وكان عارض الجيش وهو القائد المدني للجيش هو الذي يرأس ديوان العرض. وفي احيان يشار الى هذا الديوان بدائرة سجل باسماء الجنود والضباط muster roll. وكان هذا الديوان مسؤولا عن تحديد رواتب الجيش الدائمي. وتسجيل الاقطاعات التي كانت تمنح الى الفئة العسكرية. والظاهر ان هذا الديوان قد فقد الكثير من سيطرته واهميته

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وذلك لان الامبراطورية صارت متجهة اتجاها عسكريا بشكل كبير ولان هذه الفئات قد استحوذت على امتيازاتها[٤٤] بالقوة.

وهناك عدة مناصب ادارية اخرى ليس لها ارتباط بشكل خاص بدواوين الدولة ايام السلاجقة. ومن المحتمل ان اكثر هذه المناصب او الوظائف اهمية في الفترة المبكرة للسلاجقة هو منصب وكيل الدار- المتعلق(بدار السلطان)- والذي كانت مهمته كوسيط بين السلطان والوزير. واعتمادا على ما ذكره البنداري يفترض ان يكون وكيل الدار فصيحا في لغته منطقيا وواسعا في معارفه بليغا فضلا على لباقته وخبرته في ما يتعلق باذواق السلطان[٤٥] وطباعه. ففي مدة وزارة سعد الملك ايام السلطان محمد بن ملكشاه فيبدو ان وكيل الدار اميري القزويني قد عين في هذه الوظيفة من دون مراعاة لمؤهلاته وكفايته. والواقع ان القزويني الذي كان قبل هذه الوظيفة تاجرا له ما يبرر جهله برسوم البلاط. لكنه في نهاية الامر قد عزل من منصبه اذ انه صار مصدر اذى وغضب لجميع رجال البلاط والسلطان نفسه لفظاظته وعدم[٤٦] كفاءته.

واخيرا فان وظيفة وكيل الدار قد الغيت وحل محلها منصب امير الحاجب الكبير الذي كان عضوا من فئة العسكريين وليس عضوا من الدواوينية المركزية. وكان امير الحاجب يتلقى الاوامر من السلطان شخصيا ويحولها الى وزير السلطان[٤٧]. وهو مثال بارز على انتهاك عنصر الجيش ضمن هيكلية الادارة المدنية ذاتها.

وكان لكل موظف رفيع المستوى مجموعة من الكتاب لمساعدته اضافة الى وجود نائب او موظف يدعى نائب تفوض اليه دائما

مسؤولياته. ومن الناحية النظرية فان كاتبا أي كاتب يمكنه تسلق السلم الوظيفي لكي يصل الى رتبة الوزير، شريطة ان يمتلك خبرة وتعليما ضروريتين وواقعيا فان جميع الوزراء السلاجقة قد خدموا في وظيفة معينة اقل شانا في المؤسسة الدواوينية قبل ان يحرزوا منصبا ساميا، وان اغلبهم حسبما يبدو كانوا في وظيفة المستوفي قبل ان يصبحوا وزراء[٤٨]. وليس بالضرورة ان اعتلاء سلطان جديد للسلطنة او وزير جديد للوزارة يؤدي دوما الى تغيير كامل بملاك الموظفين الصدور. على النقيض من ذلك فان هناك غالبا تعديلا في المناصب من دون ان يحدث تغييرا جذريا، كما انه ليست هناك حالة غير اعتيادية سواء كان ذلك بالنسبة الى الوزير ام أي موظف اخر ان يبقيه السلطان في وظيفته ام ان يظل شخصية مؤثرة حتى وان كان في منصب ادنى او ثانوي. ومثال على ذلك فان المنشىء ابن الموصلايا قد خدم الخليفة القائم ومن جاء بعده من الخلفاء لمدة تقارب الخمس والستين سنة[٤٩].

وحينما عزل خطير الملك الميبوذي من الوزارة في عهد محمود بن ملكشاه فان كلا من المنشئ ابا اسماعيل الطغرائي والمنشئ كمال الملك السميرمي ظلا في وظيفتيهما على اساس انهما كانا مناسبين لعمليهما[٥٠]. كذلك خدم قيم الدين الناظر لمخزن الخليفة كنائب للوزير وانه ظل يتارجح بين الوظيفتين لاكثر من عشرين[٥١]سنة. وان خطير الدين الميبوذي قد قبل منصب طغرائي خلال سلطنة محمود بعد ان عزله من الوزارة السلطان محمود[٥٢].

فضلا على ذلك فان عادة الجمع بين وظيفتين كانت عادة مألوفة، مع ان نظام الملك والاخرين قد حذروا من هذه العادة. فكان سديد الملك

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ابو المعالي منشئا ومشرفا في وزارة تاج الملك ابو الغنائم قصيرة[٥٣]الامد، والظاهر ان محمد الجوزجاني الامير العميد قد تقلد في الوقت نفسه ثلاثة مناصب وزارية لكوهر او كهر خاتون في صميرم وهي:- طغرائي للسلطان محمد وعميد في بغداد مع انه كان معينا كنائب[٥٤]في صميرم.

وكان من الضروري ان يصادق على جميع التعيينات الحاكم الجديد. وهكذا فان السلطان الب ارسلان قد صادق على تعيين الكندري وزيرا بالرغم من انه كان يخدم من قبل الوزير نظام الملك. وصادق الخليفة الجديد المستنجد الذي تسنم الخلافة بعد موت الخليفة المقتفي على ابن هبيرة[٥٥]وزيرا.

نظام الاقاليم الاداري:

ان مبدأ السيطرة الموزعة الى وظائف موجود على الصعيد الاقليمي ايضا.فالدور الاساس للتنظيم الدواويني المركزي في الاقاليم كان من اجل المحافظة على التوازن في القوى بين السلطتين العسكرية والمدنية.فكان العميد او العامل[٥٦]هو ممثل المؤسسة الدواوينية المدنية في الاقليم الذي كان مسؤولا عن جمع الضرائب او الأتاوات من الحكام المستقلين.وكان هؤلاء الحكام المدنيون في الغالب مجندين من الفئة العليا للموظفين المدنيين الصدور شأنهم شأن اصحاب الدواوين المركزية[٥٧].فالصدور اصحاب الرتب العالية كانوا يوضعون في منصب الحاكم المدني او محصل الضرائب وذلك من اجل جعل السلطة المركزية

يشعر بها او بوجودها بوضوح تام في الاقاليم.وكذلك من اجل منع تركز الشخصيات المتنفذة في العاصمة.

وكان الى جانب الحاكم المدني هذا حاكم عسكري او الشحنة(قائد الحامية)،الذي كان مسؤولا عن الشؤون العسكرية وكان بالدرجة الاولى مسؤولا عن المحافظة على الامن العام نيابة عن السلطان.وكانت وظيفة الشحنة احيانا يديرها امير كانت واجباته واعماله منسقة مع واجبات أي حاكم عسكري اعتيادي.وعندما تدهورت الامبراطورية ظهر اتجاه لتخصيص سلطة حاكمة مطلقة-سواء كانت عسكرية ام مدنية-الى احد الاشخاص وفي االعادة الى امير عسكري رفيع المستوى.وفي احيان يحافظون او يدعمون تقسيم الحكم على الرغم من ان الشحنة او العميد او العامل او المستوفي كانوا يميلون الى العمل كصدور للحاكم العسكري وليس كافراد معينين مباشرة من السلطان.وفي معظم الحالات كان الحاكم العسكري يمنح ادارة اقليمية عوضا عن راتبه وفي هذه الحالة يكون مخولا بجمع ريع(او وارد)الارض،ويكون الموظفون الاداريون تابعين له.ومثال على ذلك فان امر تقليد عضد الدين كمتولي لجرجان قد منحه سلطة عسكرية ومالية كاملة على المنطقة.

فقد كان بمقدوره تعيين الموظفين وجباة الضرائب،وكان على الامراء وقواد الجيش والمقطعين والوجهاء والجنود المحليين والقضاة وائمة الصلاة والشيوخ والرعية تقديم فروض الطاعة له ويتقدمون اليه وحده بشأن احتياجاتهم[٥٨].

كذلك فان تقليد السلطان محمد بن ملكشاه للأتابك طغتكين خوله المسؤولية الكاملة للترتيبات العسكرية والمالية في دمشق[٥٩].

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وكانت مؤسسة الاتابكة تسير الجوانب العسكرية للامبراطورية.اذ العادة ان تخصص الحاكميات المهمة الى اصغر الافراد من البيت السلجوقي،وعلى اية حال فان كل امير شاب كان يعهد اثناء شبابه وصغره الى امير تركي ليربيه ويعتني به يعرف بالاتابك.فالاتابك اذا كان يحكم نيابة عن الامير وعادة فانه لا يواجه الا صعوبة قليلة في توطيد نفسه كحاكم فعال للمنطقة ولاسيما اذا ما كانت السلطة المركزية ضعيفة.

وان نظام الدواوين كان تقريبا نسخة من نظام الدواوين في الاقاليم،ويحتمل ان هناك احيانا ديوانا خاصا بالحاكم او الوالي يسمى ديوان الايالة[٦٠]،وكذلك ديوان الاستيفاء ودواوين اخرى تعنى بجوانب مختلفة من الادارة المالية[٦١].

وكان الرئيس في العادة يعين من السلطان ويمثل الادارة المدنية في مدينة او اقليم،ولاسيما حينما لم يكن اداريا معينا من الادارة المحلية للاقليم.وفي الغالب فانه كان يمارس سلطات واسعة،ومثال على ذلك.فان الرئيس هو الذي عمل نيابة عن السلطان في المدن القصبات(العواصم)في الامبراطورية كمدينة مرو واصفهان وهمدان.وفي الاساس فالمفروض في الرئيس ان يعمل كنائب للسلطان في مهمته كراع للرعية[٦٢].غير انه لما كانت واجباته في الغالب تتعلق بالشؤون المالية والى قدر ما بالشؤون الدينية فان بامكانه ان يعمل-في افضل الحالات-كحلقة وصل بين السلطة والشعب.وواقعيا فان المتوقع من الرئيس ان يعنى برفاهية رعايا السلطان،لكنه كان في الغالب استبداديا وظالما كما في تصور سيرة الخطيبي رئيس اصفهان[٦٣].وهناك عدد

من النماذج عن رؤساء حققوا ثروات فضلا على الشهرة امثال رئيس همذان ابو هاشم الذي قد ذكرت ثروته ونفوذه[٦٤].

مخاطر انقسام السلطة

ان انقسام السلطة بين المؤسسات العسكرية والمدنية داخل الامبراطورية السلجوقية ربما كان عملا ناجحا لو ان هناك تحديدا واضحا لواجبات ووظائف او مهمات كل دائرة ولو ان كل موظف كان يحافظ على موقعه الملائم داخل النظام.ومهما يكن فانه من الواضح ان هرمية الادارة الجامدة لتنظيم الدولة على الصعيدين المركزي والاقليمي الذي صار جليا خلال العهد العثماني ولم يستطع السلاجقة ان يضعوا حلا ناجحا تماما له.والحقيقة ان قوى مختلفة اختلافا واسعا قد توافقت او انسجمت مع ملتزم او شاغل الوظيفة نفسها في مناطق مختلفة وفي مناسبات مختلفة[٦٥]،والحقيقة ان هناك ازدواجية في الوظيفة ايضا،كل ذلك يؤشر الى نقص ما في الوضوح المتعلق بالخدمة العامة.علاوة على ذلك فانه ليس هناك نص ثابت محدد.للوظيفة وذلك يرجع الى ان التعيينات في الوظائف تعتمد بشكل كامل على السلطان.

كذلك فمن المفروض ان الجدارة والموهبة هما اللتان تحددان التدرج والتقدم داخل الهرمية الادارية المدنية فالغالب ان المحاباة والتورط في المؤامرات كانت تملي تعيين او عزل الموظفين وعليه فان فكرة انتظام نظام التدرج الوظيفي من خلال الرتب الوظيفية ينبغي رفضها.

واخيرا،فلان جميع السلطة والنفوذ كانت مفوضة اداريا فان العقوبات الوحيدة بخصوص اية وظيفة هي عقوبات معنوية واخلاقية وليس هناك

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ما يستشف منه على انها عوامل ضبط مؤثرة وفاعلة ضد الظلم والقهر.وليس مثيرا للاستغراب ان افرادا من الطبقة العسكرية قد تسلموا اعلى المناصب في الدولة اما عن طريق امكاناتهم او لحظوتهم او لظروف عدة وصار باستطاعتهم ان يعملوا على قلب الموازنة بينهم وبين السلطات المدنية نهائيا لمصلحتهم.وهذا كله يعكس الطبيعة العسكرية الاساسية للامبراطورية السلجوقية.

دور العلماء والقاضي كوظيفة ادارية:

كان لمحاولة السلاجقة في ربط السلطة المركزية بالمؤسسة الدينية من خلال دعم الدولة لنظام المدرسة في التعليم هي من ابداعات السلاجقة الرئيسة.وليس هنالك من شك في ان المنظرين الاوائل في الامبراطورية كانوا يأملون من وراء هذه الطريقة تعزيز قضية الانتعاش الاسلامي،وكذلك لضمان تاييد الفئات الدينية بمنحهم السند في الاداء الوظيفي الملائم للدولة،ولدعم الادارة المدنية ضد التجاوزات المتوقعة للمؤسسة العسكرية.

فالفقهاء ومنهم الغزالي بشكل خاص قد اسهموا في صياغة اطار نظري لمحاولة التوفيق بين النظرية الاسلامية والوضع القائم،آخذين بالحسبان الحقائق التاريخية ومهتمين بمكانة الخليفة في الامبراطورية الجديدة.فالغزالي في الوقت الذي يؤكد فيه الضرورة الملحة لوجود الخليفة في زمنه هي الاختيار من المالك الحقيقي للسلطة فيقول:-

"كانت العملية التأسيسية لهذا هي الشارع لكن السلطة التنفيذية كانت سلطة السلطان.والحقيقة فان الغزالي قد قبل تسوية من خلالها تتوطد

شرعية دولة او حكومة السلطان حينما يؤدي قسم الولاء الى الخليفة ومن ثم يعين السلطان الخليفة. وكان السلطان بموجب سلطته التنفيذية يعترف في الواقع بالسلطة المؤسساتية للخلافة التي كانت تستند اساسا الى المجتمع الاسلامي ، ومن الوجهة النظرية فان السلطة الوظيفية تستند الى الشريعة[٦٦].

وهكذا فان الغزالي يعترف بسيادة الشريعة وكونها قانون المجتمع التي تصور الخلافة على انها قائمة وسارية المفعول شرعا لأي الحكومة اسلامية. وان هناك توازنا في السلطة والوظائف بين السلطان والخليفة والعلماء ضمن الدولة.وعلى اية حال فقد كان هذا التوازن دقيقا جدا وحساسا جدا ونظريا جدا من ناحية المحافظة او الابقاء عليه،وقد اظهر كل من الوضع الموقف للفئات الدينية والعلاقات المتوترة بين السلطان والخليفة عدم الواقعية المتأصلة للمفهوم[٦٧].

ولان العلماء قد شغلوا من الناحية النظرية مركزا روحيا مستقلا ضمن الدولة فان بامكانهم اداء دور بارز في حفظ التوازن أي توازن القوة بين السلطات الدنيوية والروحية.وكما سنرى لاحقا فان الغزالي قد برهن وجادل من اجل استقلالية العلماء وحثهم على مقاومة مداهنة وتملق السلطان.وعلى اية حال فان القضاة والفئات الدينية كانوا لا يمتلكون اكتفاء ذاتيا ماديا لضمان استقلالهم المعنوي.لذلك وجدوا انفسهم مستثمرين شأنهم شأن الصفوة المحلية لتحقيق مصالح الدولة الجديدة. وينبغي لنا ان نتذكر ان القاضي كان من تعيين السلطان حتى وان كانت سلطته وصلاحياته منزوعة من الشريعة ومن قبوله في المجتمع.

http://www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين الإسلامية لمقاومة الأديان

http://www.al-maktabeh.com

ومع هذا فانه بسبب الاحترام الكبير الذي حظي به القضاة والفئات الدينية فانهم غالبا ما قاموا بوظيفة المبعوثين والوسطاء.فمثلا في سنة ١١٠٤/٤٩٧ عين السلطان بركياروق القاضي ابو المظفر الجرجاني والقاضي ابو الفرج احمد الهمداني للتفاوض مع اخيه السلطان محمد من اجل الوصول الى تسوية نزاعهما[٦٨]. وعلاوة على ذلك فان القضاة والفئات الدينية كانوا بصورة عامة المتحدثين عن الناس ونيابة عنهم.فعندما انهزم بركياروق امام اخيه محمد ووصل الى واسط في سنة ٤٩٤هـ-٤٩٥هـ فان القاضي هناك التمس منه الرحمة والرأفة بالناس وطلب ارسال شحنة الى المدينة.وبعد اجتياز جيش بركياروق متجها صوب واسط شرع الجنود بنهب المنطقة فما كان من القاضي الا ان يطلب ثانية بان يكف السلطان هؤلاء[٦٩].

كذلك كان القضاة في الغالب يستثمرون من الخلفاء كوسطاء للتفاوض مع الشحن والاداريين الاخرين الذين يتجاوزون سلطاتهم في بغداد او حين يضطهدون الرعية.ففي سنة ٤٩٥هـ عندما وقعت فتنة Strife (نزاع)بين اهالي بغداد وبين الشحنة ايلغازي ارسل الخليفة قاضي القضاة والكيا الهراسي مدرس مدرسة النظامية لتسوية النزاع[٧٠].

وفي احيان كان القاضي يقوم بتنظيم الادارة والدفاع عن المدينة اثناء الاضطرابات،وفي هذه الطريقة يكون ايضا عاملا مساعدا في المحافظة وصيانة الحضارة الاسلامية وثقافتها.

ومهما يكن فليس في وسع الفئات الدينية الا في حالات قليلة توسيع أي نفوذ محتمل قد يحققونه في المجال الواقعي في ممارسات السلطة[٧١].ويرجع سبب هذا بالدرجة الاولى الى القانون نفسه(القانون

بمعنى الشريعة)اذ كان معنيا بعلاقات الناس في ما بينهم اكثر من علاقته بتحديد مفهوم او بتحديد للمبادىء المهمة التي يرونها تتعلق بعمل او وظيفة الماكنة الادارية او بالمحافظة على النظام العام.

فضلا على ذلك فان التأثير المحتمل للعلماء-على الرغم من ان الخطوة التمهيدية قد مهدتها او قدمتها بوضوح الدولة الى العلماء لا العكس- قد حدد بصورة اكثر لوجود الانقسامات الفقهية والشرعية داخل صفوفهم وكذلك بسبب استمرار التوازن بين الطرفين المتضادين في ما يخص علاقتهم بالسلطة الحاكمة. الحيرة والتردد انفسهما ظلا موجودين عما اذا يرتبط العلماء بالسلطة ام كلا على الاطلاق،وهي حالة قد ميزت العلماء الذين سبقوهم في ظل الحكم الاموي والعباسي.ظل هذا الامر مستمرا مضايقا عددا كبيرا من العلماء في الحقبة السلجوقية.

لقد ادرك الغزالي كل ذلك بوضوح بان وضع العلماء سوف يبقى وضعا موفقا طالما ظلوا يقدمون خدماتهم الى السلطات الدنيوية،وان الغزالي نفسه قد قبل منصب التدريس في المدرسة النظامية.ففي فصل من كتابه(كتاب العلم)الذي يتناول فيه الصفات المميزة للشخص المتعلم-المثقف-يذكر ان واحدة من هذه السمات للمتعلم هي ان يبتعد او يتجنب الحكام ويتفادى صحبتهم،على الرغم من الجهود المبذولة من جانبهم لاستمالته.ويذكر ان التعاون معهم سيورطه بالضرورة من ان ينشد هذا المتعلم استحسانهم وموافقتهم حتى وان كانوا ظلمة واشرارا[٧٢].ويحذر الغزالي المتعلم ايضا من التفكير بانه ربما سيكون مؤثرا جيدا في الحاكم او انه ربما سيقدر على اقناع الحاكم وحثه على التقيد بالشريعة،معتقدا او متصورا ان زياراته الحاكم انما هي جزء متمم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

للدين[٧٣].وقد ناقش الغزالي سلفا في كتابه(العلم)عزل الدين عن المؤسسة السياسية وذلك عبر توضيحه بان الخلفاء الراشدين وهم خلفاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خلفاء راشدين وائمة حقيقين،وانهم لم يكونوا بحاجة الى ان ينشدوا مساعدة الفقهاء.وعلى اية حال فان الخلافة قد انتقلت الى اناس لم يكونوا اكفاء او قادرين على ممارسة الاستقلالية في المسائل الشرعية او اتخاذ القرارات الشرعية.

وبذلك فقد نشد الخلفاء الى طلب المساعدة من القضاة وان يلحقوهم بالسلطة لكي يتسنى لهم مشاورتهم بشان اتخاذ القرارات الشرعية.وان نفرا قليلا من العلماء او المتعلمين قد تمسكوا بقوة من اجل فرض ما يمليه الدين،ورفضهم العمل في الدولة كقضاة او امتناعهم قبول الرواتب مقابل خدماتهم.

وبالنتيجة اضطر الخلفاء الى الالحاح في طلب العلماء لتولية القضاء والحكومات،فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من الولاة فأكبوا على علم الفتاوي وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب.فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين.ان غرضهم بالاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الغرض في الكلام.فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوي والاحكام

اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم.

فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله[٧٤].

ومع ذلك فان العلماء بالرغم من التحذيرات الدالة على الالم وبالرغم من التقدير الافضل لزملائهم فقد كانوا متعاونين او مندمجين ضمن هيكلية السلطة السلجوقية،وان الشؤون الدينية قد وضعت تحت الاشراف العام للوزير.وظل العلماء بقدر محدود يحمون مصالح الناس،ولكن طالما كان هناك اتجاه او ميل لان يتعاونوا او حتى يرتبطوا بالدواوينية او ان يحصلوا على اقطاعات او ضياع واسعة وبذلك يصبحون ضمن طبقة مالكي الاراضي،عندئذ فان وظيفتهم كناطقين بلسان الناس قد ضعفت وتقوضت.

اضافة الى ذلك طالما كان تنصيب الاداريين الدينيين المهمين في اغلب الحالات من الحاكم الدنيوي او بنصيحة منه(مع ان هذا نظريا كان من امتيازات الخليفة)،فان العلماء بالنتيجة قد نزعوا الى العمل كموظفين للدولة.فقد كان للسلطان او للوزير في الغالب اليد الطولى في اختيار قاضي القضاة،والجدير ذكره ان اول قاضي قضاة عين بعد سيطرة السلاجقة على العراق بعد استشارة الوزير الكندري[٧٥].ولتوضيح السبب الذي من ورائه لم يعد القاضي مطلوبا او مدعوا لاضفاء الشرعية على تبدلات الحكام اثناء الثورات التي تحدث في القصر،فان الاستاذة لامبتون Lambton تشير الى الاتي:-

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

"فمن الواضح بانه اذا ما كان القاضي نائبا للسلطان ويقوم بالعمل نيابة عنه،فانه ليس باستطاعته ان يضفي الشرعية على تولي السلطان السلطنة.ويكاد يكون من الافضل بالنسبة للقاضي ان يعمل هذا اكثر من ان يكون الوزير الذي كان نائبا للسلطان ايضا.ومن المرجح ان الامر اكثر اهمية عندما اعلن بركياروق نفسه سلطانا من قبل المماليك النظامية فان صاحب الري هو الذي امسك التاج فوق راسه لا القاضي.وكان الواجب الرئيس للقاضي تحت ظل حكم السلاجقة العظام الاشراف على المؤسسة الدينية نيابة عن السلطان،وهذا ربما يؤشر مرحلة اخرى من خضوع المؤسسة الدينية الى المؤسسة السياسية[٧٦].

ومع ان اولئك الذين كانوا مسؤولين عن تنفيذ اوامر السلطة الحاكمة ظلوا،كما هو متوقع،يستشيرون الفئات الدينية ويسعون الى الحصول على موافقتها الا ان الفئات الدينية في الواقع فقدت مكانتها المستقلة ازاء مواجهتها السلطات الدنيوية مدنية كانت ام عسكرية. والحقيقة، حسبما لاحظنا، فانهم احيانا قد وضعوا تحت السيطرة المباشرة للموظفين الاقليمين[٧٧].

ان الاشارة الوحيدة الى ديوان القاضي[٧٨] تشير الى استيعاب الفئات الدينية او تمثيلها في البنية الادارية وتؤشر المدى الذي صار فيه منصب القاضي بصورة خاصة ضمن الدواوينية.الفئات الدينية في الهيكلية الادارية ويؤشر المدى الذي صار فيه منصب القاضي،بصورة خاصة،ضمن البيروقراطية(الدواوينية).

وقد شاطر معظم القضاة بالاشتراك مع موظفي السلطة المدنية استعمال الالقاب[٧٩]وامتياز تعيين النواب[٨٠]. وكان هناك عوائل او أسر

من القضاة[٨١]،كما ان هناك اسرا من الاداريين،كذلك هناك اتجاه معين للوراثة في الوظائف[٨٢].

علاوة على ذلك فعندما اصبح التعليم متيسرا،وحينما وصل الموظفون الدينيون والاداريون الى هذه المناصب في الغالب من المصادر ذاتها،فانه ليس شاذا ان نجد القضاة والاداريين ينحدرون من العائلة نفسها[٨٣]. وان هناك مثالا لقاض انحدر من اسرة الدامغاني المعروفة قد استقال من منصبه ليقبل وظيفة حاجب في القصر.وكان والده قاضي القضاة، وكان اخوه قاضي القضاة عندما اتخذ قرار الاستقالة.فاذا ما كانت وظيفة الحاجب في القصر هي وظيفة قد حفظت او ادخرت عادة للموظفين العسكريين،وهو في الواقع تحول مهم في هذه الوظيفة،فانها تؤكد ايضا تنامي هيبة واهمية الفئات العسكرية في الدولة،وتؤكد ايضا الفوضى والارتباك بين واجبات ومهمات الموظفين المدنيين والعسكريين.فتذكر المصادر ان هذا الاجراء كان سببا في الارباك بالنسبة الى قاضي القضاة[٨٤].

واخيرا فان الاتجاه نحو دمج الوظائف الدينية مع الوظائف الادارية التي بلغت اوجها في النهاية باستعمال القاضي من السلطات العثمانية في حالات معينة كمجرد موظف حكومي قد لوحظ بشكل واقعي في ايام السلاجقة.وهناك امثلة كثيرة عن قاضي القضاة في بغداد وغيره من الموظفين الدينين الاخرين يعملون كنواب للوزير او وزراء للخلفاء؛وان احد الوزراء لاخر سلطان من سلاطين السلاجقة طغرل بن ارسلان بن طغرل كان قاضيا[٨٥]. فقد خدم قاضي القضاة ابو الحسن الدامغاني مثلا بوظيفة نائب وزير لكل من الخليفة المستظهر والمسترشد[٨٦].وكان

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

والده ابو عبد الله-قاضي القضاة قبل تسلمه الوظيفة-قد خدم ايضا كنائب وزير في مناسبتين خلال عهد الخليفة القائم والخليفة المقتدي[٨٧].

وكان نقيب نقباء العلويين علي بن طراد الزينبي وزيرا للخليفة المسترشد وبعد ذلك للخليفة المقتضي الذي نصبه السلطان مسعود خليفة بناء على اقتراح من الزينبي[٨٨].وعندما وقع نفور بين الخليفة ووزيره،فان الوزير علي بن طراد طلب اللجوء الى السلطان مسعود.عندئذ عين الخليفة ابن عمه وهو علي بن الحسين،وكان قاضي القضاة،ليخدم كنائب وزير اثناء غياب الزينبي[٨٩] .

وهناك امثلة عن قضاة عينوا وزراء او موظفين يمارسون سلطة مطلقة في ادارة المدينة او الاقليم في الدويلات التي اعقبت الامبراطورية السلجوقية ولاسيما في الموصل وسورية.

ومما يستحق الذكر بصورة خاصة الامثلة المتعلقة بالقاضي بهاءالدين ابن شداد[٩٠]في حلب والقاضي كمال الدين الشهرزوري في الموصل ودمشق[٩١].

العلاقة بين الخليفة والسلطان

ومع ان نظرية الغزالي تمثل بقاء الخليفة جنبا الى جنب مع وجود الخلافة فانها كانت تجربة او اغراء معاصرا لاعادة بناء النظام القديم[٩٢].

فالمكانة الموفقة للعلماء قد منعتهم من المحافظة على وضع روحي مستقل ضمن الدولة وكذلك منعتهم من المحافظة الفعالة على التوازن

بين السلطة والهيمنة بين الخليفة والسلطان.ومهما يكن فان الخليفة نفسه هو الذي افسد بقصد وفاعلية التوازن الدقيق الذي افترضه المنظرون.

فقد اغتصب البويهيون جميع السلطة الدنيوية من الخلافة العباسية،ولكنهم لم يحلوا تلك المؤسسة كما انهم لم يستبدلوا الخلافة بخلافة علوية تمثلهم(٩٣).وقد سمح للخليفة بان يستبقي على سكرتير او كاتب Chancery مع ان هذين المنصبين قد كانا منشغلين بقضايا تخص الخلافة ذاتها(٩٤).وصار الوزير موظفا مسؤولا بشكل مباشر امام الامير البويهي.

اما في الحقبة السلجوقية،كما لاحظنا،فكانت الخلافة والسلطنة هما مؤسستان منفصلتان متميزتان،مع خليفة محتفظ بامتيازاته ومسؤولياته بالنسبة للجماعة الدينية ومشرفا على نشاطاتها،وكان السلطان يدير الشؤون الدنيوية للسلطة.

كان تحرر الخليفة من سيطرة البويهيين احد الاهداف في تحقيق التعاون بين زعماء المذاهب والغزاة الاتراك،وكان السلاجقة يرغبون-كونهم من المعتنقين الجدد للاسلام-في اتاحة المجال للخلافة-كمؤسسة دينية في الاسلام-ان ترسم خطها الخاص.علاوة على ذلك فان السلاجقة كونهم غزاة غرباء عن الاهالي في بغداد فقد اعتمدوا على الشرعية الممنوحة لهم من الخلافة من اجل ترسيخ حكمهم.

والواقع ان هيبة تلك المؤسسة قد ازدهرت تحت حكم السلاجقة فلم يعد الخلفاء يخلعون بشكل اعتباطي كما حدث في مناسبات عدة فلم يعد الخلفاء يخلعون اعتباطيا كما كانوا في عدة مناسبات زمن

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

البويهيين[٩٥]، وقلما صارت توليتهم او اختيارهم للخلافة متأثرة بالسلاطين السلاجقة.وكان احترام السلاطين زعيمهم الديني في الغالب يتمثل بصيغ مادية عن طريق ارسال مبالغ ضخمة من الاموال وهدايا نفيسة الى الخليفة[٩٦].

وقد سمح للخلفاء في عهد السلاجقة بان يعينوا وزراءهم.ففي السنة الاولى من دخول السلاجقة العراق،انتهز الخليفة الفرصة في تعيين رئيس الرؤساء ابن القاسم علي بن الحسن بن مسلمة كوزير له[٩٧].ومهما يكن فان مهمات وزير الخليفة، في الاقل في البداية،ظلت عمليا كمهمات الكتاب زمن البويهيين؛وان التغير الذي طرأ كان مجرد تغيير في اللقب[٩٨].

لقد حظي منصب الوزير بقدر كاف من الاحترام والنفوذ بحيث كان الاشخاص تواقين الى شغلها حتى من دون اخذ مكافاة مقابلها.ففي سنة ٤٥٣هـ استقال ابن دارست من منصب في شيراز لكي يخدم الخليفة كوزير.وانه لم يوافق فقط ان يخدم الخليفة دون اقطاع انما عرض مقابل المنصب دفع مبلغ من المال مقابل تعينه[٩٩].وفي سنة ٤٥٤هـ صار فخر الدولة بن جهير وزيرا للخليفة.وكان قبل ذلك في خدمة ابن مروان في ميافارقين،وقد كتب الى الخليفة طلبا يطلب منه ان يعينه في المنصب.وعرض ايضا ان يدفع مبلغا كبيرا من المال لكي يخدم الخليفة[١٠٠].

ومن الطبيعي فان وزير الخليفة احيانا صار مهما كاهمية وزير السلطان.وانه-كوزير السلطان-حصل على سلطة قضائية.فعلى سبيل المثال كان ابو شجاع الروذراوري يعقد مجلس المظالم يوميا بين

صلاة الظهر وحتى صلاة المغرب[١٠١].وكانت مسؤولية ضبط الامن او النظام الداخلي،مع انها فنيا قد قلدت الشحنة،فانها كانت موزعة بين الخليفة وقواده الكبار.وهكذا ففي سنة ٤٧٨هـ ارسل ابو شجاع-عندما اندلعت فتنة في بغداد بين الاهالي في منطقة الكرخ وبقية اهالي المحلات-مجموعة من الميليشيا المحلية لاعادة النظام[١٠٢].كذلك تركت مسؤولية المحافظة او ديمومة العلاقات الجيدة بين الخليفة والسلطان الى وزير الخليفة،ولهذا السبب فقد سعى السلاطين الى تنصيب مرشحيهم في هذه الوظيفة.وقد أملوا،بهذه الوسيلة وكذلك بالمصاهرة،السيطرة على الخليفة ومنعه من الاصرار على السلطة المدنية الدنيوية.

كان التوازن في القوى والسلطة بين الخليفة والسلطان قد ابقي عليه بنجاح خلال مدة حكم ألب ارسلان بشكل خاص،ويرجع السبب بدرجة كبيرة الى السياسة التوفيقية والاسترضائية التي تميز بها الوزير نظام الملك،وكذلك الى الحقيقة التي مفادها بعدم وجود السلطان في بغداد او عدم اقامته في بغداد.وقد حدثت بعض ممارسات السيطرة على وزير الخليفة،فضلا على ان المصاهرة ظلت تؤدي دور عقد اتفاق بين الخليفة والسلطان وبين وزرائهما[١٠٣].

ومع ذلك فان التوترات بين الخليفة والسلطان ظلت موجودة منذ البداية وفي كثير من الحالات ظاهرة للعيان للصعوبة التي كان السلاطين يواجهونها في الاعم الاغلب في محاولاتهم تنفيذ سياساتهم المشار اليها اعلاه.وعلى سبيل المثال،فان الخليفة القائم عين ابن دارست وزيرا له في سنة ٤٥٣هـ على رغم الاحتجاجات العنيفة التي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ابداها وزير السلطان،عميد الملك الكندري،فقد اعترض الكندري على عدم كفاية ابن دارست وضخامة ثروته الخاصة[١٠٤].وكما رأى البنداري ففي هذه السنة رفض الخليفة بعناد وصلابة ان يعطي ابنته للزواج بالسلطان،لذا توترت العلاقة بينهما[١٠٥].ومرة اخرى عندما سعى نظام الملك الى ان يجعل وزيرالخليفة القائم،فخر الدولة،اداة لخدمة السلطنة عزله الخليفة وذلك لان فخر الدولة الوزير اتخذ موقفا تابعا او خاضعا للبلاط السلجوقي[١٠٦].لهذا ارسل السلطان محمد بن الحسين ابا شجاع(او ابا يعلى)الى بغداد حاملا لقب وزير الوزراء حاملا امرا بمصادرة نصف اقطاعات فخر الدولة.فامر عندئذ الخليفة بان لا يرحب بابي شجاع ولا يستقبله،فاضطر ابو شجاع الى الانسحاب والعودة الى السلطان[١٠٧].

وبصورة عامة،وكما اوضحت الامثلة السابقة،فان الخليفة مارس امتيازاته تحت الحكم السلجوقي اكثر بكثير مما هو عليه الحال في ظل البويهيين.ففي بغداد سكت النقود باسمه ولقبه،ولم تضرب في بغداد نقود،بعد عهد طغرلبك،تحمل لقب السلطان[١٠٨].وعلاوة على ذلك فمع ان اسم الخليفة كان دائما يذكر الى جنب اسم السلطان في خطبة صلاة الجمعة،لكن اسم السلطان قد اسقط في عدة مناسبات سواء كان ذلك في بغداد ام في غيرها[١٠٩].ويتضح الاحترام الذي ابداه السلاطين الاوائل للخليفة بتصرفاتهم وسلوكهم المتواضع والمحتشم في السلطان ملكشاه عند زيارته الاولى بغداد عام ٤٧٩هـ.فبعد ان خلع عليه الخليفة الخلع والسيوف لمنصبه طلب من الخليفة ان يسمح له بتقبيل يده.لكن طلبه

رد،فاكتفى ملكشاه بتقبيل خاتم مرجعه الديني الاعلى[١١٠] -المقصود الخليفة-.

مع ذلك فمن الواضح ان الاحترام الذي ابداه السلاجقة العظام للخليفة كان محدودا ولم يسمح له بالتدخل في شؤونهم السياسية.ولم تكن للخليفة أية سلطة دنيوية على الاطلاق في أي جزء من الامبراطورية- باستثناء الادارة المزدوجة غير الثابتة في بغداد[١١١] -.وقد ظلت هذه الحالة حتى موت السلطان محمد بن محمود ابن ملكشاه في سنة٥٢٥هـ/١١٣٠.ومن الطريف ذكره ان المصادر التاريخية قلما تذكر الخليفة بشيء من التفصيل بعد وصفها الدقيق للاحتفال بتقليد ملكشاه.ايضا فانه لم يذكر،الا نادرا،في الوثائق الرسمية الصادرة عن السلطان الى عدد من الامراء والملوك[١١٢].والحقيقة فان سلطة الخليفة الدنيوية قد ضعفت الى درجة كبيرة في عهود السلاطين السلاجقة الثلاثة الأول.فكان غير قادر على اهتبال الفرصة بشكل سريع اثناء الحروب والمعارك التي اعقبت موت ملكشاه،وهي الحروب من اجل السلطنة،وذلك لتأكيد استقلاليته.وواقعيا فانه كان في الغالب مضطرا الى ان يفوض السلطة الدنيوية حتى الى الاشخاص الثانويين؛ويظهر انه كان يذكر اسم أي من السلاطين الذين يتولون السلطنة بعد نزاعات مختلفة بصورة الية ونمطية.فكانت اسماؤهم تذكر في خطبة الجمعة في بغداد وتسك على النقود وكما لو كان ذلك حقا من حقوق هؤلاء[١١٣].

وفوق ذلك فالذي يبدو ان الخليفة كان عاجزا عن كبح زمام وطموحات الشحن في بغداد،هؤلاء الذين بدأوا باتخاذ اجراءات تعسفية واستبدادية في بغداد خلال النزاعات بين السلاطين السلاجقة التي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

اعقبت موت ملكشاه[١١٤].والعادة ان الخليفة كان يستدعي القاضي للتدخل اذا ما تطور الموقف الى فوضى كبيرة-كما لاحظنا سابقا-.

ولم يبدأ الخلفاء العباسيون بالانحياز الى احد المتصارعين في الصراعات المختلفة بين الاخوان الامراء الا بعد موت السلطان محمود ابن ملكشاه،وفتح لهم المجال في بناء قوة عسكرية تابعة لهم شخصيا.وكان نضال الخلافة من اجل ان تبرز كقوة دنيوية مهيمنة في العراق ليس سهلا مع السلاجقة على اية حال.انما كانت معركة معقدة وذلك لوجود وتدخل الاتابكة في الموصل والمزيديين في الحلة.اذ كان هؤلاء تواقين الى السيطرة على بغداد بله العراق وضمه الى مناطق نفوذهم.

واجه حكم السلطان محمد بن محمود في بغداد تحديا من عمه السلطان سنجر،ثم من اخيه مسعود.واعتمادا على ما ذكره الاستاذ صديقي Siddiqi فان هذه النزاعات بين السلاطين كان مبعثها مؤمرات دبيس بن صدقة المشهور.وفوق ذلك فان صديقي يعزو سبب مبادرة الخليفة المسترشد(تولى الخلافة من سنة ٥١٢هـ-٥٢٠هـ/١١١٨-١١٣٥) في تنظيم القوات العسكرية الى ما قام به دبيس من تحركات وافعال.وقد برهنت هذه القوة العسكرية على انها مفيدة للخليفة ومن جاء بعده ضد السلاطين السلاجقة[١١٥].

وبعد ان دحر السلطان سنجر محمود ثم الاعتراف به كسلطان اعظم في بغداد عام ٥١٣هـ/١١١٩.ومنذئذ فصاعدا فان السلطان سنجر الذي ظل مقيما في خراسان اصبح هو السلطان الرسمي وصار اسمه يذكر في الخطبة ويضرب على السكة.وكان هذا الحدث الاول في تاريخ

الخلافة بان حاكما يمنح مثل هذا الشرف من دون استحواذه على بغداد ذاتها،فهو حدث لم يسبق له مثيل[١١٦].وعلى اية حال فان الامراء الذين كانوا في بغداد سموا انفسهم ايضا بالسلاطين،وذكرت اسماؤهم في الخطبة وضربت على النقود من دون ذكر اللقب هذا[١١٧].

وبعد ان توصل سنجر الى معاهدة صلح مع محمود وجعله وريثا له وامر ان تتضمن خطبة الجمعة ذكر اسمه في جميع ارجاء الامبراطورية،واعلم الخليفة بعدئذ بهذا الاجراء.

فيقول صديقي:-كان هذا الاجراء هو الحد الاقصى للتجاوزات على امتيازات الخليفة من السلطان.صار الان السلطان سنجر هو الذي يمنح السلطة في العراق الى الشخص الذي يريده،ولكن كان يجب على الامراء المعنيين ان يحلفوا بالولاء الى الخليفة وان يتسلموا عهد التولية منه بالمقابل،وذلك يرجع الى ان ادارة العراق كانت مرتبكة[١١٨].

ولمدة محددة اتحد الخليفة مع السلطان محمود ضد دبيس المزيدي،وقد هزم الخليفة في النهاية دبيسا سنة ٥١٧هـ/١١٢٣.وكان لهذا الانتصار تاثير معنوي كبير في معنوية الناس وفي اعادة تعزيز هيبة الخليفة الى درجة معينة.وفي عام ٥٢٠هـ/١١٢٦ وقع صراع معلن بين الخليفة والسلطان في بغداد حينما تورط الخليفة في النزاع بين وزيره وشحنة السلطان.ثم رتب السلام ثانية بينهما عام ٥٢١هـ/١١٢٧ بعد نوبة مرضية حلت بالسلطان وقد عزاها الى حربه ضد الخليفة[١١٩].وتطور الوضع الى ان اصبح اكثر تعقيدا اثناء الحروب من اجل السلطنة التي اعقبت موت السلطان محمود ثم ان نجدة أي من الجانبين-كما يقول البنداري-السلطان سنجر وهو السلطان الفعلي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

والخليفة صاحب السيادة الشرعية de jure في العراق كانت مطلوبة من الاطراف المتصارعة[١٢٠].

لقد انتهز الخليفة المسترشد، بعد موت السلطان محمود في ٥٢٥هـ/١١٣١، فرصة النزاع الذي حدث بين داود بن السلطان محمود واخيه(عم داود)مسعود وذلك باثارة هؤلاء المدعين بالسيادة على العراق بعضهم ضد الاخر.وتوترت العلاقات مع السلطان سنجر وذلك لتورط الخليفة في هذا الصراع بين داود ومسعود؛وعندما اسقط الخليفة اسم السلطان سنجر من الخطبة في عام ٥٢٦هـ منح السلطان الحلة الى دبيس المزيدي وشجعه على التقدم عسكريا نحو بغداد.ووصل الامير زنكي مع دبيس واجبرا المسترشد على ان ينقلب على عقبيه بعد ان قاد جيشا وبرفقته الملك سلجوقشاه ومسعود ضد السلطان سنجر.وبعد ذلك دحر سنجر سلجوقشاه ومسعودا ونصب طغرل بن محمد سلطانا على العراق.اما الخليفة فانه هزم دبيس وزنكي وقدم مساعدة الى الامراء داود ومسعود،لكنه مع ذلك لم يستطع ان يطرد طغرل.ومهما يكن فقد مات طغرل سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤ وصار مسعود سلطانا في العراق.

وبعد فترة قصيرة تورط الخليفة باعلان الحرب ضد السلطان الجديد.وقد دحر السلطان الخليفة واسره مع قادته.وتوصلا الى السلام شريطة ان لا يعاود الخليفة محاولة اخرى في تولي القيام بالسيادة الدنيوية.وعلى اية حال فان الخليفة الراشد الذي اعقب المسترشد رفض الالتزام بشروط المعاهدة ورفض دفع الاتاوة الى السلطان مسعود.ومن

ثم فقد حصل السلطان على فتوى لخلع الراشد،ونصب بناء على مشورة الوزير السابق للمسترشد علي بن طراد الزينبي المقتفي خليفة بدله.

وقد اتخذ الخليفة المقتفي،مع انه كان معينا من السلطان،موقفا اكثر استقلالية من أي من الخلفاء الذين سبقوه،ولاسيما بعد موت السلطان مسعود في عام ٥٤٧هـ واسرت القبائل الغزية السلطان عام ٥٤٨هـ.وبعد موت السلطان مسعود فان جميع الضياع والممتلكات التي كان يمتلكها موظفو السلطان واتباعه قد قسمت الى اقطاعات ووزعها الوزير ابن هبيرة،وزير الخليفة،على مؤيدي او انصار الخليفة.وقد كوفيء الوزير ابن هبيرة،اعترافا بالنصيحة العسكرية التي ابداها،وباعماله البطولية ضد مختلف ملوك السلاجقة وامرائهم بلقب سلطان العراق امير الامراء[١٢١].وان الكثير من الامراء ممن كان في السابق من مؤيدي الملوك السلاجقة قد اعطوا ولاءهم الان الى الخليفة المقتفي في محاولته تعزيز السلطة الدنيوية للخليفة في العراق.

ولم يسمح الخليفة المقتفي الا بذكر اسم السلطان سنجر فقط واسم وريثه على السلطنة سليمان بن محمد في الخطبة وعلى السكة(النقود).وبعد ان حرم السلطان محمد بن محمود امتيازاته في العراق اقدم على فرض الحصار على بغداد ولكنه لم يحصل على الاذن بدخولها او الاعتراف به سلطانا.ولذلك اضطر محمود في نهاية المطلف الى الانسحاب نتيجة لتهديد اخيه ملكشاه بالزحف على همدان مقر محمود.فاغتنم الخليفة فرصة انشغال الامراء والامراء المتنفذين في النزاعات في مناطق اخرى لتعزيز مكانته في العراق.فابتدأ باختيار عدد من الشخصيات البارزة من العبيد الارمن والبيزنطيين(فقد كان لديه

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

مملوك تركي واحد فقط[١٢٢])حيث رفعهم وقلدهم اسمى المراتب.وعمل ايضا على تقوية اسوار بغداد وحفر الخنادق حول المدينة واسس نظاما من الجاسوسية وتعقب الاخبار ونظم ادارة الاقاليم[١٢٣].

وعندما توفي السلطان سنجر عام ١١٥٧/٥٥٢ فان سليمان شاه الذي كان الخليفة قد وافق على انه وريث او خلف سنجر.فقد نصب سلطانا بشرط ان يكون العراق تحت نفوذ الخليفة وان يكتفي سليمان شاه بكل ما يمكنه الاستحواذ عليه(او اعادة غزو)البلدان في خراسان[١٢٤].وعندما وافق على هذه الشروط قرئ اسمه في الخطبة في بغداد وقلد الخلع وخلع عليه وقلده السلطنة وعهد اليه جزءا من جيش الخليفة.وعين الخليفة له وزيرا لخدمته[١٢٥].ولكن السلطان ملكشاه بن محمود طالب بان تقرأ الخطبة باسمه بدلا من سليمان،وهدد في حالة الرفض ان يهاجم بغداد اذا لم تقرأ الخطبة باسمه.وبعدئذ سم(في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠)بامر من وزير الخليفة[١٢٦].وبعد مدة وجيزة خلع جماعة من الامراء سليمان من السلطنة اذ مات في السجن عام ٥٥٦هـ[١٢٧].

وبموت سليمان بلغت السلطنة السلجوقية في بغداد نهايتها المقررة.فقد حاول ارسلان بن طغرل(الذي جعله سليمان ومستشاروه خليفة له)واتابكه ايلدكز ان يضمن ذكر ارسلان في الخطبة في العراق،ولكن رسولهما طرد من بغداد. وان اخر سلطان سلجوقي، طغرل بن ارسلان بن طغرل، اصطدم بالخليفة الناصر، محاولة منه في احياء او انعاش ادعاءات السلاجقة ببغداد، كان الخليفة الناصر مرتاحا

لمشاهدة راس طغرل معروضا من على إبواب قصره في سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤.

لقد كان الخلفاء- في كفاحهم من اجل السلطة الدنيوية مع السلاجقة- قادرين على صنع دولة مستقلة صغيرة،يتمتعون فيها ليس بالنفوذ او الهيمنة الدينية انما بالسيادة الدنيوية. ومع ذلك يقول البروفسور صديقي:-

ان هذه الدولة الصغيرة لم تكن توجد من خلال حقوقهم في المرجعية الدينية... لكن على اسنة السيوف... ويرجع سبب نجاحهم بشكل رئيس الى الحروب المستمرة على تولي السلطنة بين المطالبين بالسلطة من السلاجقة. وقد زامن هذا ظهور خط من الخلفاء النشيطين[١٢٨] والطموحين.

ومهما يكن فان سلطة الخليفة الدنيوية في بلاد فارس قد تلاشت تماما. ففي كرمان لم يمنح الحكام اطلاقا أي تقليد او شرعية بسلطتهم بشكل مباشر من الخليفة، ولهذا فليست لهم أية علاقة سياسية بمؤسسة الخلافة. وانفصلت خراسان ايضا من الخلافة سياسيا. فلم يتجدد تقليد السلطان سنجر ابداء فكانت لخراسان صلة بالخلافة لسبب يسير وهو ان حاكمها صار السلطان الرسمي ولذلك ينبغي له ان يتعامل مع مراكز السلطة[١٢٩] الرئيسة.

ولذلك فان تجديد تقليد الشرعية في الحقبة السلجوقية للحكام قد آل الى الاهمال. فهناك انفصال تام للوظائف الدينية والدنيوية للخلافة كمؤسسة. وكما يذكر صديقي:- ان النظرية الشرعية للخلافة وعلى وفق مذهب او مبدا الاختيار لتوكيد السلطة الدينية العليا قد إخفت

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بالحقيقة التي مفادها ان الخلافة التاريخية قد تحولت الى سلطة دنيوية مدعومة بقوة[١٣٠]عسكرية. وفي واقع الحال فان الخلفاء لم يختلفوا عن الامرأء الاخرين الثانويين وهم يناضلون في سبيل تثبيت سلطتهم الدنيوية وذلك بانحدارهم او بنزولهم الى ميدان الصراع السياسي political arena فخسروا اخر آثار او بقايا سلطتهم الدينية وحقهم في تمثيل الوحدة الروحية للاسلام.

استنتاجات:- الضعف التنظيمي لهيكلية السلطة السلجوقية

من الممكن ان نشير، في هذه الدراسة الموجزة عن المؤسسات الادارية والسياسية للامبراطورية السلجوقية، الى ان هناك ضعفا معينا او قصورا في هيكلية التنظيم الادارية ذاته الذي اسهم في النهاية الى فشل السلطة السلجوقية.

والاكثر وضوحا في ذلك القصور هو الميل الى اللامركزية الذي وجد في الفهم التركي للقيادة الممنوحة او المناطة بجميع افراد العائلة، وعزز هذا القصور فساد نظام الاقطاع العسكري الذي سنه نظام الملك، وظل هذا القصور مستمرا بالوجود الدائمي والمستمر للاقاليم المستقلة وشبه المستقلة التي لم ترتبط بالهيكل الامبراطوري المركزي الا برباط واه ومهلهل.فتقسيم الامبراطورية الى امارات صغيرة وثانوية؛ وكذلك الصراعات السياسية التي لا نهاية لها في القرن الثاني عشر/السادس الهجري، والمشاكل الادارية والتنظيمية التي شملت او غلفت التغييرات المستمرة للعاصمة وكذلك لوجود وظهور مواقع واماكن متعددة للقوى،

وكذلك لتنامي وتكاثر انتهاكات الفئة العسكرية في الانشطة كافة، كل هذه العوامل توضح او تبين الآثار المفجعة الاساسية للا مركزية.

لم يكن هذا الاتجاه العام نحو اللا مركزية معادلا او موازنا بنظام اداري مركزي او موحد. في الواقع، فان انهيار او انحلال الخلافة العباسية يوضح المدى الذي شوهت او حجمت discredited فيه التقاليد الساسانية الحقيقية للملكية المركزية، والارستقراطية المتنفذة والطبقة الدينية التي نظمتها من قبل مبادىء الايدلوجية الاسلامية. ان تكرار او تجديد تركز السلطة من جانب السلطان السلجوقي كان امرا غير مقبول، مع ان الدويلات الاسلامية المتأخرة او اللاحقة قد اديرت بنجاح على هذه الاسس.

على العكس فانه في العهد السلجوقي كان الهيكل العام لنظام السلطة قائما على اساس تقسيم السيطرة(سواء كان في المركز ام في الاقاليم) بين السلطات العسكرية والمدنية التي تعمل نيابة عن السلطان. ومع ذلك فان هذا النظام لتقسيم السيطرة قد اثبت بانه حل غير كاف للمشاكل القائمة انذاك، اخذين بالحسبان القوة الكامنة للفئة العسكرية في امبراطورية كان هدفها الاساس استخدام القوة او التهديد باستخدامها، وكذلك عدم كفاية الدواوينية والادارة المدنية لان تعمل كقوة فاعلة موازنة لهذا النظام.

علاوة على ذلك فان النظرية الفقهية السائدة التي صورت التوازن بين السلطة والقوة، اذا لم تكن السلطة)الفعلية، بين السلطان والخليفة والعلماء اخذت بالحسبان حالة هي برغم ذلك غامضة لانها قد حدثت في تلك اللحظة التاريخية المعينة. وان اقل تغيير في هذا التوازن الدقيق

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

يؤدي الى نتائج منذرة بكارثة للنظام برمته. وكما ذكرنا في السابق، فان العلماء- حيث من المحتمل انهم يحافظون على النظام- قد فشلوا في مهمتهم. فلم تكن مسالة المحافظة على الاستقلال الروحي للمؤسسة الدينية المالوفة ضد تنامي السلطة الدنيوية واستبداد الامراء فقط، انما صار الاستقلال الروحي معرضا للخطر تماما. وهكذا فقد كان العلماء والفئات الدينية ليسوا فقط غير قادرين على نقل نفوذهم الكامن الى مؤسسة سياسية تستطيع ان تمد الانشطة اليومية للحكومة بالسلطة الفعالة، بل انهم كلية كانوا يعملون في اكثر المناسبات نيابة عن الحكومة.

فضلا عن ذلك فقد ساعد الخليفة نفسه على عدم استقرار الموازنة وذلك عن طريق محاولته اعادة توكيد سيادته او سلطاته الدنيوية بالنزول الى ميدان الصراعات السياسية الثانوية. فاصبح لا يختلف كثيرا عن مختلف الامراء الدنيويين الذين يتقاتلون من اجل السلطة والنفوذ وبذلك فقد اخر ما تبقى من نفوذه وهيبته كزعيم للمجتمع الديني.

وفوق ذلك فانه طالما اصبحت المؤسسة السياسية هي المهيمنة على المؤسسة الدينية، تلك المؤسسة التي كانت كما يقول هملتون جب: مؤسسة ضخمة جدا ومرتبطة بشكل وثيق بالسلطة العسكرية من ان تربط باي تحديد ظاهري او خارجي لحالتها الخاصة[١٣١]، في المقابل كانت السلطنة نفسها قد ضعفت وفي نهاية المطاف قد قضي عليها نتيجة عجز او قصور الادارة المدنية لان تبقى كعامل ضبط على القوة العسكرية للسلطة سواء كان ذلك في المركز ام في الاقاليم.

ومع ان النظام الاداري والسياسي للامبراطورية السلجوقية قد فهم على انه يعمل على اساس من النظام الدقيق من عوامل الضبط والموازنات، ولهذا السبب فان هذا الحل ربما عد على انه استجابةسلبية املتها الضرورة، وحفزتها النفعية. وقد سمح الانهيار النهائي للسلطة السلجوقية للمتتبع ان يعد اللا مركزية، وتوزيع السلطة، والتوازن في النفوذ والسلطة كعوامل ضعف في الهيكلية الادارية التي تبناها السلاطين الاوائل ومستشاروهم. والمسالة التي تستحق دراسة متباينة او تستحق اهتماما دقيقا، على اية حال، هي السؤال الاتي: لماذا لم يستطع السلاجقة تحويل عوامل الضعف الى عوامل قوة؟ ولماذا لم يكن بمقدورهم بناء او ترتيب عناصر الاستقرار داخل الهيكل الاداري الذي قد تبنوه لكي يدعموا او يسندوا نظامهم وبذلك ينعمون بنجاحه لمدة زمنية اطول مما هو الحال واقعيا.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثاني

الوزير ومنصب الوزارة: (عدم الاستقرار الداخلي)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

(١)

عدم الاستقرار الداخلي

(أ) مقدمة

توجد هناك مؤسسة مهمة اخرى الى جانب العلماء كانت تعمل كعامل استقرار داخل الدولة السلجوقية وكذلك قد ادت دور الضابط على مختلف القوى المسببة للخلاف والنزاع التي كانت فاعلة على الصعيدين الداخلي والخارجي. وكانت هذه المؤسسة الذراع او القوة المدنية للسلطة، فاذا ما استطاعت الادارة المدنية المحافظة او الابقاء على سيطرتها على الفئة العسكرية(من خلال سيطرتها على الارض وواردها)، واذا ما اثبتت انها قادرة على تحدي او مقاومة العرض المحتوم والمتعذر اجتنابه لسيادة الارستقراطية العسكرية على مستويات الانشطة كافة ، واذا ما اثمرت التجربة الجديدة في مجال التعليم بصورة ناجحة جدا في احلال القيم الاسلامية والاخلاق الاسلامية محل الكثير من التقاليد الساسانية المتجانسة في الطبيعة في ادارة شؤون الدولة، بدلا من الارتباط السطحي للفئة الادارية بالمؤسسة الدينية. فمن المحتمل انه اذا ما لتُبيّت هذه الظروف فربما ستنتج مؤسسة اسلامية سياسية. اما اذا كانت مثل هذه الحكومة تستطيع ان تحافظ على او تديم نفسها وذلك ان تقدم للحالة التاريخية الواقعية وللطبيعة التجريبية لنظامها، فهذه مسالة معروضة للنقاش.

فنظام الادارة المدنية، على اية حال، حتى وان كان المنظمون الاوائل للامبراطورية قد فهموه على انه شيء جديد ومختلف، حتى وان كان من الوجهة النظرية قد ساعد على تطوير مؤسسة مستقرة وفاعلة بالنسبة الى السلطة. فان هذا النظام يتضمن عناصر متشابهة ووثيقة لتلك الادارات المدنية التي سبقته. فالبيروقراطية، والدواوينية قد فشلت في ادراك الاحتياجات الاخلاقية المعنوية والاجتماعية والسياسية الفعلية للمجتمع ككل، وكما هو الحال عند البيرقراطيين او الدواوينيين السابقين الذين قد ظلوا ينظرون الى مؤسسة السلطة بالدرجة الاولى بمنظور سياسي فان طاقتهم قد وجهت نحو المحافظة على مصالحهم الخاصة ومواقعهم في الدولة.

ولما كانت المعلومات المفصلة والمتماسكة بشان معظم المؤسسات السياسية والادارية للسلطة المركزية قليلة او جديرة بالاهمال. فانه من المحتمل ان التوضيح الافضل لفشل الادارة المدنية في ان تتطور الى ادارة مستقرة للسلطة من خلال نظرة فاحصة الى تلك المؤسسة التي نعرف عنها الكثير والتي كانت المؤسسة الخطيرة للنظام وهي: الوزارة السلجوقية. عبر مثل هذه الدراسة عن الوزارة، وعلى وجه الخصوص عن الوزير نفسه، ومهماته، وتجنيد(او تحشيد) خدماته وتعليمه ودرايته وتدريبه وخلفيته الثقافية واهتماماته وامتيازاته والمخاطر المحدثة بمنصبه فعبر ذلك يصبح واضحا بصورة اكثر. السبب الذي يثار لماذا لم تصبح الادارة المدنية عنصرا داخليا للاستقرار، ذلك الاستقرار الذي يحتاج اليه المجتمع وسلطته المنظمة.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

كانت الوزارة بمجيء السلاجقة قد اصبحت سمة راسخة جدا في الحكومة الاسلامية او مارس الوزير سلطة كبيرة اكبر من أية مدة سابقة نيابة عن السلاطين الاتراك الذين لا يمتلكون أية خبرات وكانوا اميين[١٣٢] بشكل عام. وكان الوزير السلجوقي اشبه بالمحور المركزي للماكنة الادارية، وكنائب رئيس للسلطان، فقد كان مسؤولا عن جميع الجوانب الادارية التي كانت تقع ضمن نطاق السلطة القضائية للحكومة المركزية. واعتمادا على ما ذكره البروفسور بارتولد:- انه بسبب تسلم الوزير مسؤولية كبيرة جدا فان تدخل العاهل والحاشية في البلاط يؤدي احيانا الى تاثيرات معيقة على مجرى شؤون الدولة وتصرفها. ويستمر قائلا ان هذا هو الذي جعل نظام الملك يبذل جهدا للتقليل من ارسال الاوامر المكتوبة المرسلة[١٣٣] من البلاط قدر الامكان وان ترسل الاوامر الشفهية الى الديوان لمناقشتها ثم اعادتها الى السلطان للتاكد منها في حالات الشك فيها[١٣٤].

ومن دون شك فان المؤهلات الشخصية تحدد فيما اذا كان السلطان او الوزير مسيطرا بالفعل على شؤون الدولة خلال مدة زمنية محددة[١٣٥]. وفي حالة نظام الملك، فان نفوذه غير العادي وسلطته قد ادت حتما الى تصادم بينه وبين ملكشاه. وبصورة عامة لان جميع السلطة كانت تفوض وانها لهذا السبب تكون شخصية بدلا من كونها مؤسساتية فان المعيار الذي اتخذ لتعيينات السلطان قد عكس قوته او مواطن ضعفه. وهكذا فان سلطانا قويا او وزيرا قويا او العكس سلطانا ضعيفا او وزيرا ضعيفا قد يؤثر بسهولة في الاداء الوظيفي لاجهزة السلطة. وعلى اية حال فانه في نهاية الحقبة السلجوقية وعندما كانت

القوى الداخلية والخارجية للتوتر والتقسيم تعمل عملها معا. صار ليس بمقدور الوزير وان كان قويا ان يقف ضد مجرى الاحداث والظروف التي ربما يجد نفسه مواجها اياها.

(ب) مهمات الوزير

١-الوظيفة المالية:-

لما كانت مهمة السلطة الرئيسة جمع الضرائب، فقد صار الجانب المالي هو الجانب الاكثر اهمية بالنسبة الى الوزارة. وكما هو الحال في الدويلات السامانية والغزنوية فقد كان الوزير في الاساس هو المسؤول عن ابقاء الدولة في حالة مالية جيدة وانه كان يؤمن على خزين من المال كاحتياطي في حالات الطوارىء.وبناء على ما ذكره نظام الملك:-

انما يحفظ المملكة في حالة انتظام هم جامعو الضرائب، وان رأس جميع هؤلاء جُمّاع الضرائب والموظفين الاخرين هو الوزير(١٣٦).

لقد حفظ ديوان الاستيفاء حسابات الدخل والمصروفات العامة، لكن على الوزير ان يقدم البينة والثبت الى السلطان كما توضحه القصة المعروفة جيدا بشان النزاع الذي وقع بين نظام الملك وحسن بن صباح الذي كان آنذاك كاتبا في ديوان الاستيفاء(١٣٧).

فالكثير من الوزراء كانوا ينظمون او يوجهون السياسة المالية وكانوا هم المسؤولين عن فرض الضرائب او الغائها. فنظام الملك قد فرض الضرائب او الاتاوة على الحكام في الاطراف النائية من المملكة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وكذلك على الاقاليم والمدن الكبيرة[١٣٨]. وقيل ان أعز الملك ابو المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركياروق قد اضطر، بسبب فراغ الخزينة، الى مباشرة سياسة مالية جعلته مصدر خوف وبغض[١٣٩] من الناس.

وقد الغى السلطان محمود بن محمد، بمناسبة موت كمال الدين السميرمي المكوس(وهي ضرائب غير شرعية) التي كان وزيره قد فرضها على التجار والباعة[١٤٠].وحاول كمال الدين محمد الخازن وزير السلطان مسعود تنفيذ اصلاح مالي شامل كانت نتائجه الجيدة في بداية ظهورها عندما دبر اعداؤه خطة لمحاصرته وقتله[١٤١].وان الوزير الدركزيني الذي خدم كلا من طغرل بن محمد بن ملكشاه والسلطان سنجر،قد وجه امراً في مؤامرة تورط فيها المستوفي الصفي الاوحد ابو القاسم،لضرب او سك الف دينار همداني وتنفيذ صفقات تجارية بها بذريعة دمج كل من العملة العراقية والخراسانية بخط منسجم ومتوافق[١٤٢].

وكان من صلاحية الوزير كونه رئيس الادارة المالية(اكثر من كونه موظفا في البلاط)ان يشرف على المصروفات وعلى متطلبات الاسرة الحاكمة والقصر السلطاني[١٤٣].فكان كمال الدين محمد الخازن وزير السلطان مسعود مثلا مشرفا على نفقات السلطان الخاصة بالمؤن والارزاق اليومية[١٤٤].

وكان الوزير يشرف ايضا على دفع الارزاق نقدا على افراد الجيش النظامي وذلك عن طريق احد الموظفين التابعين له المسؤولين عن ذلك وهو عارض الجيش[١٤٥].وقد منحت هذه الوظيفة الوزير والسلطة

المركزية السيطرة او الهيمنة على الفئات العسكرية.ومهما يكن فان سيطرتها على الماكنة العسكرية قد تدهورت حينما بدأ الجنود اكثر فاكثر يتقاضون بدلا عن رواتبهم اقطاعات من الاراضي وحينما اصبحت الاراضي او البلدان الامبراطورية تنقل بهذه الطريقة بعيدا عن الاشواف المباشر للادارة المدنية.

ويعتمد المدى الذي يقوم فيه الوزير بمنح الاراضي المخصصة كوسيلة لمحاولة السيطرة على الامور على شخصيته فلقد عمل نظام الملك بصورة مستقلة عن السلطان في هذا الجانب مثلا سيد الرؤوساء،نائب ديوان الانشاء،في محاولة منه لتشويه سمعة نظام الملك في عين السلطان ملكشاه وقد اتهمه بانه كان سخيا جدا في تخصيص وتعيين الحكام[١٤٦].

وقد وزع البروجردي،وزير السلطان مسعود،الاقاليم من دون ان ياخذ رأي السلطان في هذا الموضوع.والواقع فان ابن الاثير يعلق على ذلك بانه بقدر ما كان الامر متعلقا بالاراضي التابعة للامبراطورية لم يترك للسلطان أي شيء .وان لقب منصبه كسلطان فقط يشير الى مركزه النظري في السيادة[١٤٧].فقد منح كمال الدين محمد الخازن،محاولا الاصلاح،الاقطاعات والعلاوات للامراء فقط تبعا لاعداد جيوشهم[١٤٨].وبصورة عامة فمن الناحية النظرية فان توزيع الاقطاعات والاراضي قد بقيت للعاهل الدنيوي نفسه.

وكما لاحظنا سابقا فان خزينة السلطان الشخصية[١٤٩]كانت في أيدي موظف بعيدا عن نطاق سلطة الوزير والادارة المدنية.مع ان خازن السلطان كان في منزلة لها تاثير في اعمال الادارة المدنية لما

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

يمتلكه من وصول مباشر الى سمع سيده واهتمامه ولهذا السبب يمكنه ممارسة نفوذه لصالح الوزير والموظفين رفيعي المستوى او ضدهم(١٥٠).

٢-الجيش

وكان للوزير،فضلا عن مهماته المالية،وظيفة عسكرية،فكان في الغالب مسؤولا على تجنيد الجنود ولاسيما خلال الحقبة الاولى للتوسع الاقليمي السريع؛عندما شرع بالقيام بالعديد من الحملات العسكرية على جميع المناطق الحدودية.وعلى اية حال فان الوزراء في المدة التي اعقبت حكم ملكشاه من امثال سعد الملك وزير محمد بن ملكشاه قد جمعوا او حشدوا ايضا الجنود في خدمة السلطان(١٥١).

وكان من المتوقع ان يرافق الوزير السلطان او الخليفة اثناء الحملات العسكرية(١٥٢).وغالبا ما كان يدعى لتسيير الحملات او تولي قيادتها شخصيا)فالوزير ابن جهير وزير الخليفة ونجله عميد الدولة ارسلا نيابة عن السلطان لاجل اعادة توكيد سيطرة السلطة المركزية على المروانيين والعقيلين(١٥٣)، ويحدث هذا بشكل خاص عندما يكون فيه الوزير مهملا او منقوما عليه.والواقع اننا قد عقبنا على دور الوزير ابن هبيرة،وزير الخليفة،اثناء صراع الخلافة من اجل ان يبرز كقوة مهيمنة في العراق(١٥٤).وفي سنة ٥٨٣هـ أعد الخليفة الناصر لدين الله جيشا لمحاربة طغرل بن ارسلان بن طغرل وجعل قيادته بأمرة الوزير جلال الدين بن يونس.ومهما يكن فقد انهزم الجيش هزيمة نكراء وقُبض على الوزير(١٥٥).فالوزراء في هذه الحقبة المتاخرة قلما

كانوا يذكرون الا في حالات كفايتهم كقادة جيش وهم يمثلون مطاليب او ادعاءات الخليفة او السلطان او الامير.

٣-المهمات القضائية والدينية

لقد تناول البحث في اعلاه دور العلماء ووظيفة القاضي داخل الدولة السلجوقية.فيذكر نظام الملك في كتابه سياسة نامه بخصوص وظيفة القضاء وعلاقتها الوثيقة بمهمة العالم(١٥٦)،لكنه يؤكد او يشدد ايضا على وضعية القاضي والفئات الدينية داخل الهرمية الادارية(١٥٧)التي كان يرأسها.لذلك فليس من المثير ان نجد الوزراء يمارسون الاشراف العام على الشؤون الدينية والقضائية.

اما القضايا التي لا تعنى بها هيئة الشريعة،خاصة تلك التي يبدو فيها القضاء محدودا جدا بالشؤون التي تشمل الاوضاع الشخصية،فانها تندرج ضمن نطاق سلطة الوزير(١٥٨).فمثلا مسؤولية تولي مجلس المظالم اذ كانت العادة ان يفوضها السلطان الى نائبه الرئيس/وبناء على رأي اج. اف.امدروز Amedroz:-

فان رواية الماوردي عن كرسي المظالم تبيّن بان في جذور نشاتها استعانة استثنائية للعاهل شخصيا من اجل العدل والانصاف. وقد صارت تطبيقا يوميا يعرض على ممثله في ان يعالج بالتوفيق طبقا الى ممارسة قد اتفق(١٥٩)عليها.

ويذكر ان ابا شجاع الروذراوري، وزير الخليفة، قد تولى مجلس المظالم يوميا بين الظهر حتى صلاة المغرب(١٦٠).

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وكان للوزير دوما اليد في اختيار قاضي القضاة وتعيينه كما مر بنا وانه كان بامكانه تعيين الموظفين القضائيين الذين كانوا يرأسون مختلف المجالس امثال صاحب الشرطة(او الشحنة) الذي كان ينفذ واجبات الشرطة، والمحتسب الذي كان مسؤولا عن الجوانب الاخلاقية[١٦١]. علاوة على ذلك فقد كان الوزير في العادة مسؤولا عن ادارة المؤسسات الدينية والاوقاف. وكان الوزير ايضا يساعد على رعاية الفئات المتعلمة في بناء المدارس والجوامع، ويرعى المتصوفة المكرسين للعبادة حيث كانوا يمثلون الاتجاه الديني[١٦٢].

٤- مناسبات الاحتفالات

ومارس الوزير عملا مهما كونه ممثلا عن الخليفة او السلطان اثناء المناسبات والاحتفالات. فقد كان الوزير هو الذي يقدم في العادة قسم الولاء الى الخليفة الجديد نيابة عن[١٦٣]السلطان، فقد قدم عز الملك بن نظام الملك، بمناسبة موت الخليفة المقتدي، قسم البيعة الى الخليفة المستظهر ثم توجه الى بركياروق لاخذ قسم البيعة منه[١٦٤]. وفي سنة ٤٧٩هـ عندما استقبل الخليفة ملكشاه وقواده، فكان الوزير نظام الملك هو الشخص الذي قدمهم واحدا بعد الاخر الى الخليفة[١٦٥]. علاوة على ذلك فقد كان الوزير في الغالب يقوم مقام الوكيل او الوصي في المصاهرات بين مختلف افراد اسرتي الخليفة والسلطان، وعندما خطبت ابنة الخليفة القائم الى طغرلبك سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢ فان وثائق هذه الخطبة قد دونت باسم الكندري[١٦٦] وزير السلطان.

مكتبة المهتدين لأسئلة المقارنة الأديان

وقد مثل هذا الوزير ايضا السلطان في اجراء ترتيبات زواج ابنة اخ السلطان الى الخليفة القائم[١٦٧]. اضافة الى ذلك فقد كان الوزير احيانا يقوم بمهمة الوساطة بين السلطان من جهة وبين السفراء والوجهاء الاجانب من جهة اخرى[١٦٨].

٥- المحسوبية والمحاباة

ففي الدولة السلجوقية اتخذت المحسوبية عدة صيغ. وكان تأثيرها متباينا. فمثلا على ذلك تدخل النساء في النزاعات السياسية، انها غالبا ما تؤدي الى الاضرار بالاداء الجيد للسلطة. وهذا في العادة ناتج عن ممارستهن في المحاباة والمحسوبية. وهناك العديد من الامثلة تتعلق بالطامحين في منصب فانهم يصعدون الى السلطة عن طريق البحث الجاد عن دعم لوالدة بعض الامراء القاصرين(ومن ثم ينشد الى تحقيق طموحه لذلك المنافس المحتمل للوصول الى العرش). وهناك حالات اخرى استعملت فيها المراة نفوذها مع أي سلطان لصالح فرد ما اختارته للتعاطف معه. وهكذا ضمن مجد الملك ابو الفضل البلاساني دعم ام السلطان بركياروق في محاولته ازاحة وزير السلطان من منصبه، ولصالح صعوده الى موقع في السلطة[١٦٩].

فقد ارتقى كمال الملك الى الوزارة للسلطان محمود بن محمد من مرتبة نائب وزير لزوجة السلطان محمد، كوهر خاتون، في مدينة صميرم. واستمر يبذل الجهد لنيل خطوتها بالرغم من ابداء وزيرها الاعتراضات. وكان هذا الوزير هو الذي جعل كمال الدين نائبه. فعندما ضمن تعاطفها استثمر نفوذها على السلطان محمد واقنعته بتعيين كمال

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الدين مشرفا. بعدها صار مستوفيا واخيرا ارتقى الى منصب الوزير خلال سلطنة[١٧٠]محمود.

ينبغي ان نتذكر ان الكثير من الموظفين المدنيين والعسكريين قد وصلوا الى اعلى المناصب في الدولة نتيجة تعاطف(اما شراء او فوزا) السلطان نفسه. فكان السلطان سنجر، على وجه الخصوص معروفا بمحاباته التي امتدت الى حد ان يحابي مماليكه(وفي الغالب يتراجع عنها بشكل[١٧١]اعتباطي تقريبا).

وعلى اية حال فان النقطة الجديرة بالذكر في دراستنا هي التي لها علاقة بالمحسوبية التي كان الوزير يمارسها في تعييناته نيابة عن السلطان. وكما لاحظنا ان الاتراك كانوا يمثلون عنصرا حاكما اجنبيا عن الشعوب التي غزوها، وبذلك اعتمدوا صفوة هذه الشعوب في ادارة الامبراطورية الجديدة. ولما لم يكن للسلطان السلجوقي متسع من الوقت للاتصال برعاياه من غير الاتراك، فكان الوزير كونه رأس الادارة هو المسؤول في العادة، مباشرة او غير مباشرة. عن تعيين الموظفين الاخرين للدواوين او لادارة المناطق التي تدار بشكل مباشر من السلطة المركزية. فعلى سبيل المثال كان الكندري الذي سبق ان عين ابا سعد، الوزير السابق للامير البويهي الرحيم مشرفا على العراق بعد دخول السلاجقة بغداد[١٧٢]. وعندما طالب اهالي مرو الانصاف والخلاص من عاملهم الذي كان قد نصب عليهم، فقد سلم نظام الملك الوظيفة(عامل) الى شرف الدين ابو طاهر القمي. وقد اصبح القمي هذا في ما بعد صاحبا لديوان ام السلطان سنجر ثم ارتقى الى وزير للسلطان سنجر[١٧٣]نفسه. كذلك عندما صار مؤيد الملك بن نظام الملك وزيرا

للسلطان محمد عين سعد الملك ابا المحاسن مستوفيا[١٧٤]. وكان عبد العزيز المستوفي اكثر الموظفين تاثيرا ونفوذا في الديوان خلال وزارة شمس الملك عثمان بن نظام الملك وهو المسؤول عن تعيين الدركزيني وزيرا للسلطان محمود بن محمد. والمتوقع ان عبد العزيز استمر من خلال الوزير شمس الملك في ادارة شؤون الدولة[١٧٥].

ليس بالضرورة ان تجلب سياسة التوسع في المحاباة وممارسة المحسوبية بشكل دائمي او اوتوماتيكي اثارا ضارة.

ـ فعلى اية حال ففي المجتمع السلجوقي ولان جميع السلطة كانت تفوض فكان التعيين في المنصب اعتباطيا وكيفيا وغير نظامي؟ واذا ما لاحظنا النظام المثالي الذي ابتكره نظام الملك فان المحسوبية والتورط في المؤامرات كانت في العادة هي العوامل الفاصلة والمقررة.ولان الفئة الحاكمة كانت المسؤولة بصورة غير مباشرة امام الناس،فانها كانت تحكم باسم المصدر الرئيس لسلطتهم الا وهو السلطان اسميا.فمثل هذا النظام يمكن ان يؤدي او بالفعل يؤدي الى ارتخاء وانحلال معنوي في ادارة الامور،والى صنع شراذم او زمر من البيروقراطية،والى حالة مستمرة من الشك والفساد والتآمر في اعلى المراتب والمناصب في السلطة.فعمل الوزير في اسناد الوظائف على اساس غير اساس الكفاية يمكن عدّه من اكثر امتيازات الوزير اهمية،والاكثر ريبة في انشطته بما يتعلق بتاثيراتها المحتملة على الاداء الافضل لنظام الادارة المدنية.

لقد توسع استعمال المحاباة او المحسوبية في اكثر الاحيان على وفق الروابط العائلية او روابط الجماعة او الحزب وان كل وزير او موظف رفيع المستوى كان له مؤيدوه او مناصروه او اعداؤه

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

السياسيون.فيذكر دائما في هذا المجال ان نظام الملك وسع محاباته وتفضيله عائلته اذ ان اغلبية اولاده والعديد من احفاده واقاربه الاخرين كانوا وزراء او شغلوا مواقع اخرى في الهيكل الاداري[١٧٦].وليس هناك ادنى شك في ان نظام الملك قد منح افراد عائلته المناصب بشكل مدروس لانه شعر باستطاعته الوثوق بهم ومن ثم المحافظة على منصبه وحمايته ضد مخططات المؤامرات والمكائد من جانب الموظفين الذين كانوا يحسدون نفوذه وسلطته ويتوقون الى احراز او الحصول على الامتيازات الخاصة بمنصبه.

وطبيعي ان تبرير محاباته هذه اقاربه يعزى الى نقص الملاك المتدرب في بداية الحقبة السلجوقية:-حتى وان كان اولاده واقاربه لا يلبون،بشكل خاص،المعايير والمؤهلات التي كان يتمتع بها والتي لخصها في ما بعد في كتابه(سياسة نامه).ففي الاقل انه يتوقع انهم سيكونون كذلك طالما ظل على قيد الحياة لمساعدته في محاولته تنظيم شؤون الامبراطورية على اسس صحية وسليمة[١٧٧].من دون شك فقد كان نظام الملك بوضعه اقاربه في المناصب المؤثرة قادرا او متمكنا على تجميع الثروة والنفوذ بايدي عائلته[١٧٨]،وهنا يعد درسا لن ينساه اولئك الذين ينافسونه.ولذلك اصبح الاتجاه نفسه في تفضيل المرء افواد عائلته واضحا وجليا في جميع المستويات في طبقة الموظفين العالية او السامية وكذلك على المستويات كافة في انشطة السلطة الاخرى[١٧٩].

فضلا عن ذلك فقد كان لجميع الموظفين او الصدور الامتياز بتعيين نواب لهم.فحينما حج وزير الخليفة ابو شجاع الروذراوري سنة ٤٨١هـ عين ابنه ونقيب العلويين لياخذوا على عاتقهم مسؤوليات

المنصب مدة غيابه[١٨٠].وعندما اقنع ابو القاسم الدركزيني السلطان سنجر على تعيينه وزيرا في سنة ٥٢٦هـ/١١٣١-١١٣٢ فانه لم يترك منصبه كوزير لطغرل بن محمد-الذي سبق ان عينه السلطان سنجر في هذا المنصب-لكنه عيّن ظهير الدين عبد العزيز المحلمدي ان يقوم بعمله كنائب له في وزارة السلطان سنجر[١٨١].

ومع ان هذا الامتياز قد يتضمن قدرا من النزعة الوراثية بما له علاقة بالاحتفاظ بالمنصب،الا ان مثل هذه الظاهرة لم تحدث.حتى وان عيّن موظفا ابنه كنائب له مثلا فمن النادر،خاصة في الحقبة السلجوقية الاولى،ان الابن يعقب اباه في المنصب،وان المنصب الشاغر كان يملأ في اكثر الحالات من المنافس السياسي للوزير.

وتوضح هذه الحالات،على اية حال،الدرجة او المدى الذي تعزز فيه صنع او خلق هذه الزمر من الدواوينية او البيروقراطية بالتوسع في المحاباة والمحسوبية في كل مستوى.فعندما يرتقي أي وزير السلطة او ينهار(يطرد من الوزارة)فان انصاره في العادة يلاقون المصير نفسه والعكس بالعكس.وهكذا فان كمال الدولة(او كمال الملك)ابا الرضى قد عزل من منصبه كرئيس لديوان الانشاء ايام نظام الملك حينما سقط ابنه سيد الرؤوساء من حظوته،الذي سبق ان عينه نائبا[١٨٢]، والطريقة نفسها عندما فقد عزّ الملك بن الكافي الاصفهاني منصبه كعارض للجيش في اثر وفاة الوزير سعد الملك[١٨٣].وكما لاحظنا ان القليل من الوزراء بقي في المنصب عند التغيير الوزاري Cabinet Change في ايام السلاجقة،بالرغم من انهم في الغالب قد يكونون في مناصب اوطأ

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

او مناصب ثانوية او يعاد ظهورهم في وزارات اخرى في ازمنة اخرى(١٨٤).

ومن الطريف ذكره ايضا انه عندما كان السلطان محمد بن محمود ابن محمد بن ملكشاه محاصرا بغداد جاء بمجموعة جديدة من الموظفين الصدور المستعدين للاضطلاع بادارة الحلة والكوفة وواسط والبصرة عند نجاح حصاره.وحسب رواية البنداري ان هذه المجموعة تضم عميدا(حاكما مدنيا)وملاكي الاراضي،وحاكما عسكريا(شحنة)وجباة ضرائب(١٨٥).

وفي مثل هذه الحالات فان جميع هؤلاء الموظفين كانوا يرسمون الخطط لاسقاط المنافسين المحتملين،وهكذا يكونون ابعد من كونهم عامل استقرار وتطوير،كما هو الحال في نظام برلماني للسلطة،فان وجود المجموعات والزمر في الدواوينية هو عامل اضعف السلطة المركزية الى درجة سرعان ما فقدت قدرتها على ضبط طموحات الفئة العسكرية.وكانت هذه الحالة حقيقة في الحقبة المتاخرة من العصر السلجوقي حينما اوجد اعدادا كبيرة من الامراء السلاجقة كان جميعهم يتنافسون من اجل الوصول الى السلطة وهو وضع اصبحت فيه حظوظ الموظفين الصدور مرتبطة بنجاح الامراء او الاتابكة اذ كانوا يناورون او يتلاعبون مع المتنافسين المختلفين لاغراضهم الخاصة.

فضلا على ذلك فلما كانت المكائد هي القاعدة العامة او السائدة في تلك المدة وذلك يرجع الى تزايد الازمة المالية،فان معظم الموظفين كانوا يفرضون غرامات(مصادرات)على منافسيهم واعدائهم ويصادرون ممتلكاتهم(١٨٦).وقد ادت الرغبة في مصادرة الاموال والثروات والسلع

وكذلك الوضع غير الامين تماما بالنسبة الى الموظفين الـــى تغيـيرات متكررة للاشخاص والى عدم القدرة على دعـــم وتعزيـــز الاســتمرارية لسياسة البلاد.

- ان دراسة مفصلة لقليل من هذه الفئات والزمر والجماعات اصحـلب المصالح الخاصة بدءً بمدة نظام الملك فصاعدا ستؤشر انه لم يكن فـــي أي وقت من الاوقات أي ميل من جانبهم الى ان يضعوا خطة.ليكونـــوا مجموعات ثابتة ومسؤولة.واما الرعية فانهم لا يتمنـــون شـيئا الا ان تكون مصالح هذه الجماعات توافق مع مصالحـــهم،ومـــع ذلـك فانـــهم اعتادوا فئة حاكمة لا تهتم الا بجمع الضرائب والاداء الملائـــم للتنظيـم المالي.

- ان اول مرة نلاحظ فيه وجود الزمر والجماعات في الدواوينية قـــد حدث في زمن حكم ملكشاه،مع انها بالتاكيد ليست ظاهرة جديدة.ومـــن المحتمل افتراض ان النفوذ الكبير الذي جمعه نظـــام الملـك فـــي يـده والتوسع في المحاباة على مدى واسع لعائلته ومناصريه قد كان ســـببا اكثر منه نتيجة لتلك الزمر والجماعات التي تكونت ضده ورغبـــت فـــي اسقاطه(١٨٧).

ليس هنالك من شك فالسلطان ملكشاه نفسه قد تخوف من ســـلطة وزيره الكبيرة وبانه كان راغبا في ان يتاثر باي مؤثر يتعلق بامكانيـــة استبدال نظام الملك باي شخص اخر.ولذلك فان السلطان ملكشاه وافـــق على تاج الملك ابي غنائم المرزبان بن خسرو فيروز(احـد اولاد وزيـر فارس)وعينه وزيرا لاولاده ومشرفا على خزينته عندما امتدح السرهنك ساونكين احد الامراء المؤثرين تاج الملك هذا الذي كـــان فـــي خدمتـــه

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

واوصى به الى السلطان.علاوة على ذلك فقد عينه السلطان مفتشا ومراقبا لشؤون مؤسسات او منشآت القصر السلطاني ولنسائه وعهد اليه الاشراف على بعض اراضيه.ومنحه ايضا سلطة على عدد من الجند واخيرا عينه رئيسا لديوان الطغراء[١٨٨].واهتبل تاج الملك هذه الحظوة التي تمتع بها ليغير او يبدل بعض الاعراف والممارسات الخاصة بالدولة.فمثلا كان بامكانه اسقاط او حذف منحة او صلة الوزير الى السلطان عند قبوله المنصب[١٨٩].

ويلمح البنداري الى ان تاج الملك كان هو المسؤول عن تشويه سمعة ابي بهمنيار وسيد الرؤوساء في نظر السلطان وذلك لان عداءهما لنظام الملك يمثل تهديدا محتملا لخطط تاج الملك[١٩٠] وطموحاته.في الوقت الذي اعقب فيه مجد الملك ابو الفضل القمي(او البلاساني)مؤيد الملك كمستوف-وظيفة مستوف-واصبح سديد الملك ابو المعالي عارض الجيش.واعتمادا على ما ذكره البنداري فان تاج الملك قد عامل مجد الملك باحترام وتحدث باعجاب عنه عند السلطان بحيث ان السلطان لم يراوده أي شك بدوافعه من وراء هذا الموقف.كذلك فان تاج الملك اصبح ودودا مع سديد الملك وكسب تاييده الى وجهة نظره.وعلى هذا فان الثلاثة قد اتفقوا على محاولة التخلص من نظام الملك[١٩١].

وعدّ تاج الملك ان مصالحه تطابق مصالح تركان خاتون،ام السلطان الصغير محمود بن ملكشاه،وكانت تركان خاتون معادية او تكره نظام الملك لانه كان يدعم بركياروق بن ملكشاه كوريث لعرش السلطنة.اما بالنسبة الى السلطان ملكشاه فانه،سواء كان ذلك بتاثير من

تركان خاتون ام لا،قد عزل نظام الملك فعلا واعطى منصبه الى تاج الملك.والواقع ان تاج الملك كان بالفعل وزيرا لمحميه الصغير محمود عند موت ملكشاه وهو امر قد يؤيد ان السلطان بعزله نظام الملك كان متاثرا بتركان خاتون.وادخل تاج الملك في وزارته مجد الملك الذي ظل في منصبه كصاحب ديوان الاستيفاء وسديد الملك عارضِ الجيش وترقى بعدها الى منصب صاحب ديوان الانشاء.واشتغل تاج الملك منصب الوزارة مدة ثلاثة اشهر فقط قبل ان يغتاله مماليك نظام الملك الذي التحق بقوات بركياروق.

وحينما صار بركياروق السلطان اصبح اتابكه كمشتكين هو القوة الحقيقية التي تقف خلف عرش السلطان طالما كان السلطان ما يزال صغيرا.لذلك فان اوامره كانت تنفذ كما لو كان مساعدا للسلطان[١٩٢].

وقد رقي وزير كمشتكين-الاستاذ علي-الى منصب مستوفي السلطان.ويذكر دي فيرميري Defremery ان امورا مخجلة واحداثا غير مشرفة قد حدثت في الامبراطورية السلجوقية بسبب نفوذ وتسلط الاتابكة هذا ووزير السلطان عز الملك بن نظام الملك[١٩٣]. فكان الوزير مدمنا على الخمر وسكيرا والأهم من ذلك كان عاجزا وغير كفء، ومهما يكن فان بقاء الامور انما يعزى الى كفاءة وقدرة المستوفي[١٩٤].

وكانت زبيدة خاتون، ام بركياروق، المؤيد الاخر لهذا النظام ويرجع الفضل في رعاية تاييدها الى مجد الملك السلاساني. وبسعي من مجد الملك قُبضَ على الاستاذ علي وسُملت عيناه. ومجد الملك نفسه قد جاء الى منصب المستوفي وزاد من نفوذه بمساعدة زبيدة خاتون. في حين

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

حل مؤيد الملك محل عز الملك في الوزارة، وبهذا وجد تاج الملك في عز الملك هذا حجر عثرة اساسية امام تحقيق طموحاته. ولهذا السبب فانه ايد مطاليب او ادعاءات فخر الملك بن نظام الملك الذي لم يكن منسجما مع اخيه مؤيد الملك بشان ملكية مجوهرات معينة تركها والدهم نظام الملك. فقد قرر فخر الملك الانتفاع او استثمار استياء السلطان من مؤيد الملك(اذ انه قد اتهم زبيدة خاتون بسوء سلوكها واشار على السلطان بهجرها) وذلك بعرضه مبلغا كبيرا من الاموال الى السلطان مقابل حصوله على المنصب. ووافق بركياروق على ذلك وبذلك اصبح فخر الملك وزيرا، مع العلم ان السلطة الحقيقية في الدولة كانت بايدي مجد الملك الذي ترك لفخر الملك لقب الوزارة[١٩٥] فقط. الا ان مجد الملك- الذي كان يخوض معركة مع الامراء الاتراك، وكان يحاول السيطرة عليهم لصالحه- ظهر وكانه المسؤول في نظر الباطنية الاسماعيلية عن اغتيال عدد من الامراء البارزين. وقد اجج مقتل برسق في سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨-١٠٩٩ مشاعر الامراء ضد المستوفي فطالبوا باعتقاله، وفي النهاية قبض عليه وقتل[١٩٦] من قبلهم.

كانت ممارسة المحسوبية والمناصرة ورافقتها الانتهازية السمة البارزة للسلطة اثناء الحقبة السلجوقية، كذلك ظهر في هذه الحقبة المدى الذي املت فيه المطامح الشخصية اعمال وافعال الموظفين في الجهاز السلجوقي حتى اولئك الموظفين ذوي الكفاءة منهم. وظاهر ايضا انه حيثما كانت هناك مشكلة واضحة تتعلق بمسالة التعاقب على الحكم في الامارة السلجوقية، وطالما كان اعتلاء العرش من امير صغير

قاصر قد صار تقليدا فان النزاعات بين الفئات المتنازعة قد ارتبط بالصراعات بين الاخوة والاقارب للامراء السلاجقة المختلفين حتى الوصول الى نوع من التسوية والاتفاق بخصوص ادعاءات هؤلاء المطالبين بالعرش او السلطنة.

وبما ان السلطة والنفوذ في الاقاليم الغربية من الامبراطورية اضحت مجزأة اكثر فاكثر ولاسيما في اثر موت السلطان محمد بن ملكشاه(الذي اعقب السلطان بركياروق) وتبوأ السلطان سنجر حاكم خراسان السلطنة رسميا فان النزاعات الفئوية او بين الفئات المتخاصمة داخل الدواوينية(البيروقراطية) اضحت ظاهرة اكثر استقلالا وفي الاقل نمطا ارتبط ارتباطا فعليا مع التغيير الحقيقي للسلطان. وبعبارة اخرى، بما ان السلطة في اعلى المستويات اصبحت مجزأة ومنقسمة فان البيروقراطية نفسها اصبحت عدة بيروقراطيات، وكل واحدة من هذه البيروقراطيات تنهي مع انصارها، الصراعات بشأن السلطة، وان الافراد الطموحين يتهافتون على المصالح والامتيازات المحلية والمؤقتة المرتبطة بالبقاء في المنصب او الاحتفاظ به.

ومهما يكن فان هذا لا يلمح ان الماكنة الادارية لم تعمل نهائيا بشكل مستقل عن الحاكم وما يصيبه من مصائر ومن سعود او نحوس mis fortunes، وبدقة بما يخص هذا الموضوع نذكر انه حينما بدات السلطنة تدار من قبل الفئة العسكرية التركية فان الفاعلية الكامنة للادارة المدنية(التي كما سترى لا يمكن ان تفعل او تعمل بفاعلية وباية حالة كعنصر استقرار داخلي) قد الغيت كلية عن طريق تجاوزات الفئة العسكرية داخل بنيتها العسكرية نفسها.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وليس غريبا او مثيرا ان يفشل فرد نزيه نسبيا يحاول ان يغير مسار ادارة الشؤون العامة اخذين بالحسبان هذه الظروف المتمثلة بزيادة التدهور الاخلاقي وزيادة التدخلات والتجاوزات من النخبة العسكرية. وهكذا فان انوشروان بن خالد يقص لنا تجربته كاداري او كموظف حكومي.

فقد بدا حياته الادارية كمعارض للجيش فيقول انه حينما عهد اليه منصب المشرف على خزينة(دار مال) السلطان محمد بن ملكشاه ثم صار واحدا من المقربين الى السلطان، فان الصدور في الامبراطورية كانوا يحسدونه ولم يتوقفوا عن تخطيط المؤامرات للايقاع[١٩٧] به واسقاطه. ولهذا فانه عمل ما في وسعه لتفادي ارتكاب أي خطا. وعلى اية حال فانه عين في ما بعد نائبا للوزير خطير الملك الميبوذي بدلا من ابن الكافي اذ كان تعيينه للمنصب كما ذكر البنداري بلية او نكبة تلك الحقبة[١٩٨]. ويحدثنا انوشروان انه جلس في الديوان بين الصدور غير ان علاقته مع الوزير لم تكن مشجعة او حسنة بالمرة لان الوزير وجده مثيرا للمشاكل وبذلك ارتبط معه على مضض. اما الموظفون الاخرين في الديوان فقد حاولوا التملق لانوشروان في البداية واظهار ودية زائفة نحوه بالرغم من انهم كانوا يحملون ضغينة ضده. وفي النهاية بداوا يشعرون بانهم لا يحققون مصالحهم ورغباتهم الا بمعارضة انوشروان، وهكذا امتنعوا عن العمل والاداء عندما يرشدهم او يامرهم بعمل شيء من صميم واجباته نيابة عن الديوان. واتفقوا على محاولة منع او عرقلة وصول منح وصلات السلطان وهداياه اليه. واخيرا

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقاومة الأديان

استقال انوشروان من منصبه، لانه لم يكن قادرا في مثل هذه الظروف على العمل والاداء[١٩٩].

وكان المنصب المهم الاخر الذي تسنمه انوشروان هو منصب وزير السلطان محمد بن محمود، اذ انه بعد استقالته عمل ثانية كعارض في غضون ذلك. وعلى اية حال فان زمرة تتكون من الطغرائي الشهاب اسعد والمستوفي الصفي ابو القاسم والحاجب الكبير وامير ارسلان ارغان وزوجته قد سيطرت عليه وتحكمت به. لذلك لم يبق طويلا اذ استقال بعد مدة وجيزة متخذا قرارا بعد تحرره من وهم الادارة ان لا يقبل أي منصب حكومي[٢٠٠] اخر. وبعد مدة وجيزة وافق على ان يخدم كوزير للخليفة المسترشد وبعد ذلك اقنع لان يصبح وزيرا للسلطان مسعود.

ومن المهم القول انه حتى عهد السلطان محمود فان الزمر في البلاط قد ضمت كلا من الموظفين المدنيين والعسكريين. وفي هذا الوقت فان الحاجب الكبير قد حل محل وكيل الدار كوسيط بين السلطان ووزيره وان هذه المهمة كانت عاملا مؤثرا واضحا لان يستثمر او لان يكون طريقا يسعى الاخرون الى مصادقته طلبا للفائدة.

ان هذه الدراسة الفاحصة الملخصة عن اداء المحسوبية والمناصرة بالنسبة الى الوزير، وعن نظام المحسوبية والمناصرة بصورة عامة قد اوضحت المدى او الدرجة التي اتجهت اليه النشاطات السياسية لتؤدي الى التدهور والانحطاط الى مستوى تلك الزمر ومؤامراتهم.

وان نظرة فاحصة الى تطويع الوزير يكشف عن العامل الاخر في حالة عدم الاستقرار في الادارة المدنية في ظل حكم السلاجقة، ونعني

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بذلك الضعف او التردي الخطير في كفاءة ملاك الموظفين الذي ادى الى اعاقة الاداء الفاعل لجهاز السلطة.

- تجنيد الوزير -

١ - الطبقة الدواوينية (البيروقراطية)

كان الوزراء والموظفون رفيعو المستوى (الصدور) يجندون في اغلب الاحيان من (الديوان) (الدائرة او المكتب) الرسمي المركزي او الاقليمي وكانوا ينتمون الى الفئة البيروقراطية المحترفة في الادارة اما عن طريق التدريب والتاهيل واما عن طريق العرف العائلي. وطبقا للمفهوم الانموذجي الذي وضعه نظام الملك، فان الموهبة والجدارة هما المتطلبان الاساسيان للتقدم في السلم الوظيفي. لكن، كما مر بنا، فان المحاباة والتآمر كانا في الغالب يحددان التنصيب الفعلي للموظفين او الاداريين. ولذا فان الفكرة عن نظام اداري منظم للتقدم والارتقاء الوظيفي عبر مستويات وظيفية ذات كفاءة هي فكرة غير مقبولة[٢٠١]. ومع ذلك فان معظم الوزراء قد ارتقوا الى منصب الوزارة من مواقع او مناصب ثانوية في الديوان.

فالوزير علي بن محمد ابو القاسم وزير الخليفة المستظهر بدأ حياته رئيسا للكتاب خلال ايام الخليفة القائم. وانه وزر للخليفة المستظهر مرتين، ولكنه قد تقدم في سلكه الوظيفي خطوة خطوة في المناصب الحكومية والمراتب الرسمية مدة خمسين سنة قبل ان ينال ذلك المنصب[٢٠٢]. اما سعد الملك ابو المحاسن وزير السلطان محمد بن ملكشاه فقد كان قبل ذلك مستوفيا[٢٠٣]، وان العديد من الاداريين قد

وصلوا الى منصب الوزارة من هذا المنصب(المستوفي) في الديوان. ومختص الملك كان قبل ان يصبح وزيرا للسلطان سنجر خدم كوزير لزوجة السلطان محمد علاوة على كونه طغرائيا ومستوفيا[٢٠٤]. والعديد من الوزراء اللاحقين او المتاخرين امثال مؤيد الدين المرزبان الذي كان وزيرا للسلطان مسعود بن محمد يبدو انه عمل كطغرائي قبل ان تعهد اليه الوزارة[٢٠٥]. وان ابا اسماعيل الطغرائي صار وزيرا للامير مسعود في الموصل بعد ان خدم السلطان محمد بن ملكشاه كطغرائي[٢٠٦]. وعلى العكس من ذلك فان خطير الملك الميبوذي (وفي قراءة اخرى الميبدي) الذي كان الوزير السابق للسلطان محمد قد قبل منصب طغرائي لمدة وجيزة ايام حكم السلطان محمود قبل ان يرسل الى فارس كوزير للامير سلجوق شاه[٢٠٧]. وبدا انوشروان حياته الادارية كعارض للجيش ثم خدم بعد ذلك كخازن ثم نائب وزير للسلطان محمد اضافة الى كونه عارضا للمرة الثانية قبل ان يصبح وزيرا للسلطانين محمد ومسعود وبعد ذلك للخليفة العباسي المسترشد. وان اعز الملك ابا المحاسن الدهستاني الذي صار وزيرا للسلطان بركياروق كان اولا او في بادىء الامرعميدا[٢٠٨] (حاكما مدنيا)، اما ابو طاهر القمي الذي اصبح وزيرا للسلطان سنجر فقد بدا حياته الادارية كجابي ضرائب في مدينة مرو[٢٠٩].

وتوفر لنا سيرة حياة كمال الملك السميرمي توضيحا ممتازا لمسألة صعود أي موظف عبر المراتب الوظيفية الى منصب الوزارة. كان كمال الملك من مدينة قريبة من اصفهان تعرف بسميرم التي تعود ملكيتها السياسية الى زوجة السلطان محمد(كوهر خاتون). وكان والده جابيا

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

للضرائب. وكان محمد الجوزجاني الامير العميد وزيرا لجوهر خاتون في سميرم، وكان كمال الملك بسبب منصب والده ونجاحه في منصبه يزور الوزير بتكرار متطلعا او ناشدا الحصول على احسانه او رضاه. واخيرا بدا الوزير يعتمد عليه في المشورة والنصح، وقد ترتب على هذا ان حصل كمال الملك على منزلة وسط الطبقة الارستقراطية. وعندما غادر الامير العميد الى بغداد لتسلم واجباته هناك كعميد عين اثناء ذلك كمال الملك نائبا له في سميرم لانه كان الشخص المناسب جدا والمعول عليه في هذا المنصب. وان عبد العزيز عم عماد الدين الاصفهاني كان ايضا يخدم في الديوان عند كوهر خاتون قد انتهز هذه الفرصة ليقيم علاقة مع كمال الملك وان يؤثر فيه. وبتوجيه من عبد العزيز باشر كمال الملك في سياسات معينة التي زادت من هيبة ديوان كوهر خاتون او كهر(والخاتون السيدة النبيلة) وسرعان ما اصبح احد المقربين اليها. وحينما غضب محمد الجوزجاني الامير العميد على كمال الملك بسبب تعاظم نفوذه واعلن عن عزمه في ابعاده وطرده من منصبه، اخبرته خاتون ان من المستحسن السماح لكمال الملك بان يبقى في خدمتها، وعلى الجوزجاني ان لا ينظر اليه او يعامله كنائب بل كشريك له في الادارة. وهكذا ظل موقع كمال راسخا، وصار وزيرا لها عند موت الامير العميد. وبعد ذلك استخدمت نفوذها عند السلطان الى ان عينه السلطان محمد مشرفا له على المملكة. وارتقى كمال الملك منصب المستوفي طيلة مدة حكم السلطان محمد واصبح الشخص المتنفذ في الديوان طيلة مدة وزارة الوزير غير المؤثر ربيب الدولة. اخيرا اصبح وزيرا للسلطان محمود بن محمد، لكنه قتل بعد ثلاث

سنوات من تسنمه الوزارة[٢١٠]. ومن الطريف ذكره في سيرة حياة الكاتب اداريا، فقد ارتبط عبد العزيز سابق الذكر مع كمال الملك، استمر عبد العزيز هذا(او عزيز الملك) في الارتقاء الوظيفي معاً مع ارتقاء كمال الملك في السلم الاداري، فصار نائب كمال وبقي كذلك الى سنة ٥١٥هـ عندما اغتيل الوزير فاصبح مستوفيا للسلطان محمود بدله[٢١١].

وكما ان هناك قصصا عن النجاح الذي احرزته الفئة البيروقراطية فهناك شواهد وامثلة عن(امارات او عوائل) وزارية، والعائلة النظامية بالطبع تزودنا باكثر الامثلة وضوحا. فتذكر لامبتون Lambton حقيقة مفادها ان هناك ميلا عاما لمكافاة العوائل القديمة او العريقة وذلك بمنحها المنصب في عهد السلطان سنجر[٢١٢] ، ولكن ليس هنالك من معيار او مبدأ متوارث في أي من تلك الحالات. فعوائل من الوزراء او القضاة او الخزان لم يكن امرا غير مالوف[٢١٣] ، فاذا ما كان عدد من افراد عائلة واحدة بارزين في الوزارة مثلا، فان هذا يرجع في العادة الى ان هذا المنصب لم يتم على اساس مكانة ومنزلة اسم العائلة التي ينتمي اليها. فعز الملك بن نظام الملك قد عين لشيء الا لكونه قريبا من نظام الملك[٢١٤]. وعماد الدين البركات الدركزيني قد عين وزيرا للسلطان مسعود بدلا من انوشروان(الذي اعتقد السلطان انه غير كفء حينما راى بان الدولة غير مزدهرة) املا ان الدركزيني ربما كان بامكانه ان يعيد الحيوية والفعالية الى اجهزة السلطة وان يهاجم سلطة اولئك الظلمة والمستبدين داخل الدولة[٢١٥].

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٢-الفئات الاجتماعية والاقتصادية الاخرى:

على الرغم من ان الاداريين قد نزعوا الى انهم ينحدرون من طبقة البيروقراطيين المحترفين، اذ كان المجتمع مرنا ومتحركا بدرجة كافية تسمح بدخول الوظيفة الحكومية من طبقات فئات اجتماعية واقتصادية اخرى اذا ما استطاع هؤلاء الافراد المعنيون ان يحصلوا على التعليم والتدريب الضرورين، علما ان المناصرة او المحسوبية هي الاخرى تدخل في العديد من الحالات. وفوق ذلك فانه طالما كانت الطبقة البيرقراطية بمثل تلك الجماعة المنغلقة in- group، وطالما كانت عناصر المنافسة والتامر هي السائدة، فيبدو ان وزيرا، أي وزير، ممن لا يعتمد على معيار العائلة العريقة او ارتباط فنوي فيعين احيانا بتان وروية على امل ان يكون قادرا على ممارسة عمله بشكل مستقل.

ومن بين اولئك الوزراء الذين لم يكونوا منتمين الى الطبقة البيروقراطية الكاشغري، وزير السلطان سنجر، وهو تركي اميّ كان قد حصل على ثروته عبر التجارة. وقد وقف الى جانبه وناصره امير سجستان قماج، ففاز الكاشغري بحظوة السلطان فعينه وزيرا له، الا ان سلوكه وتصرفاته جعلته غير محبوب على نطاق واسع بحيث ان سفير السلطان محمود قد أنّبه واستنكر تصرفاته. وبذلك فقد القي القبض عليه وفرضت عليه غرامة وصودرت امواله، ثم بعث به الى حاكم[٢١٦] مدينة في تركستان.

اما ابن دارست وزير الخليفة القائم الذي خدم من دون ان يحصل على اقطاع وارسل مبلغا ضخما من الاموال لكي يعين وزيرا، فقد كان تاجرا وكان يتعامل بالتجارة مع ابي كاليجار البويهي[٢١٧]. وكان عميد

الملك الكندري قد عارض تعيين ابن دارست بسبب عدم كفايته لثرواته الخاصة[٢١٨] الكبيرة. اما وزير الخليفة المستضيء، ابن العطار، فقد كان في بداية حياته تاجرا. ثم بدا يختلط ويلاطف الموظفين الاداريين والى حد ما فانه ارشى الخليفة فعينه وزيرا[٢١٩] له. وكان اميري القزويني وكيل الدار المشهور للسلطان محمد بن ملكشاه تاجرا. وهو ايضا اثبت انه كان غير مؤهل وغير كفء[٢٢٠] كما لاحظنا سابقا.

ومع هذا فان الحقيقة التي مفادها ان افرادا من البيروقراطية كانت في بعض الاوقات تجند من فئة التجار تشير الى ان السلاجقة، على العكس من العباسيين الذين حسبما يبدو قد تجاهلوا بل اهملوا المشاكل والفعالية الاقتصادية في حقبتهم، كانوا مدركين في الاقل مكانة التاجر ضمن مجتمعهم، وبقدر محدد كانوا مدركين اهمية النشاط الاقتصادي بصورة عامة. وان لم يتعاملوا بصورة واقعية مع الحياة الاجتماعية والاقتصادية على وفق صيغها الخاصة فانهم في الاقل بدوا معترفين باهمية اعطاء التجار الدعم في الاداء الحكومي الملائم والمناسب عن طريق محاولتهم استيعاب هذه الطبقة قدر الامكان في الطبقة الحاكمة. وهذا ما يفسر تعيين عدد من التجار للمناصب الوزارية ويفسر ايضا الحقيقة ان بعض السلاطين والوزراء قد حاولوا التحرك في الاتجاه المعاكس في السياسة التي كانت غير ملائمة للمصالح الاقتصادية لهذه الجماعة.

فمثلا يذكر ان وزير السلطان بركياروق، أعز الملك ابو المحاسن الدهستاني، كان ميالا او مؤيدا بشكل خاص لطبقة التجار، الطبقة التي انتعشت خلال وزارته، وان اهتمامه بالتجارة والمتاجرة امر مسلم به

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

كثيرا[٢٢١]. والعديد من السلاطين والوزراء قد الغوا المكوس(وهي الضرائب غير الشرعية وبصورة عامة الرسوم الكمركية) وكانت دائما تمثل موردا ماليا مهما للدخل الحكومي. واحجموا عن فرضها على التجار او المتعاملين والباعة. فابو شجاع وزير الخليفة قد خفض الاسعار والغى المكوس[٢٢٢]، وان السلطان محمد قد الغى المكوس بعد وفاة وزيره السميرمي[٢٢٣].

وربما يفترض بعضهم الى مدى معين بان هؤلاء كانوا مسلمين ومتعلمين دينيا وان التجار كانوا اعضاء مسؤولين في السلطة[٢٢٤]. غير انهم وفي الجزء الاعظم منهم لم يكونوا كذلك، ولانهم نزعوا الى الابقاء او الاحتفاظ بقيم مهنهم واخلاقيتها. ان اولئك التجار الذين ارتبطوا بالسلطة قد اسهموا اداريا بشكل قليل في تطبيق القيم الاسلامية في المناخ السياسي وربما اعاقوا تطبيق تلك القيم اساسا.

وكان هناك وزراء آخرون خلال العصر السلجوقي الى جانب اولئك قد جاءوا من طبقة التجار وكانوا يمثلون فئة اجتماعية واقتصادية تختلف عن تلك الفئة البيروقراطية المحترفة الذين كانوا يمثلون الفئة الارستقراطية فارسية الاصل. فان والد وزير الخليفة الناصر بن القصاب مثلا كان يبيع اللحم في بغداد[٢٢٥]. فكان والد الوزير ابن هبيرة عاملا وهو حث ابنه على طلب العلم لتفتح امامه فرص الحصول على مهنة افضل[٢٢٦].ويحتمل القول ان اكثر هؤلاء الاشخاص شهرة(او عكس ذلك)من الفئات الاجتماعية والاقتصادية الاخرى حيث ارتقى سلم الوزارة هو القاسم الدركزيني ابن فلاح.

مكتبة المهتدين الإسلامية للمقارنة الأديان

كان الدركزيني من مدينة انساباذ القريبة من دركزين وهي اكبر مدينة في اقليم الاعلم[٢٢٧]،وحسب قول عماد الدين ان اهلها كانوا اهل فسق واثم[٢٢٨].فقد ارسله والده الفلاح الى اصفهان ليتتلمذ في مدارسها،وبدأ الدركزيني يؤسس علاقات مع موظفي الاقليم.فاستخدمه اولا كمال الملك الصميرمي وعبد العزيز عم عماد الدين.وادراكا من الدركزيني بالحقيقة التي تفيد ان وزير السلطان محمد ومرافقيه في الديوان قد اثبتوا عدم كفاءتهم وعدم فاعليتهم خلال هذه الحقبة واحساسا منه بتحول السلطة والنفوذ الى الحاجب الكبير الامير علي بن عمر الذي عين حديثا للمنصب،فانه افلح في تأمين وظيفة كوزير لهذا الحاجب.وقد شجع الحاجب على توسيع سيطرته وسلطته على الوزير(وكان الوزير كمال الملك)والمستوفي،ونصحه ان يحاول الحصول على الوصاية للسلطان الجديد محمود(الذي كان صغير السن)،وبذلك فانه يمنع صدور أي امر من دون موافقته[٢٢٩].وبهذه الطريقة امل الدركزيني ان يزيد من سلطته وربما اراد ان يكون هو الوسيط بين السلطان محمود وعمه السلطان سنجر.وقد ادرك كمال الملك ذلك وان الدركزيني اذا ما افلح في تأسيس وتوطيد علاقاته مع السلطان سنجر فانه وعلي بن عمر سيصبحان اكثر نفوذا؛فكان ناجحا في احباط مناوراته وتمكن بنفسه من مصالحة محمود مع سنجر.واخيرا افلح في قتل علي بن عمر واعتقال الدركزيني.وقد افلت الدركزيني من عقوبة الاعدام،على اية حال،بوساطة من والد عماد الدين الذي كان صديقا له والتمس الرحمة نيابة عن اخيه(عم عماد)عبد العزيز الذي استعمل نفوذه على كمال الملك.وفي سنة ٥١٥هـ اغتيل كمال الملك واعقبه في

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

المنصب شمس الملك عثمان بن نظام الملك الذي فقد تأييد السلطان بعد سنتين.عندئذ سلمت الوزارة الى عبد العزيز المستوفي لكنه رفضها واقترح تسليمها او تقليدها الى الدركزيني الذي اتفق معه على التعاون في ادارة الامبراطورية[٢٣٠].

واعتمادا على رواية البنداري التي تعد رواية مفصلة مع انها الى حدما منحازة[٢٣١]فقد اشار الى احوال الامبراطورية مصورا اياها بانها لم تكن متميزة خلال وزارة الدركزيني الاولى،فكان اول فلاح يهجر صلته بواقعه،وانه ادخل اثناء وزارته اجراءات محظورة في الوقت الذي منع او حرم اجراءات اخرى كانت شرعية او مسموحة.تنازع مع النبلاء ودعم الباطنية(الاسماعلية)،وكان مريقا للدماء فهو الذي اغتال الاحرار النبلاء.وقد اتهم عماد الدين الدركزيني بمنعه،عن قصد،الاستحواذ على قلعة الاسماعلية(الباطنية)[٢٣٢](الموت)وذلك عندما استدعى امير شيركير وابنه ثم اقدم على قتلهما في نهاية المطاف،وكان هذا الامير محاصرا القلعة عند استدعائه اياه[٢٣٣].

لقد تضايق عبد العزيز من اعمال الدركزيني فترك وظيفته كمستوف وصار خازن السلطان وموضع ثقته؛وذلك بامل ان يؤثر في السلطان بهذه الطريقة ضد الوزير الدركزيني.وبالفعل فان السلطان محمود القى القبض على الدركزيني،وعين بدله انو شروان الذي خدم في الوزارة اقل من سنة قبل ان يستقيل بسبب النزاعات الفئوية المتصارعة والمعادية له في داخل البلاط[٢٣٤].وحسبما يبدو فان اكبر غلطة ارتكبها وهو على دست الوزارة عدم قتله الوزير السابق الدركزيني،الذي افلح مناصروه بعد وقت قصير في اعادته الى منصبه كوزير.

وعقب انو شروان بان الدركزيني قد شجع الرشوة والفساد من قبل الحاجب الكبير ارسلان ارغان[٢٣٥].ويمكننا ان نفترض بانه قصد تحقيق مصالحه مع مصالح الحاجب الكبير بدلا من انصاره ومرافقيه،الذين يعملون في الدواوينية(البيروقراطية)المدنية،الذين ربما لم يكن يثق بهم.وما ان تسنم عمله ثانية حتى شرع في نهجه في سفك الدماء والقتل محاولا ابادة الاشخاص المهمين والبارزين في الدولة بضمنهم القضاة واشخاص من الفئات الدينية.وقد عرضت جميع افعاله هذه بشكل يرضي السلطان وفي احدى الحالات فانه توجه الى الخليفة يتسلم رسميا بعض المراسيم[٢٣٦].

وكان هدف الدركزيني الاساس التخلص من عبد العزيز الذي ظل وحده يقف حائلا في طريقه ليتولى سلطة كاملة[٢٣٧].وقد حانت هذه الفرصة فعرض الوزير على السلطان محمود مبلغا قدره ٣٠٠,٠٠٠دينار مقابل سجن عبد العزيز.وحينما طالب السلطان محمود بهذا المبلغ،لم يدفع الدركزيني الا ما استطاع دفعه ثم بعد ذلك ارسل رجاله الى اصفهان للقبض على اخوة عبد العزيز(وهم والد وعم عماد الدين)وصادر ثرواتهم وممتلكاتهم لاجل ان يدفع ما تبقى عليه من مبلغ العرض[٢٣٨].اخيرا بدأ السلطان محمود يشك في حيل الوزير،لكنه توفي سنة ٥٢٥هـ قبل ان ينفذ أي شيء بحقه،وبذلك احتفظ الركزيني بموقعه المهيمن.

اندلعت المنازعات بعد موت محمود بين اخويه مسعود وطغرل(وكان طغرل مدعوما من السلطان سنجر)وابنه داود. وحينما نصب طغرل سلطانا اصبح الدركزيني وزيره مع ان مشاعر طغرل غير

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ودية ازاء الدركزيني اذ انه لم يغفر له ما عمله من معاملة سيئة لامير شير كير وهو اتابك طغرل السابق(٢٣٩).ومع ذلك فقد استطاع الدركزيني ان يسيطر على طغرل تماما تقريبا.مع ان البنداري قد دان الدركزيني على اساس انه يعمل باخلاقية الفلاحين(٢٤٠).فاضطهاده الامراء ومصادرة اموالهم ولسوء ادارته بصورة عامة فانه اثار عداء جميع العناصر تقريبا داخل الدولة،بضمنهم الخليفة الذي خافه الدركزيني لتنامي قوته وسلطته.وعلى كل حال فان عمله وحياته اصبحت على وشك النهاية.

وبحصوله على عدد من الاوامر الموقعة من السلطان سنجر(عند مجيئه الى اقليم الجبال في سنة ٥٢٦هـ بعد موت محمود)بحجة ان هذه الاوامر ضرورية لادارة المملكة بعد عودة سنجر الى خراسان،فانه استخدم سلطته المطلقة Cart blanche في قتل عبد العزيز من دون ابلاغ طغرل عن نياته.وبعد نحو اربعين يوما من عمله هذا قبض عليه طغرل وقطعه اربا اربا، وهكذا انتهت سيرة حياة واحد من اكثر الوزراء السلاجقة فسادا وظلما الرجل الذي اتخذ موقفا خارجا على حدود العائلة والحزب لكن طموحه واثَرَتَهُ لم يعملا لصالح الدولة انما ضد افضل مصالحها. ومهما يكن من امر اصله وسواء كان ينبغي علينا ان ناخذ ذلك بالحسبان، فان قصة صعود الدركزيني الى السلطة وممارسة السلطة انما توضح الدرجة التي يستطيع بها فرد واحد في تقويض جميع الهيكلية او بناء السلطة المنظمة.

مكتبة المهتدين الإسلامية لتحميل الأدبيات

٣-اعتبارات جغرافية:

حاولت النخبة من الاهالي التي فتحت اراضيهم منذ زمن السامانيين المحافظة على قيمهم الحضرية وحضارتهم وذلك عن طريق تقديمهم عرضا للخدمة كاداريين للفاتحين الاتراك. وبما ان السلاجقة قد اعقبوا الغزنويين فان الاداريين في الجهاز الاداري حولوا ولاءهم الى الحكام الجدد الذين قبلوا بهم عن طيب خاطر. وهكذا فان الوزراء السلاجقة قد انحدروا من عدة فئات اجتماعية واقتصادية مختلفة مع ان الاغلبية منهم جاءت عبر التدريب والتعليم وما كان سائدا من تقليد وهم يمثلون الطبقة البيروقراطية المحترفة التي كانت قد جندت من فئة ملاك الاراضي الارستقراطية في ايران وخراسان.

فالوزراء السلاجقة الاوائل قد انحدروا من تلك الملاكات التي حصلت على تعليمها او تدريبها في خراسان في بلاطات السامانيين والغزنويين. وطبقا لما اشار اليه باون H. Bowen[٢٤١]فان هناك في الاقل اربع شخصيات قبل عميد الملك والكندري[٢٤٢]قد خدموا طغرلبك كوزراء قبل دخول السلاجقة بغداد في سنة ١٠٥٥م.

وكان اول هؤلاء الاربعة رجال واحد يدعى سالار Salar(يعني العاهل Lord) بوزجان[٢٤٣]، وهي مدينة رئيسة في اقليم قهستان، تابعة اداريا الى خراسان. وبما ان السالار رئيس هذه المدينة فانه من المحتمل قد سيطر او تدبر بنجاح سلطة حكومية معينة نيابة عن الغزنويين[٢٤٤]. فقد ذكر بانه كان احد المواطنين المقيمين والبارزين في مدينة نيسابور، والمهم ان مؤلف كتاب(اثار الوزراء) يذكر انه كان حينذاك عامل خراسان[٢٤٥]. وانه وعدد من الاعيان في نيسابور ممن

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

كان متقدا سوء حكم الغزنويين قد رحبوا باخ طغرلبك غير الشقيق ابراهيم ينال عندما عسكر هناك في نحو عام ١٠٣٨م. وعندما ظهر طغرلبك طلب من السالار ادارة النظام الحكومي الجديد، النظام الذي اضطرته الفتوحات السلجوقية[٢٤٦] الى اقامته. ويذكر الراوندي ان السالار كان في المنصب او الوظيفة عندما وجه طغرلبك رسالته الاولى الى الخليفة القائم وانه كان في ذلك الوقت"وزيرا وموظفا ماليا steward او وكيل دار ووكيلا ومبعوثا"[٢٤٧] للسلاجقة. والظاهر انه قد تقاعد عن الخدمة لطغرلبك بعد ذلك بوقت قصير[٢٤٨].

اما الوزير السلجوقي الثاني فكان، كما ذكر ابن الاثير[٢٤٩] ، ابن ميكائيل الذي عرف برئيس الرؤساء وهو لقب كان قد اطلق على احد ابناء عمه ابن مسلمة وزير الخليفة القائم[٢٥٠]. كان ابن ميكائيل ووالده يعملان كموظفين في القصر الغزنوي[٢٥١]، وكان والده مسؤولا عن المراسيم او المناسبات لكل من محمود ومسعود[٢٥٢]. وقد اسره السلاجقة في معركة مع الغزنويين[٢٥٣]عام ١٠٣٥. وطبقا لما ذكره باون فانه ليس واضحا عن زمن دخول ابن ميكائيل في خدمة طغرلبك او فيما اذا كان قد عمل اولا كوزير او بوظيفة اقل. وعلى اية حال، فانه قد اصبح وزير طغرلبك وكان في الوزارة عام ١٠٥٢-١٠٥٣ كما هو متحقق من الباخرزي المعاصر له والذي كان عندها كاتبا في وزارة[٢٥٤]ابن ميكائيل.

ويدرج باون ابا محمد الدهستاني كثالث وزير سلجوقي[٢٥٥]. ويعطيه ابن الاثير لقب نظام الملك ويذكر انه كان اول من يحظى بهذا اللقب[٢٥٦]. ويبدو ان هناك وزيرا رابعا قبل عميد الملك الكندري اسمه

عمرك الربـــاطي[٢٥٧] Umarak ar- Ribati. ويضـــع بـــاون وزارة الدهستاني في سنة١٠٥٣ ووزارة الرباطي[٢٥٨] في سنة ١٠٥٤ وذلـــك لان ابن ميكائيل كان في الوظيفـــة فـــي ســـنة ١٠٥٢-١٠٥٣ وكـــان الكندري في خدمة طغرلبك عندما دخل طغرلبك بغداد[٢٥٩] عام ١٠٥٥.

كان عميد الملك الكندري ابن مالك ارض فارسي(دهقان) في كنـــدر وتختلف الروايات عن تاريخه المبكر، غير ان جميع المصادر تتفق انـــه كان عالما جيدا في اللغة العربية وانه على هذا الاساس قد اوصـــى بـــه عند طغرلبك الذي كان يبحث عن سكرتير(كاتب) متضلع باللغة العربيـــة ليخدم السلاجقة في نيسابور. وعمل عميد الملك في ديوان الرسائل ابان وزارة[٢٦٠]ابن ميكائيل ويحتمل انه اصبح وزيرا في نحو نهايـــة عـــام ١٠٥٤ او ١٠٥٥. وعمل في هذه الوظيفة مدة ثماني سنوات وبضعـــة اشهر، وقد ثبته السلطان الب ارسلان في منصبه بعد مـــوت طغرلبـــك. وكان وزير الب ارسلان، أي نظام الملك، لا يرغب في ان يشاركه احـــد في السلطة خوفا من نفوذ الكندري وبطانته كثيرة العدد. لذلك نجح فـــي تدبير اعتقاله ثم قتله. وكان نظام الملك، وله تاريخ وترجمـــة معروفـــة جدا، ابن دهقان فارسي ايضا وانه قد خدم الغزنويـــن قبـــل الالتحـــاق بخدمة داود والد الب ارسلان. وكان وكيل داره واسمه عثمـــان كاتبـــا سابقا لسلطان غزنة[٢٦١]. فضلا على ذلك فان الترجمة المتوفرة التـــي تعد مصدرا اساسيا تشير الى الحقيقة التي مفادها انـــه ليـــس هـــؤلاء الموظفون الاوائل فقط قد انحدروا او جاءوا من الاقاليم الشرقية ولكـــن نرى ايضا ان اعلى مستويات الادارة المدنية واعلى مراتبها كانت انـــذاك تشغلها البيروقراطية الخراسانية او من بلاد فارس، وظل هـــذا الأمـــر

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

حتى بعد التقسيم الرسمي للامبراطورية بين السلطانين بركياروق ومحمد في سنة ٤٩٧هـ[٢٦٢]وحتى الاعتراف مؤخرا بسلطنة سنجر الرسمية في خراسان.

وطبيعي فانه في البداية كان هناك كثير من الشكوك تحيط بهؤلاء الاداريين الذين قد كانوا مرتبطين بالسلطة البويهية.ولعل هذا كان احد الاسباب التي جعلت نظام الملك يحث الحكام على الاحجام عن منح الوظائف والمناصب ذات المسؤولية الادارية الى أي من الافراد سوى الخراسانيين(طالما ظلت خراسان معقلا للسنة تحت حكم السامانيين والغزنويين):-

"ففي ايام محمود ومسعود وطغرل وألب ارسلان لم يكن هناك زرادشتي او يهودي او رافضي له الجرأة على الظهور في الاماكن العامة او ان يقدم نفسه امام شخص عظيم.وان هؤلاء الذين اداروا شؤون الاتراك كانوا جميعا موظفين مدنيين(متصرفين)محترفين وكتاب من خراسان الذين يعودون الى المذهب الحنفي او الشافعي.ولم يسمح لاهل البدع من العراق ان يكونوا كتابا وجباة.والواقع ان الاتراك لم يعتادوا استخدامهم وظيفيا اطلاقا.فكانوا يقولون ان هؤلاء الناس من ديانة الديلم ومؤيديهم نفسها، واذا ما حصلوا على موضع قدم ثابتة فانهم سيسببون ضررا بمصالح الاتراك ويحدثوا ازعاجا للمسلمين.فالافضل ان لا نسمح للاعداء ان يكونوا بيننا.ونتيجة لذلك فانهم يعيشون بعيدا عن الكوارث.والان فان الامور وصلت الى حالة بان البلاط، القصر،والديوان قد عج بهم،وان كل تركي من الاتراك له عشرة او عشرون مِن هؤلاء الافراد يمشون خلفه،وهدفهم عرقلة أي

من الخراسانيين حتى القلة منهم من الدخول في خدمة القصر لكسب عيشهم هنا.وفي يوم ما سيدرك الاتراك جور هؤلاء الناس ويتذكرون كلماتي،عندما يكون الديوان خاليا من الكتاب والموظفين الخراسانيين(٢٦٣).

وهناك سلطان سلجوقي اخر قد امره احد الشخصيات المؤثرة في الدولة بان يتجه الى الشرق للبحث عن رجال ينجزون الواجبات التي تحتاج اليها الامبراطورية.ومع ذلك فان دوافع رئيس اصفهان الخطيبي كانت تختلف تماما عن دوافع نظام الملك.فلما كان مؤيدا للباطنية ولما كان فارسيا وربما كان مستاء من الهيمنة التركية فانه يبدو كان تواقا الى التأثير في السلطان محمد بن ملكشاه ضد موظفي ديوانه وكذلك ليضمن المنصب او الوظيفة بدلا من اشخاص ربما كانوا اكثر تعاطفا مع وجهات نظره الخاصة.ولاجل تحقيق هدفه فقد عمل الخطيبي اولا على كسب حظوة عند السلطان ثم واصل سعيه بعد ذلك لالقاء الشك بشأن عدد من الرجال المهمين الصدور في الدولة بالتلميح له ان هؤلاء الموظفين كانوا انفسهم متعاطفين مع الباطنية الاسماعلية.وحينما استفسر منه السلطان محمد لماذا كان العديد من موظفي الديوان في عهده موضع شك فاجاب الخطيبي قائلا ان الاشخاص المهمين في الامبراطورية كانوا ايام والد محمد وجده من خراسان وكانوا رجال دين وورع واحسان،وان رجاله هم من العراق وهم رجال تطّرف وغلو.والظاهر ان السلطان قد صدق الرئيس وشرع بتفضيل اولئك الموظفين الخراسانيين ممن اكتشف حيلة ومؤامرة الخطيبي فراحوا يحاولون الحصول على المراتب ويطالبون بالوصول الى المناصب،ومع

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

ذلك فان العديد منهم كانوا اميين ومغمورين وتنقصهم الخبرة والكفاءة.ويذكر البنداري ان السلطان يبدو انه لم يثر اية تلميحات عن الحقيقة ان خراسان كانت مأوى للباطنية حيث ترعرت فيه هذه الفرقة ومنها انتشرت الى جميع اجزاء الامبراطورية،وكذلك ان خراسان كانت وما تزال تعج بحصونهم او قلاعهم التي لا يمكن قهرها(٢٦٤).

فنحن نقرأ في حقبة لاحقة ان السلطان قد عين محمد الجوزجاني الامير العميد وزير لكوهر خاتون وعميد العراق منشئا في ديوانه لانه كان من اهالي خراسان وليس بسبب جدارته(٢٦٥).

اذاً فان الملاك الاداري حتى في الاقاليم الغربية من الامبراطورية ظل في الاساس ولعدة عوامل مختلفة خراسانيا في الاصل والعرف والتدريب والتعليم طيلة العصر السلجوقي.

٤-استخدام الموظفين السابقين

مع ان الوزير واغلبية(الصدور)الموظفين رفيعي المستوى في الديوان كانوا في العادة ذوي اصول خراسانية وظلوا ينحدرون من الشرق فان كلا من نصيحة نظام الملك وتعقيب الخطيبي بشان عدد من العراقيين الذين خدموا السلطان تؤشر حقيقة مفادها ان هناك،كما هو واضح،الكثير من اعضاء الملاك الاداري ممن لم يكونوا مسلمين واخرين من اصول غير خراسانية او فارسية.علاوة على ذلك فان ندرة الموظفين المدربين لتدبير ادارة الامبراطورية مترامية الاطراف في الحقبة الاولى قد حتمت استثمار خدمات كل شخص مؤهل تدرجه السلطات السلجوقية في قائمتها تقريبا.وهذه القوائم تتضمن الاشخاص

البارزين الصدور شبه المستقلين امثال هزارسب بن بنكير وهو احد الموظفين البويهيين السابقين والموظفين او الوكلاء للزعماء العرب والاكراد والحكام المستقلين الاخرين.

لقد اعتمد السلاطين السلاجقة الأُول في اكثر الاحيان على خدمات هزارسب بن بنكير الكردي الذي كان في السابق حليفا للبويهيين.فقد ادى هزارسب دور الوسيط في عدة مناسبات بين طغرلبك وبعض الحكام المستقلين المحليين.ومثلا على ذلك ففي عام ٤٤٨هـ توسط بين السلطان من جهة ونور الدولة بن دبيس وقريش بن بدران[٢٦٦] من جهة اخرى.وكذلك استدعي في سنة ٤٥١هـ للتوسط بين طغرلبك[٢٦٧] ونور الدولة.

وقد نوهنا بالفعل الى مسألة تعيين عميد الملك الكندري وزير طغرلبك لابي سعد وكان وزيرا سابقا الملك الرحيم اخر امير بويهي اذ عينه مشرفا على العراق[٢٦٨].وكان جوهر آئين شحنة بغداد ايام حكم السلطان ملكشاه في السابق مملوكا للامير ابي كاليجار البويهي[٢٦٩].

وكان والد ابي شجاع وزير الخليفة المقتدي قد عمل كاتبا لهزارسب بن بانكير الكردي[٢٧٠].وكان فخر الدولة بن جهير وزير الخليفة القائم قد خدم في الوظيفة ذاتها عند ابن مروان الزعيم الكردي وحاكم ديار بكر[٢٧١] وميافارقين.

٥-التماثل او التشابه بين موظفي السلطان وموظفي الخليفة:

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

لقد ورد ضمن هذه المناقشة ان الموظفين الاداريين للخليفة والسلطان كانوا متماثلين في الاصول النسبية والتجنيد والتدريب.فالحقيقة التي مفادها ان ابن ميكائيل الذي كان موظفا عند الغزنويين قد خدم طغرلبك كوزير في نيسابور هو احد اقارب كاتب الخليفة القائم ووزيره ابن مسلمة،وان كلا هذين الموظفين قد حمل اللقب نفسه مما يوضح ما ذُكر.وان محاولة السلاطين المكشوفة في السيطرة على تعيين وزير الخليفة توحي الى القول ان الملاك الاداري لكلتا الطبقتين البيروقراطيتين كان من طراز واحد.

والوقع فان العديد من الوزراء قد خدم كلا من الخليفة والسلطان في عدة مناسبات.فالربيب ابو منصور بن ابي شجاع(ربيب الدولة)هو وزير السلطان محمد بن ملكشاه ومحمود بن محمد كان سابقا قد خدم الخليفة كوزير ايضا كما فعل والده قبله.ولقد اطلعنا في السابق ان انوشروان الذي كان وزيرا لسلطانين سلجوقيين كان ايضا وزيرا للخليفة المسترشد.وقد عين احمد بن نظام الملك ايضا وزيرا للخليفة بعد ان خدم السلطان محمد بن ملكشاه.وان سديد الملك ابا المعالي الذي كان يحتل منصب عارض الجيش لملكشاه وبعدئذ منشئا لمحمود بن ملكشاه قد اصبح وزيرا للخليفة.وقد سجن ابو المعالي هذا،لكن اطلق سراحه في سنة ٤٩٧هـ فولى هاربا الى السلطان بركياروق الذي جعله مشرفا[٢٧٢].

ولكن وحسبما يبدو ان موظفي الخليفة الذين انحدروا من اصل عربي وعراقي اكثر مما هو الحال بالنسبة الى السلطان.ومع ذلك فان

وزيره والاداريين رفيعي الرتب قد جندوا بشكل واسع من الاقاليم الشرقية.

٦-مشاكل الملاك الوظيفي

هناك عدة مظاهر ضعف في ملاك العاملين قد كشفتها هذه الدراسة عن تجنيد الوزير.فالمسالة الاولى هي عدم الامكانية حسبما يظهر في تهيئة كافية للرجال المتدربين والمتعلمين لملء المناصب الكثيرة جدا المتاحة في هذه الامبراطورية التي اخذت تتوسع بشكل سريع جدا.وان هذا العجز في تهيئة الموظفين المتدربين ربما كان احد العوامل التي ادت الى تعددية المنصب وان تتركز السلطة بايدي حفنة من الافراد،وهو امر قد حذر منه نظام الملك.وكما مر بنا فان الامير العميد يبدو انه قد شغل او تولى ثلاثة مناصب في ان واحد فقد كان وزيرا لكوهر خاتون في سميرم وعميدا في بغداد وطغرائيا للسلطان محمد بن ملكشاه[٢٧٣].اما عميد خراسان محمد بن منصور النسوي فقد كان ايضا عاملا للبصرة سنة ٤٢٦هـ/١٠٦٤[٢٧٤].وقد عين الدركزيني وزيرا لكل من السلطانين طغرل بن محمد وسنجر،علما بانه اعتمد على نائب له في وزارة سنجر كما مر بنا سابقا[٢٧٥].

يضاف الى مسالة تولي اكثر من منصب واحد في الان نفسه فان السلاجقة وجدوا انه من المناسب،ولاسيما في المرحلة الاولى من وجودهم،الاعتماد على الاداريين السابقين وعلى عدد من الاشخاص المعينين الذين كانوا يمثلون تشكيلة منوعة من المفاهيم والموروثات الادارية،ومن الواضح ان استخدام هؤلاء الاداريين قد ادى الى اعاقة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وضع معيار لنظام او وسيلة للاجراء ومعيار لاستبدال القيم القديمة باخرى جديدة.فضلا على ذلك فان تركز السلطة بايدي طبقة غالبيتها من اصل فارسي قد قوّى التوتر الذي طالما كان موجودا وقائما بين الايدلوجية الاسلامية وتلك الانماط من التفكير الفارسي الذي نسج في ذلك النسيج الذي لا يمكن ابطاله او الغاؤه.

ومهما يكن فان الحقيقة بان الملاك الوظيفي لكل من مؤسسات السلطات والخليفة متماثل قد اكدت صحة القول عن وجود جماعة متماسكة تؤثر اعضاءها بمعاملة خاصة in-grope في البيروقراطية او الدواوينية المحترفة حيث تحدرت منها مناصب الوزراء والاداريين الاخرين من دون استثناء تقريبا.وبما ان النخبة الحاكمة هي القوة او السلطة المدنية للحكومة فان هذه الطبقة الدواوينية لم تختلف في الواقع الا اختلافا قليلا عن سابقتها باستثناء ما يتعلق ربما بتدريبها وثقافتها.ولعله من الصحيح طرح السؤال الاتي:الى أي مدى كانت هذه الثقافة عنصرا فاعلا في خلق طبقة جديدة من الاداريين وخلق روح جديدة للممارسة الادارية؟.

ثقافة الوزير وتدريبه

١-المدرسة انموذج:

يحدثنا عماد الدين انه في عهد نظام الملك كان الاباء يكرسون جل اهتمامهم الى تدريب وتثقيف اولادهم ربما لكي يسهموا في مجلس الوزير.واعتاد نظام الملك ان يلاحظ ان هؤلاء الذين كانوا امناء

وناضجين وقادرين الذين تدربوا للوصول الى المناصب هم اكثر ملائمة لهم.وعندما كان يكتشف فقيها متميزا بشكل استثنائي فانه يبني له مدرسة ويقف عليها الاوقاف من ممتلكات الدولة ويزودها بمكتبة.ففي عصر ظهرت فئات ممتازة من الكتاب الذين انتشروا وهم يحملون رسالتهم المهنية ليشغلوا المناصب الحكومية.والاكثر من هذا فان التجمعات العلمية والادبية للنابغين والمؤسسات الخاصة بالعلماء ظلت تعمل بشكل مستمر.فما كان على الوزير الا فحص مؤهلات كل واحد من هؤلاء فحصا دقيقا وشاملا ويستقصي عن سعة معرفتهم وخبراتهم.فاولئك الذين يعرفون الشؤون المتعلقة بالاقاليم يصبحون حكاما،واولئك الذين يستحقون الترقية يحصلون على الترقية.وكانت المشاهرات(الرواتب)تمنح لاولئك الذين يرغبون في مواصلة الدراسة او يرغبون في رصد ما تعلموه في طرق اخرى وبذلك يكون جل وقتهم للانتفاع مما يتعلمونه.وفي بعض الاحيان يرسل هؤلاء الاشخاص الى مناطق حيث لا توجد فيها تسهيلات تعليمية وذلك بغية امدادها بالهيبة والمقام وكذلك لنشر المعرفة[٢٧٦].

ومع ان هذا المقطع المشهور المذكور عند البنداري ربما يمثل صورة مبالغا فيها ومثالية،ولكن من الواضح جدا ان نظام الملك حاول ان يربط مؤسسات الحكومة مع المؤسسات الدينية من خلال المدرسة كنظام او صيغة للتعليم.واعتمادا على رواية في كتاب البنداري ان كلا من الموظفين الاداريين والدينيين كانوا يتلقون النمط التعليمي نفسه في عهد نظام الملك.وان هؤلاء الموظفين سيخدمون بعد ذلك الدولة في الوظيفة التي تلائمهم بشكل اكثر،وكانت الموهبة والجدارة هما

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

المتطلبان الاساسيان للتقدم في الوظيفة،بغض النظر عن العلاقات العائلية والمنزلة او الخلفية التاريخية.وليس هناك ادنى شك في ان الدافع لتاسيس او لتنظيم التعليم العالي بهذه الطريقة هو اختيار الافضل،وذلك لان هدف الوزير والسلطة المركزية كان في الابقاء على السلطة السلجوقية والمحافظة عليها.وعلى وفق الاساس الاخلاقي بالحد الادنى من التقدير،فان نظام الاجازة الرسمية او رعاية المدرسة قد تقوم لسبب او عدة اسباب هي :-لان السلاجقة كانوا يرغبون في منافسة الفاطميين في مصر.او للحصول على تأييد العلماء ومن خلالهم تأييد الاهالي؛او(اعتمادا على وجهة النظر السائدة انذاك)لخلق طبقة من البيروقراطية التقليدية متشربة بالفكرة الجديدة وبالروح الجديدة التي اسس عليها النظام الاداري[٢٧٧].

ومما اتفق عليه ان الثقافة او التعليم الاسلامي قبل زمن الفاطميين كان نشاطا حرا او طليقا وبعيدا عن الرسميات حيث لم يكن اشراف الدولة اشرافا مباشرا بل كان اشرافا غير مباشر[٢٧٨].ثم انه على الرغم من كون التعليم الابتدائي قد ترك للاهتمام الشخصي او الخاص،فان التعليم العالي في مستوى المدرسة صار مسألة تتعلق بمناصرة الدولة،كالفاطميين،انطلاقا من الحماسة الدينية والرغبة في الدعوة للدولة.لذلك فانهم سعوا من وراء ذلك الى تعليم او تثقيف رعاياهم وتوفير الموظفين ذوي الكفاءة والمعول عليهم دينيا ومدنيا لخدمة الامبراطورية،وبذلك يستطيعون الترويج لاهداف نظامهم السياسي الجديد[٢٧٩].

مكتبة المهتدين الإسلامية للأقراص الإلكترونية

ان الابداع في الخطة السلجوقية في الامتداد او التوسع الواعي لامبراطوريتهم في مثل هذه السابقة المبكرة بحيث اصبحت في هذا الوقت اقرب رسميا نيابة عن المذهب السني،بحيث اعترفوا بهم،على اساس غزاة لرعايا من غير جنسهم،وكسياسة مهمة للحكومة[٢٨٠].وفوق هذا وذاك فان هناك فرصة سانحة متمثلة بهذا الارتباط بين الدواوينية والمؤسسة الدينية قد يوجد في الوقت نفسه مجتمعا او جماعة مصلحية لهذين العنصرين التي ربما تجعل من الادارة المدنية كعامل ضبط فعال ومستقر ضد طموحات ومطاليب او ادعاءات الفئة العسكرية.

لقد تلقت المدارس الدينية ولاسيما المدارس الشافعية للتعليم العالي دعم الدولة منذ ايام الغزنويين.ومما يبدو ان هذه المدارس المبكرة في نشأتها في خراسان قد أسست لكي تكون ردا على الدعوات الهرطقية لتهيئة ابناء المذهب الشافعي لكي يشغلوا المناصب المختلفة في الدولة[٢٨١].ومن البديهي فان السلاجقة قد سحبوا او اجتذبوا الكثير من قضاتهم واداريهم وكتابهم وسفرائهم من هذه المدارس الخراسانية[٢٨٢] .وقد وسع نظام الملك.واستثمر استثمارا واعيا المدرسة،وكذلك الحالة عمل السلاجقة.ومهما يكن الغرض فان هذه التجربة الرسمية كانت لها اثار ودلالات واسعة وعميقة.

لكن هذا القول لا يعني ان الاداريين للانظمة السابقة لعصر السلاجقة كانوا يفتقرون الى عنصر الاطلاع والمعرفة بشؤون الرعايا المسلمين حتى وان لم تكن ثقافتهم وتعليمهم بالضرورة مركزا باطار المدرسة.ففي العصر العباسي كان من الضروري على جميع اولئك

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الذين يمثلون مواقع المسؤولية وبخاصة اولئك الذين كانوا يرتبطون بأية حال من الاحوال بالادارة المالية ان يتمتعوا بمعرفة جيدة بالفقه الاسلامي.وهذا في الواقع ينطبق على الوزير الذي كانت مسؤولياته مستمرة ومتزايدة خلال العصر العباسي.وبحلول العصر السلجوقي صارت المسؤوليات الحكومية للوزير اكبر حجما وسعة ولذلك عليه ان لا يمتلك فقط على خلفية اسلامية ثابتة وقوية بل اكثر من ذلك يتوقع منه ان يتمتع بمعرفة ما بجميع الميادين بالمحاسبة مثلا وبالتاريخ اللذين يعدان حقلين مهمين ونافعين بشكل خاص.

لقد كرست المدارس في العصر السلجوقي تدريس العلوم الاسلامية وعلوم اللغة العربية،فان فروع واقسام التعلم هذه تستند الى الدين نفسه او بالاحرى هي العلوم المقبولة دينيا.وقد اختلفت مناهج التدريس بين مدرسة واخرى.بالرغم من ان هناك مدارس قد تخصصت بموضوع او ميدان علمي واحد كالفقه او الطب.ولكن يبدو ان غالبية المدارس كانت تقدم برامج عامة للدراسة،وان مدرسة وحدها يمكن ان تدرس القران والحديث والفقه والكلام بما يتعلق او طبقا للمذهب الاشعري،وكذلك تدرس الادب واحيانا الحساب والجبر لفائدتهما.

ان ترجمة حياة ابن هبيرة[٢٨٣] الذي وزر للخليفتين المقتفي والمستنجد تبين لنا المؤهلات الثقافية المتوقعة لموظف حكومي.ولد عون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة المنحدر من قبيلة بني شيبان العربية في سنة ٤٩٩هـ في قرية تعرف بالدور الواقعة في نواحي نهر دجلة.واعتمادا على رواية الفخري كان والده فلاحا او عاملا في تلك القرية[٢٨٤] وكان معتادا اصطحاب ابنه الى بغداد لزيارة مجالس

وتجمعات الافراد البارزين في المدينة[٢٨٥].وكان دائما يحث ابنه على ان يحصل على ثقافة مناسبة وعلى احراز معرفة نافعة[٢٨٦]. وبها تنفتح امامه السبل في مهنة مناسبة.وحفظ ابن هبيرة القران الكريم والحديث وقرأ الادب ودرس الفقه طبقا لمذهب ابن حنبل.وحصل على معرفة جيدة في النحو وفقه اللغة وعلم العروض،ويذكر انه قد صنف عدة مؤلفات في هذه الحقول المعرفية[٢٨٧].وانه نفسه قد روى الحديث من الخليفة المقتفي[٢٨٨].

توفي والده وهو غلام يافع،فتحمل ابن هبيرة معاناة ومصاعب الحرمان والفقر الى ان عُيّن مشرفا على خزانة الخليفة المقتفي وكذلك مسؤولا عن ضياع الخليفة الواقعة على ضفة دجلة الغربية[٢٨٩].ثم ترقى بعدها الى مشرف على الضرائب التي كانت تدفع عينا لا نقدا،وبعدها عين مشرفا(او مفتشا)على مخازن الحكومة.وفي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧-١١٤٨ عين كاتبا لمخزن الخليفة وهي الوظيفة التي ترقى منها الى الوزارة[٢٩٠].

ويذكر ابن خلدون ان مؤلف سيرة او ترجمة حياة ابن هبيرة يروي ان امرا من الامور هي التي أدت الى زيادة نفوذه ورفعته الى منصب الوزارة وهو معالجته الناجحة لمشكلة مسعود بن بلال،شحنة بغداد،اذ كان لظلمه وتصرفه الشائن تاثير فكان المسؤول عن الوضع العام من الاضطراب وفقدان الامن في المدينة. فقد كتب وزير الخليفة ابن صدقة عددا من الرسائل الى السلطان مسعود لكنه لم يتسلم أي جواب.فعندما عين ابن هبيرة كاتبا على المخزن،نشد الخليفة مشورته وطلب منه ان يكتب رسالة الى السلطان.كانت مساعي ابن هبيرة ناجحة،وتسلم

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الخليفة ردا يتضمن اعتذار السلطان وعدم الموافقة الرسمية على تصرف وسلوك مسعود بلال[٢٩١].وقد قال ابن هبيرة انه كان ايضا المسؤول على المفاوضات مع الامراء المتمردين التي انتهت بطردهم.فقد اعلن هؤلاء الامراء تمردا ضد السلطان مسعود وهددوا بانهم سيزحفون للهجوم على بغداد[٢٩٢].

وعين ابن هبيرة وزيرا في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩،وكان مميزا بمعرفته الواسعة بالكتب،وبحماسته الدينية وبمناصرته الفئات المتعلمة وباسهاماته في النشاطات الثقافية.كذلك ذكر كتاب التراجم تقديره وحكمته في الامور العسكرية،واليه ينسب الاجراء السليم في جعل مدينة بغداد في حالة دفاعية جيدة ابان حصار السلطان محمد بن محمود.

وبلغ مرتبه السنوي في الوزارة١٠٠,٠٠٠دينار[٢٩٣] ،غير ان هباته وصدقاته كانت من السخاء درجة لم يترك درهما واحدا في خزانته في نهاية العام[٢٩٤].واعتمادا على الفخري فانه كان يأمر كتابه بتواضع ان لا يدرجوا لقب سيد الوزراء ضمن القابه كما فعل الوزير السابق[٢٩٥].وعندما توفي الخليفة المقتفي فان الخليفة الجديد المستنجد ثبته في الوزارة،وظل كذلك الى حين وفاته عام ٥٦٠هـ .

وعماد الدين الاصفهاني، الذي يعد تاريخه- تاريخ السلاجقة- المصدر الاساس لهذه الحقبة هو مثال اخر لطبقة الاداريين الجديدة ممن تدرب وتعلم للحصول على وظيفة حكومية[٢٩٦].وكان ينتمي الى عائلة ترجع في الاصل الى مدينة اصفهان، وقد حظي عدد من افراد هذه العائلة على مناصب ادارية عالية لكتاب او مناصب اخرى مهمة. وخلال احد النزاعات التي وقعت بين السلطان مسعود واخوانه والامراء الاتراك

المختلفين فرض حصاراعلى مدينة اصفهان مما دفع بالعائلة الى تـــرك المدينة مؤقتا. واخذ عماد الدين واخوه الى مدينة كاشان حيث مكثا فيها قرابة السنة درسا القران الكريم والادب في المكتب الذي كان ملحقا[٢٩٧] بمدرسة جديدة. وبعدها نجده في بغداد اذ كان لوالده معارف من وســط الرجال المهمين والذين يحتلون وظائف مهمة. وواصــل عمــاد الديــن تعليمه فــدرس الفقــه والكــلام فضــلا علــى الادب فــي المدرســة النظامية[٢٩٨]. وبعد مضي خمس سنوات صار عماد الدين بين مجموعة القضاة الذين خرجوا لاستقبال السلطان مسعود عند وصوله الى مدينــة بغداد[٢٩٩]. وفي السنة اللاحقة خرج الى الموصل وفيها اظهر معرفتــه في الفقه خلال مناقشة جرت في احد المساجد. وكتب عماد الدين شــعرا في مدح الخليفة ووزيره ابن هبيرة في اثر النجاح في الدفاع عن بغــداد ضد هجوم السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه. فما كان مــن الوزير ابن هبيرة الا ان يجعل عماد الدين نائبه الاول في مدينة البصــرة اولا[٣٠٠] ثم في مدينة واسط. ظل عماد الدين في حماية الوزيــر حتــى وفاته-الوزير- عام ٥٦٠هـ/١١٦٥، اذ رحــل الــى ســورية وخــدم الامراء الايوبيين بوظيفة كاتب، وحصل على حظوة كبيرة عند صــلاح الدين فوضعه في رتبة عالية اسوة بالافراد البارزين في القصر، وهــو امر مكنه من تسنم وضعية الوزير وبذلك ارتبط بهذه الوظيفة[٣٠١].

٢-انماط ثقافية اخرى:

بالرغم مما يبدو صحيحا بشكل عام ان الثقافة والتعليم قــد قيســت وتركزت في المدرسة في العصر السلجوقي، وان طبقــة جديــدة مــن

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الدواوينية قد برزت تدريجيا، ممن تعلم على ايدي العلماء المرتبطين بهذه المدارس والمذاهب، فان هناك عددا من الوزراء والموظفين النشيطين والمؤثرين قد تلقوا تعليما خاصا وتدريبا خاصا لوظيفة محددة اضافة الى التعليم في المدارس العامة واحيانا من دون الانضمام الى صفوف المدرسة.

ومن البديهي فان التعليم الخاص ظل مستمرا وان هناك ايضا بعض الاستشهادات والادلة بشان التدريب الخاص لادوار محددة ولوظائف معينة. فمثلا على هذا يذكر انه عندما توفي الامير العميد الطغرائي فان ابا اسماعيل الكاتب الاصفهاني قد حل محله في الديوان كطغرائي وكرئيس لديوان الرسائل. كان ابو اسماعيل مؤهلا جيدا ومثقفا ثقافة عالية وواسع المعرفة، غير انه حسبما يبدو كان معدا اثناء حياة الامير العميذ ليتولى منصب الطغرائي فلما توفي الامير العميد[٣٠٢] عين بعده مباشرة.

وينبغي ان يلاحظ المرء ايضا تعاقب الموظفين في وظيفة المستوفي ممن كانوا تحت حماية ورعاية عبد العزيز. فكان كمال الدين ثابت القمّي بين نواب الديوان عندما كان عبد العزيز مستوفيا، وكان كمال الدين احد تلامذته. وبالفعل فقد اصبح كمال الدين مستوفيا اثناء وزارة عماد الدين ابي البركات الدركزيني. وطبقا لما قاله البنداري فقد كان السلطان مسعود على وفاق وتفاهم معه واعتمد[٣٠٣] على مشورته. وقد عين المهذب ابو طالب بن ابي البدر الاصفهاني مستوفيا بعد كمال الدين ثابت القمي، واعقبه بعد ذلك نائب كمال ابي الريان الاصفهاني

وكان جميع هؤلاء الموظفين من بين تلامذة عبد العزيز[٣٠٤] او تحت رعايته.

ونقرا ايضا في كتاب البنداري انه لم يبق احد في زمان ابي الريان ممن كان يعرف اكثر منه في اجراءات ديوان الاستيفاء لانه كان وله قابلية على التحمل اضافة الى ادبه[٣٠٥]وثقافته.

وكان عبد العزيز ايضا مسؤولا عن تعليم وزير اتابكة الموصل جمال الدين جواد الاصفهاني[٣٠٦]. وكان جد هذا الرجل قد عمل في ضمن مجموعة الافراد الخاصين بالصيد لملكشاه بن الب ارسلان. وقد تلقى والده تعليما جيدا وكونه طموحا فقد ارتقى عدة وظائف عالية المستوى في الدولة بضمنها وظيفة حاجب الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك. وعقد تحالفات عن طريق المصاهرة مع عوائل مهمة فقد زوج احدى بناته الى احد اقارب[٣٠٧] عبد العزيز. وعهد ابنه جمال الدين في ما بعد الى عبد العزيز لتعليمه الادب او تدريبه على ادب الادارة ودفعه الى الامام في الوظائف. وهكذا فانه ضمن لجمال الدين اولا منصبا في الديوان كعارض للجيش عند السلطان محمود ين محمد حيث ميز جمال نفسه بسلوكه الحسن وخدماته. ثم عينه عبد العزيز وزيرا للامير خاص بيك ابن الامير(كون طغدي) الذي قد تزوجت ارملته[٣٠٨] الامير زنكي.

وواصل جمال مسيرته الادارية ليجعل من نفسه مقبولا عند الموظفين الكبار المهمين في عهده وان يجلب اهتمام زنكي. وقد اخذه زنكي في خدمته واخيرا عينه مشرفا على ديوانه. وقد جمع جمال الدين خلال عهد زنكي ثروة طائلة مع انه لم يظهر أي دليل على سخائه او

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

كرمه، وهما خصلتان قد حقق فيهما بعد ذلك شهرة. وعهد سيف الدين غازي بعد موت والده زنكي منصب الوزارة. وكذلك خدم كوزير لاخ سيف الدين وخلفه قطب الدين الى الوقت الذي اصبح فيه قطب الدين يخشى من تنامي نفوذ وسلطة جمال الدين فقبض عليه واعتقله. وبذلك مات جمال الدين وهو في السجن سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤.

٣-عدم كفاية التعليم في تنمية روح النظام والقيادة للممارسة الادارية:

لقد افلحت معايير الثقافة والتعليم عبر نظام المدارس في ربط المؤسسات الحكومية بالمؤسسات الدينية وذلك عن طريق تهيئة ملاك من العاملين الضروريين لكل منهما. غير انه من المشكوك فيه ان هذا النظام التعليمي كان فعالا في ايجاد روح جديدة من المسؤولية الادارية والقيادة الادارية مستندة الى القيم الاسلامية. وليس من السهل ان تغرس قيما في أي مجتمع من المجتمعات وفي اقل تقدير ان توحد هذه القيم وتربطها عبر المؤسسات بطريقة ستؤدي الى موازنتها لمجموعة القيم السائدة التي تمثل من السلطة كما هي في تلك المرحلة التي نشأت فيها. فالاسلام في هذه المرحلة قد نفذ او تخلل التفكير العام واثر في الاداء في مختلف الصُعد، غير انه اذا ما كان ينبغي احلال قيم جديدة بدلا من القديمة، ولا سيما في مجتمع معقد ونام نسبيا كالمجتمع الذي ورثه السلاجقة، فان ذلك يتطلب مدة اطول نسبيا تحت ظروف مستقرة بالشكل الذي اوجده العباسيون. كذلك فان ذلك يتطلب حكومة ثابتة ومستقرة ومركزية وموحدة حيث يقبل ممثلوها بل يرغبون في اظهار

ولاء وطاعة كاملة الى المبادىء الاسلامية كون ان ذلك يمثل اعترافا شرعيا غير منازع لنظام حكمهم. فضلا على هذا فان نجاح مثل هذه المحاولة تعتمد بدرجة كبيرة على نقض او قلب الاتجاه نحو التهدئة او الاطمئنان السياسي الذي كان هو السمة البارزة للمجتمع الاسلامي الوسيط. وبمعنى اخر فان فشل الثورة العباسية قد ادى بنحو حاسم الى التخلي عن فكرة مجتمع الطبقة الواحدة التي يتطلبها مبدأ العدالة الاسلامي واعادة اقرار النظام الاسيوي ذي الطبقتين الحاكم[٣٠٩] والمحكوم. فالقبول الواضح للمجتمع الاسلامي بالفشل الفعلي(لمدينة الله) Civitas Dei او أي مجتمع انموذجي قد جعل الامر متروكا للفئة الحاكمة بمسؤولية مطلقة لنجاح تجربتها الجديدة في الحكم.

هناك الكثير جدا من القوى المسببة للانشقاق سواء كانت داخلية ام خارجية، وهذه جميعها دعت المجال او فسحت المجال امام تطور وتغلغل بطيئين للقيم الاسلامية في السياسة. والتعليم في المدارس بحد ذاته، وما يتعلق الامر بمنفعتها كمبدأ موجه، قد اعترف بالاختلافات الفكرية بين الدين والسياسة، وعزز الميل الى النظر الى المؤسسة الحكومية من وجهة نظر سياسية فقط. تلك النظرة التي كانت سمة فئة الكتاب في العصر العباسي السابق.

وكما ذكرنا سابقا فعلى الرغم من ان المدرسة قد وفرت الملاك الوظيفي المدرب تدريبا متخصصا في ميدان واحد، الا ان هذا الموظف في العادة كان يكتسب خلفية عامة وشاملة تلائم المفهوم الاسلامي عن التحصيل الانموذجي الفكري. وكما هو مذكور في المؤلفات الادبية الرئيسة في تلك الحقبة امثال جهار[٣١٠]مقالة وكتاب قابوس

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

نامة[٣١١] حيث لخصها الاستاذ سيلي Sayili في بحثه "المؤسسات العلمية والتعليمية في العالم الاسلامي" على الوجه الاتي:-

"ان الفكرة الاسلامية عن الكاتب الجيد تبين المتطلبات التقليدية للشخص الملم بجميع المجالات المعرفية المرغوبة. ومطلبه الرئيس هو امتلاك اسلوب ممتاز وسيطرة كاملة. ومن اجل تحقيق تميز معين، فالمتوقع ان يكون متمكنا على التعبير عن القضايا بطريقة تلبي الظروف السريعة والطارئة، وكذلك ان يكون ضليعا في الفنون الادبية. ولكي يتحقق الشرط الاول ينبغي له ان يمتلك خلفية جيدة في المعارف الدينية، وعليه ان يلم بالتاريخ وبشكل خاص في الحقبة الاسلامية الاولى بما في ذلك تفصيلات احداثها، وعليه ان يستشهد في الاوقات المناسبة باقوال(احاديث) الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وذكر مقاطع(ايات) من القران الكريم تلائم الموقف الموجود. وينبغي عليه ان يحفظ عن ظهر قلب بعض الاشعار المختارة، كما ينبغي له التعمق، وليس فهما سطحيا، في فهم مبادىء الفضيلة والاخلاق.

وينبغي له ان يكون مقتدرا في دعم ارائه مثلا بالنسبة الى التصرف والسلوك الحسن والاكثر ملائمة لمواقف معينة مزودا باقوال حكيم من الحكماء او بقصة من القصص عن شخص ما في التاريخ، معترف بحكمته وموعظته، سبق ان حدثت في الماضي وفي موقف مماثل[٣١٢].

ولذلك فان التعليم في المدرسة بتشديده على طريقة الاداء والابداع الادبي والفني والاهم من ذلك تأكيده المنفعة فانه ليس معنيا بتحديد المبادىء الايدلوجية في صيغتها العملية. فالدين بحد ذاته لا يوفر سوى الخطوط الموجهة والمرشدة الاخلاقية والمعنوية، وهو لا يستطيع ان

يكفل او يضمن تلقائيا كفاية الاداري كفرد او يضمن مسؤوليته. حتى وان كانت الدواوينية(البيروقراطية) تقليدية(اورثوذوكسية) فالى أي المدى تكون فيه مطلعة على القرآن والحديث او الفقه قادرة على توفير اجوبة مباشرة للاوضاع الجديدة والمتنوعة-بخاصة اذا ما كانت تتعلق بالصعيد السياسي؟ فالسلاجقة قد اعترفوا ضمنيا بسيادة الشريعة كمبرر لحكمهم ومنحه الشرعية، لكن الشريعة قد نمت وتطورت خارج مناخ الظروف التاريخية والواقع السياسي.

وهكذا، وبالرغم من وجود استثناءات، فان الوزراء والافراد من المراتب العالية في اغلب الاحوال قد ادوا او عملوا في مناصبهم الرسمية كما ادى من سبقهم، بضمنهم الكثير ممن تعلم جيدا او من رجال الدين المخلصين. فقد عمل هؤلاء، تلقائيا او عفويا، على الاسس التي عمل فيها القدامى وحاولوا ممارسة تقاليد في فن الادارة مناسبة لطبيعة احتياجاتهم.

لقد لاحظنا في مناقشتنا موضوع تجنيد الوزير ان الاستثمار الاكثر كان للاداريين السابقين بغض النظر عن ميولهم الدينية او مؤهلاتهم التعليمية ولا سيما في السنوات الاولى من الامبراطورية السلجوقية. وليس هنالك من شك في ان توليف او تركيب هذه الفئة البيروقراطية قد تغير بصورة تدريجية خلال العصر السلجوقي وان الاغلبية العظمى للاداريين الذين شغلوا الوظائف الادارية والدينية كانوا راشدي المعتقد(ارثوذوكسيين) سواء كان ذلك في المذهب والشعائر ام بتدريبهم في المدارس بصورة عامة. ومع ذلك فان النظام التعليمي لم يكن قادرا

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

على استبدال جميع الارث الثقافي والقيم الثقافية للكثير من البيروقراطين كما سنرى.

وقبل الانتقال من مناقشة النظام التعليمي الى القيم الثقافية والى دراسة اهتمامات الوزراء ومصالحهم، ربما ينبغي لنا ان نستذكر مرة اخرى الحقيقة التي تفيد وهي ان المؤسسة العسكرية قد دربت ايضا رجالا لاغراض الحرب والعمل في السلطة. والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل يمكن ان يكون هناك أي شك في وجود نظام تعليمي مشابه من شانه اضعاف فعالية نظام المدرسة وان يعيق نشر القيم الاسلامية والاهداف الاسلامية في المجتمع؟

خلفية الوزير الثقافية والدينية واهتماماته:

١-الوزير كونه عضوا في البيروقراطية الارثوذوكسية(المحافظة)

وان لم يكن النظام التعليمي فاعلا بصورة مستمرة في تخريج الاداريين ذوي الكفاءة، فان العلاقة الرسمية بين السلطة والدين من جهة وبين اهتمامات السلاجقة ومصلحتهم في انتعاش المذهب السني من جهة اخرى قد اوجد فئة حاكمة متماسكة متناغمة تماما في ما يتعلق بالثقافة والدين.

فكان السلاطين الاوائل جميعا من المذهب الحنفي، اما وزراؤهم فكانوا اما احنافا او شافعيين، وقد اشترط نظام الملك في كتابه سياسة نامة على من يتولى منصب الوزارة ان يكون في الاكثر من المذهب

السني[٣١٣]. وبمرور الوقت فقد حدث تسامح ملحوظ في مسالة التشدد الديني بين السلاطين والوزراء. وفي عهد السلطان ملكشاه فقد كان هناك عدد كبير من الموظفين من مختلف المراتب الوظيفية ليسوا مسلمين او ليسوا راشديين، وهي حقيقة قد لمحنا اليها سابقا فكان ضامن البصرة خلال عهد ملكشاه يهوديا[٣١٤] ، كما كان منشيء الخليفة نصرانيا، بالرغم من انه قد درب على التقاليد الاسلامية. وقد ظل كذلك الى سنة ٤٨٤هـ. ففي هذه السنة طبقت اجراءات شديدة ضد اهل الذمة ادت به وبعدد من الموظفين البارزين الى ان يتحولوا نحو الاسلام[٣١٥].كما كان هناك عدد من الوزراء المتآمرين والمتعاطفين مع الباطنية، كما مر بنا في قضية الدركزيني. وكان وزير الخليفة المقتفي على المذهب الحنبلي، حيث كان المناخ الفكري في بغداد حرا بشكل غير اعتيادي وان عدة لقاءات ومجالس ثقافية قد عقدت عن مواضيع تتعلق بالشريعة وامور ثقافية اخرى. فيذكر ابن الجوزي ان الفقهاء كانوا معتادين قراءة القران والحديث مع الوزير ابن هبيرة، وان فقهيا مالكيا من مصر كان حاضرا في احد هذه المجالس[٣١٦].

وليس غريبا ان نجد ازدهارا في الحياة الثقافية والفكرية عند تأكيد على التعليم العالي في العهد السلجوقي. فان لم يكن الوزراء وحاشيتهم هم انفسهم ادباء او من رجال القلم(مع العلم بانهم في الغالب كانوا كذلك كما هو نستدل على هذا من حجم ما وضعه الاداريون من الشعر في العصر السلجوقي). فانهم كانوا عادة يميلون الى اولئك الشعراء: وان معظم السلاطين والوزراء كانوا يرعون العلماء والفقهاء ويحضرون مجالس العلم بل يسهمون فيها. ومثال على ذلك في سنة ٥٧١هـ

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

حيث دعا وزير الخليفة العلماء للاسهام في مناقشة حضرها الاداريون واحيانا الخليفة[٣١٧] نفسه. ودعم ايضا خازن الخليفة مثل هذه المجالس التي كان يحضرها الخليفة، ومما يلاحظ او من الطريف القول ان عامة الناس كانوا يدعون ايضا الى حضور هذه المجالس[٣١٨]. ومما يذكر ان الوزير شمس الدين ابا النجيب الذي وزر لعدد من السلاطين المتاخرين زار رئيس الرؤساء في القصر وتناقش في الفقه بحضور عدد من القضاة[٣١٩] والفقهاء.

وكما مر بنا فقد كان الوزير ابن هبيرة رجلا مثقفا وله حظ وافر من التعليم، وكان يكن احتراما كبيرا للفئات الدينية والمتعلمة. وكانت مجالسه حافلة بالرجال المتميزين بمواهبهم او باي نوع من العلوم والمعرفة[٣٢٠]. فطبقا لما ذكره سبط بن الجوزي فانه بعد وفاته وضعت شجرة للانساب اوصلت العديد من الرجال المعروفين والعلماء بابي هبيرة[٣٢١]. وكان الوزير ابو القاسم محمود المروزي وزير السلطان سنجر مثالا اخر للوزير الممتاز والكفء. فقد جمع حوله الرجال المتعلمين، وكان انموذجا سخيا لاولئك المتميزين. فيقول البنداري ان العلماء قد وقروه وناصروه في مؤلفاتهم الادبية، والفوا كتابا واهدوه اليه يتعلق بابداء المشورة والعون[٣٢٢]. واما الوزير تاج الدين بن دارست وزير بوزابه متولي فارس وهو الذي رشحه ليكون وزيرا للسلطان مسعود، كان يقرا القران في داره ويدعو المتعلمين والعلماء للاسهام في المناقشات[٣٢٣]. وكان بعض الوزراء يحضرون المجالس في مدرسة النظامية كمؤشر للاخرين يعكس اهتماماتهم العلمية. فقد حضر سعد الملك وزير السلطان محمد في سنة ٤٩٨هـ

محاضرة(مجلس وعظ) الكيا الهراسي وذلك لكي يحفز الناس الى طلب العلم والمعرفة[٣٢٤].

ومن الواضح ان الحياة الثقافية كانت معنية بشكل كبير بالدين وكذلك الحال بالنسبة الى نشاط الوزراء في البناء والاعمار. وفي هذا الصدد فان الاداريين الاخرين ينهجون النهج نفسه فالمستوفي شرف الملك ابا سعد مثلا قد شيد مشهدا حول قبر ابي حنيفة في بغداد واسس مدرسة الى جانبه التي تم افتتاحها قبل المدرسة النظامية[٣٢٥]. وبنى ابو سعد ايضا مدرسة في مرو حيث وقف عليها الكتب الثمينة، كما انه المسؤول عن بناء العديد من ربط الصوفية[٣٢٦]. واسس تاج الملك، منافس نظام الملك، مدرسة في بغداد التي جددها ورممها ابن اخيه تاج الدين بن دارست[٣٢٧].

لقد كان الاداريون من مختلف المستويات ناشطين في بناء المساجد الفخمة والمدارس والربط والمستشفيات خلال العصر السلجوقي. فالقاضي الشهرزوري الذي عهد اليه سيف الدين غازي بن زنكي ادارة الموصل والذي اصبح بعدئذ الوزير الاول للامراء الايوبيين في سورية اسس مدرسة في الموصل ونصيبين[٣٢٨] وبنى رباطا للصوفية.

والى المستوفي عبد العزيز ينسب بناء دار للايتام وتاسيس اول مؤسسة لخدمات الاسعاف[٣٢٩]. وكان وزير الموصل، جمال الدين الجواد المسؤول عن نظام سواقي المياه للحجاج وادخال تحسينات واصلاحات في المدن المقدسة في مكة والمدينة[٣٣٠]. وليس من شك في ان لممارسات الوزراء والاداريين في هذه الانشطة تاثيرا مهما لمصلحة الثقافة والمعرفة الاسلامية.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وانطلاقا من اهتمامات السلطان الدينية وفي احياء الانتعاش السني فقد رعى ادارية المتصوفة فقد بنى العديد من الاداريين السلاجقة ربط الصوفية، بينما تحول اخرون الى انصار ومؤيدين لهم. فمثال على ذلك حاجب الخليفة المسترشد والراشد والمقتفي حمزه بن علي بن طلحة صار صوفيا خلال عهد الخليفة المقتفي ويذكر انه كان مقدرا كثيرا ايام تقاعده عن الوظيفة اكثر مما كان عليه اثناءها[٣٣١].

٢-امتيازات ومخاطر الوزير

شغل الوزير منذ الحقبة المبكرة للامبراطورية السلجوقية موقعا ساميا في الادارة. فكان منصبه محاطا بابهة كبيرة بدءا بالقائم الذي يحمل الخاتم والشعار امامه اثناء المداولات وكذلك في مراسيم التنصيب الرسمي الى منحه الشارات العديدة وهي شارات شرف مميزة لمنصبه عند تسنمه الى استعماله الالقاب والخدمات التي تقوم بها حاشيته الخاصة الى جيشه الخاص. فعندما اصبح انوشروان وزيرا للسلطان محمود منح الهدية التقليدية وهي عبارة عن دواة ذهبية والخلعة بشرف تسلمه المنصب اضافة الى مختلف انواع الحلى والمجوهرات والدرع المرصعة بالجواهر[٣٣٢]. ويذكر ان نظام الملك قرر التخلص من الكندري بسبب خشيته من كثرة عدد حاشيته ومن العدد الكبير لجنده[٣٣٣]. وكان موت نظام الملك قد دفع مماليكه الى ان يثاروا من تاج الملك ابي الغنائم معتقدين انه المسؤول عن اغتيال سيدهم.

لقد وصلت هيبة الوزير والامتيازات التي كان يتمتع بها الى الافواد الاخرين من عائلته. فمثال على ذلك ان سيد الرؤساء، وكيل والده في

ديوان الانشاء، قد اصبح ختن نظام الملك. وان هذه العلاقة قد عززت من وظيفته وهيبته، ولذلك فانه كرم بمنحه سرادق، ولواء، والكوسا وخيولا وحاشية خاصة، وامتياز ضرب الطبول[٣٣٤]. وعندما توفيت ابنة نظام الملك فانها دفنت في مقر اقامة الخليفة وهو شرف لم يكن معتادا، وذلك بسبب الاحترام الكبير الذي حظي به والدها[٣٣٥].

وعلينا ايضا ان نتذكر عدد اقارب نظام الملك الذين دعوا الى الخدمة في الوزارة بعد وفاته املا انهم يستطيعون اعادة توطيد النظام والانتظام اللذين كانا سائدين في عهد وزيرهم الشهير السابق. وكان عز الملك بن نظام الملك وزير السلطان بركياروق غير كفء في عمله وكان مدمنا على الخمر،ومع كل ذلك فيذكر المؤرخ البنداري ان الناس بسبب فقدان نظام الملك الذي ادى الى حالة من الاضطراب العام، اعتقدوا بان احد نسله سوف يساعد على اعادة الحالة الى طبيعتها الصحية التي كانت سائدة في الامبراطورية[٣٣٦]. والشيء نفسه فان احمد بن نظام الملك قد عيّن وزيرا للسلطان محمد بن ملكشاه على اساس ان الامبراطورية قد ازدهرت في ظل وزارة والده[٣٣٧]. ويذكر البنداري ان الجميع اخذوا يتساءلون او كانوا مندهشين عن السبب الذي جعل احمد وزيرا في الوقت الذي اختفت او تضاءلت الامال في تطويره المقنع والمامول للمنصب[٣٣٨]. وقد عيّن الوزير فخر الملك بن نظام الملك وزيرا عبر مكائد ودسائس مجد الملك البلاساني كما مر بنا. فقد كان فخر الملك يفتقر الى جميع الخصال والمؤهلات اللازمة لمنصب الوزارة عدا كونه احد اقارب نظام وانه اداة مسخرة بيد مجد الملك. وكان عماد الدين ابو البركات الدركزيني مثالا اخر للوزير الذي يعين

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

على اساس القرابة. ونقرا ان السلطان مسعود قد اعتقد ان الوزير انوشروان غير كفء لمنصبه وذلك راجع الى ان الامبراطورية لم تزدهر في ظل وزارته لذلك استبدله بالوزير عماد الدين ابي البركات معتقدا ان شخصا يمت بصلة الى عائلة الدركزيني يحتمل ان يكون اكثر فاعلية[٣٣٩].

وتوضح ثروة الوزير مكانة منصبه واهميته. كان مرتبه يعتمد كثيرا على اقطاعاته ومواردها الانتاجية، بالرغم من الكثير من المصادر الاخرى لموارده. كان الوزير، اعتمادا على ما ذكره ابن خلكان، سواء وزير السلطان ام وزير الحاكم يدفع له مرتبه على شكل اقطاع اما صلة اماهية لعشر ما تنتجه الارض[٣٤٠]. وكذلك فانه كان يمتلك مختلف الممتلكات المحولة باسمه من دون الالتزام بتجهيز الجنود وهي العادة المتبعة انذاك مع غيره من المتنفذين[٣٤١]. ويبدو ان العادة كانت جارية بالنسبة الى الوزير ان يخدم نفسه بنفسه عن طريق حجز جزء من واردات الدولة، التي من المفروض ان ينفقها على امور جديرة بالثناء كالصدقات والهدايا والاوقاف[٣٤٢].

علاوة على ذلك فان الوزراء السلاجقة على المسار نفسه لجميع من سبقوهم اتخذوا مصادرة[٣٤٣]ممتلكات الوزراء والاداريين السابقين عن الغرامات المفروضة عليهم عادة لجمع الاموال[٣٤٤]. فيذكر ان كمال الملك الصميرمي قد انشا ديوانا خاصا للمصادرين وللاموال المصادرة خلال سلطنة محمود بن محمد وهكذا صارت هذه الممارسة متينة الوجود نوعما اكثر انتظاما[٣٤٥]. كذلك فان الرشاوى مثلت جزءا مهما من دخل الوزير، ولم يكن نظام الملك نفسه خارجا على مثل هذه

الممارسة. فعندما زار الكندري، الذي كانت لسلطته وحاشيته الكبيرة مصدر خوف لنظام الملك، عندما زار نظام الملك ساعيا الى شراء تاييده مقابل ٥٠٠٠ دينار. فقد قبل نظام الملك بهذه الرشوة، ومع ذلك فانه نفذ نياته في القبض على الكندري وقتله[٣٤٦]. والحقيقة ان الرشوة وابتزاز الاموال اضحت من السمات المعترف بها والراسخة للنظام. ومثال على ذلك ان انوشروان قد حل كعارض للجيش محل شمس الملك عثمان بن نظام الملك(وهو اخ الوزير) الذي دفع الفي دينار لخزينة السلطان مقابل هذا المنصب، ويقول المستشرق هوتسما Houtsma:- للحكم على ذلك من تعقيبات انوشروان عندما استذكر هذه الحقيقة، بان هذه الطريقة كانت مالوفة جدا ولم تكن امرا يستحق الاستنكار، فان المرء يدفع هذه المبالغ كعلامة طاعة[٣٤٧].

وكان الاداريون بصورة عامة معتادين بطريقة اسلافهم اخذ نسبة مئوية من الاموال التي تنتقل من خلالهم. فمثال على ذلك عبر عماد الدين ابو البركات وزير السلطان مسعود عن دهشته لمحاولات المشرف(الذي كان مرتشيا) صرف انظاره عن مبلغ ٥٠,٠٠٠ دينار التي سرقها عميد العراق، والواضح من هذا ان الوزير يعد هذه العملية ممارسة شرعية وضرورية جدا لتلبية النفقات المتنوعة لاشغال مثل هذا المنصب[٣٤٨].

فالرشاوى والهدايا والاحتفاظ بجيش خاص وحاشية تؤلف النسبة الكبيرة من النفقات الشخصية للوزير. وكما لاحظنا فانه ليس شاذا اطلاقا ان يشترى منصب الوزارة ذاته[٣٤٩]. وان الوزير في الغالب كان مضطرا الى صرف المبالغ الطائلة من اجل الاحتفاظ بتاييدات السلطان

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

واولاده والمقربين اليه، وكذلك فانه يصرف اموالا طائلة لكي يمنع منافسيه من التآمر عليه. فيخبرنا نظام الملك نفسه عن مبعوث قادم من سمرقند قد ذكر مرة الى الخان بان نظام الملك[٣٥٠] رافضي وانه كان خائفا جدا من هذه الشائعة في ان تصل الى السلطان(الذي رفض في السابق تصديق كونه شافعيا). لذلك فانه انفق ٣٠,٠٠٠ دينار وزعها كهدايا وصلات او منح لكي يصد السلطان ملكشاه عن سماع ما يوصف به من كونه هرطقيا[٣٥١].

اذاً فقد كان الكثير من الوزراء واسعي الثراء، وفي احيان كانوا يعرضون للسلاطين مبالغ ضخمة من الاموال(في الغالب قد حصلوا عليها بطرق مريبة) وذلك كله من اجل ان يتعاملوا مع عدد من الافراد المعينين بالوسيلة التي تعجبهم. ومثال على ذلك فان احمد بن نظام الملك قدم للسلطان محمد مبلغا قدره ٥٠٠٠٠٠ دينار لكي يعتقل زعيم همذان. وهذا بدوره وعد السلطان ان يقدم له مبلغا اكبر من ذلك المبلغ مقابل حماية السلطان له ضد الوزير[٣٥٢]. وقد اقنع السلطان محمد ايضا بطرد المستوفي زين الملك ابي سعد بن هندو من بعض موظفي ديوانه. فقد وعدوا بتحويل ٢٠٠,٠٠٠ دينار من خزينة المستوفي الى خزينة السلطان. وعلى اية حال فانه عندما قُتلَ زين الملك تظاهر هؤلاء انهم قد نسوا كل ما يتعلق بوعودهم للسلطان. ثم تقدم ابن الكوفي، الذي كان انذاك نائبا للوزير خطير الملك، بصورة تعسفية بالاستحواذ على تلك الثروة[٣٥٣]. ان مليون دينار نقدا اضافة الى ممتلكات غير محددة من الجواهر قد صادرها الوزير ابو جعفر محمد بن نظام الملك حينما قبض عليه السلطان سنجر وطرده من الوزارة[٣٥٤]. وافلح

البروجردي، الوزير السابق للامير قراسنقر الذي عينه في وزارة مسعود، من تكديس ثروة طائلة وان يحصل على ضمان ممتلكاته(٤٠٠) قرية خلال مدة توليه منصب الوزارة. حتى ان المؤرخ البنداري يذكر ان البروجردي وجد ان منصب وزارة السلطان لم تكن (من الناحية المادية) كما كان عليه سابقا[٣٥٥].

فقد كانت الحالة خلال وزارة البروجردي هذا بانه لم يبق من الاراضي السلطانية شيء الا ووزعه على الامراء العظام على صيغة اقطاعات. فيذكر ابن الاثير بان لم يبق للسلطان مسعود الا اسم السلطنة فقط[٣٥٦]. وينبغي ان نتذكر بانه طالما ظلت الاراضي السلطانية بعيدة عن سيطرة الحكومة المركزية المباشرة فان السلطان والاداريين المدنيين يكونون بهذا قد حرموا مصدرا مهما لدخلهم، لذلك تزايد اعتمادهم على الرشاوى والثروات المصادرة بشكل كبير كونها المصدر المباشر للدخل[٣٥٧]. فضلا على ذلك فان تنامي الضائقة المالية التي ميزت جميع مدة حكم السلطان ملكشاه من شانها تعزيز الرغبة في مصادرة الثروات والسلع، وادى ذلك الى تبدلات متكررة للعاملين في الادارة مما نجم عن عجز عام في دعم الاستمرارية في سياسة الدولة. فكلما ازدادت الامتيازات ومظاهر التبجيل المرتبطة بمنصب الوزير صار المنصب اكثر خطورة واكثر تقلقلا. وبما ان الوزير ومساعديه، يمثلون الحاجز بين السلطان ورعاياه، فانهم كانوا خاضعين لنزوات الواحد ضد الاخر ولشكوك الواحد ضد الاخر. وفوق ذلك فبسبب طبيعة الدولة العسكرية كان الوزير الكفء والمقتدر يلاقي المضايقة والكراهية من الامراء، اذ يعدونه تهديدا محتملا لطموحاتهم. ايضا فلكون الوزير

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

كان مجبرا على اللجوء الى هذه السبل المريبة كابتزاز الاموال والانتهازية واضطهاد الاخرين لكي يحافظ على منصبه ولئلا يجلب على انصاره ومعارضيه على حد سواء الغضب والاستياء، زيادة في ذلك فانه اسهم اكثر من ذلك في تفسخ اخلاقية الدواوينية(البيروقراطية) التي قد صاغت نظم الادارة المدنية السابقة في المنطقة.

لذلك فان عوامل الخطر وعدم ضمان الإستمرارية في المنصب هي العوامل الوحيدة التي قوت الاتجاه العام نحو فساد المنصب الوزاري من الداخل وهي التي اكدت عجز الادارة كعنصر بناء داخل المجتمع ولا سيما حينما بدات السلطنة ذاتها بالانحلال والتدهور.

-استنتاجات بشان الاختلال الوظيفي للادارة المدنية كعنصر داخلي للاستقرار-

يقول الحكماء ان هناك اربع منازل للحكومة(في النص سياسة)

*الاولى:الحكم الذاتي(في اصل النص سياسة الرجل نفسه)بنداري ص٩٤

*الثانية:حكومة عائلة واحدة واولادها واولئك الذين تشملهم اسرة الحاكم(اصل النص سياسة اهله وولده ومن يضمه منزله)

*الثالثة:حكومة مدينة معينة او حكومة اقليم معين(سياسة بلد واحد يتقلده)

*الرابعة:حكومة المملكة بكل ما في الكلمة من معنى(النص سياسة الملك)

فان كان الشخص غير قادر على ان يحكم في واحد من هذه المنازل او المراتب،فانه غير قادر ايضا على ان يحكم في المراحل او المراتب التي تعقب ذلك[٣٥٨].

يعتمد النظام البيروقراطي الفعال في نجاحاته على القوة والاستقرار لاولئك الاشخاص او لتلك المؤسسات التي تقع عليهم(او على المؤسسات)مسؤولية جميع مفاصل النظام.وفي الحقبة السلجوقية فان المسؤولية الاساسية والجوهرية انما تقع على كاهل السلطان فهو العيار الذي ينزع الاداريون الى ان يعكسوا فيه قوته او عيوبه.فعلى سبيل المثال يذكر ان فخر الدين الكاشاني وزير السلطان سليمان شاه الذي عرف بانشغاله في اللهو والملذات وشرب الخمر كان يوضع موضع المقارنة للسلطان عن عاداته السيئة.وطبقا لما ذكره البنداري فان هذا الوزير كان بالضبط صورة طبق الاصل من السلطان سليمان.فلم يكن صاحيا(غير ثمل)لساعة واحدة وان الكراهية والبغضاء كانت تكوّن جزءا من شخصيته[٣٥٩].وهناك ايضا سلاطين قد قبلوا الرشاوى مقابل تعيينهم الاشخاص لمنصب الوزارة امثال هؤلاء السلاطين بركياروق الذي كانت سمعته في اخذ الرشاوي ليست افضل من سمعة وزرائه.وقد علق انو شيروان قائلا انه مندهش لرؤية السلطان محمد بن ملكشاه،الذي كان مهتما بأتفه الامور كاختيار حيوانات الصيد،لم يختر لديوانه موظفين ذوي كفاءة ومن اسر نبيلة وذوي مقدرة او قابلية ثابتة.ويقول بالتاكيد ان امثال هؤلاء الاشخاص هم المفضلون والملائمون في ما يتعلق الامر بخبراتهم وفعاليتهم؛غير انهم ابعدوا عن المناصب المسؤولة في المملكة[٣٦٠].ومن الجانب الاخر كان السلطان

http://al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

سنجر،وكان حاكما مؤثرا بصورة عامة يحكم خراسان،قد خدمه العديد من الوزراء والمستوفين المسؤولين والمؤهلين جدا[٣٦١].ان تفقد السلطان شخصيا لخزينته على سبيل المثال يعد من دون شك محفزا للمستوفي ظهير الدين عبد العزيز لان يبقي الامور المالية بحالة جيدة[٣٦٢].

وبالطريقة نفسها،طبعا،فان اولئك الموظفين الذين هم مدينون بتعيينهم للمناصب الى الوزير سينزعون الى ان يعكسوا اتجاهات ومواقف وامكانات ذلك الموظف المهم.فعلى سبيل المثال فقد كان ابن الكافي،الذي لم يكن اساسا متميزا او كفءاً،يظهر دائما كنائب اثناء وزارة وزير غير كفء وغير ملائم امثال خطير الملك الميبوذي[٣٦٣] او شمس الملك عثمان بن نظام الملك[٣٦٤].لذلك فانه لاغرابة ان نجد اداريا مقتدرا وكفءاً مثل تاج الدين بن دارست،على الرغم من ان تعيينه من النخبة العسكرية،ينبغي ان تخدمه وزارة مسؤولة ومؤثرة ايضا[٣٦٥].ومهما يكن فان نظاما تكون جميع السلطات فيه مفوضة وحيث تكون الروادع الوحيدة هي الاخلاقية والمعنوية فان ممارسة الوزير والموظفين الاخرين التأييد والمحسوبية قد تؤدي او انها بالفعل ادت الى تكوين فئات داخل البيروقراطية وادت ايضا الى حالة من الشك والتآمر العامين والمستمرين.

ان دراسة تجنيد السلاجقة الاداريين قد بين بجلاء المشاكل الخطيرة للعاملين داخل الامبراطورية.ففي الحقبة المبكرة نجد ان ندرة وجود الموظفين المتدربين لاشغال العديد من المناصب لامبراطورية متوسعة قد ادى الى الانتفاع من الافراد الذين يمثلون ويعملون على اسس من

تقاليد متنوعة في الادارة وهي تقاليد غير كفء في الغالب.وكون الطبقة البيروقراطية الجديدة التقليدية مرتبطة في الغالب ارتباطا عائليا او فنويا نزعت لتصبح جماعة من الاداريين المحترفين الذين تميزوا كطبقة من اولئك الذين كانوا يحكمون[٣٦٦]٢٥٤،والذين كانوا معنيين اساسا بالحفاظ على مواقعهم في السلطة والنفوذ.

علاوة على ذلك فان النظام التعليمي لم يكن قادرا على اعداد الموظفين بغية تلبية المطالب اليومية للسياسة الواقعية Realpolitik مقارنة بنظم مجتمعاتنا التعليمية الحديثة.وذلك يرجع الى ان ذلك النظام كان مؤسسا على ايدلوجية لم تهتم بشيء الا نظريا بمشاكل او مصاعب السلطة او المؤسسات السياسية بحد ذاتها.

لقد لاحظنا الحقيقة التي مفادها ان حالة اللاستقرار واللاثبوت في المنصب كانتا متناسبتين تناسبا طرديا مع اهميته داخل الهيكل الاداري.واسهمت هذه الظروف في اضعاف الادارة المدنية من الداخل وذلك بتعزيز الميل نحو الانتهازية وابتزاز الاموال والظلم التي بدورها قوضت الحيوية او اوهنت الوزارة والاجزاء الاخرى للحكومة التي تعتمد على منصب الوزارة.

لذلك فان الادارة المدنية قد احتوت على تلك البذور التي ادت الى هدمها،كما هو الحال في التنظيم السياسي والاداري في الامبراطورية السلجوقية بصورة عامة.هذه البذور التي عرقلت هذه الادارة من الاداء كعنصر داخلي للاستقرار وجعلتها عاجزة عن تمثيل التنفيذ العملي للمبادىء الاسلامية في المجال السياسي او عن كبح طموحات وتاثير

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

العنصر العسكري على كل صعيد من صُعد النشاط والفعالية وبضمنـــــها النشاط الحكومي.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثالث

الوزير ومنصبه (التدخل الخارجي)

مقدمة

لحظنا في الفصل الثاني ان الوزير كونه النائب الاساس للسلطان اضحى الشخصية الحاسمة ضمن هيكل السلطة السلجوقية.فضلا على ذلك فان اهمية مؤسسة الوزارة كانت كبيرة بحيث ان استقرارها النسبي او عدم استقرارها سوف يؤثر في مجمل النظام الاداري.وباختصار فان السلطة المركزية في ظل الحكم السلجوقي اصبحت تعتمد في نجاحها او فشلها على مصاير نظام الادارة المدنية او قدرها،وهي بدورها اعتمدت الى مدى كبير على موظفها الرئيس،الوزير.فعندما يكون الوزير كفوأً ومسؤولا فان جهاز الحكومة الاداري يؤدي عمله بصورة جيدة.وعندما يكون ضعيفا فان السلطة تنزع الى التحول او الانتقال نحو الاعضاء المهيمنين جدا على المناصب الادارية او الى الاعضاء خارج مجال البيروقراطية المركزية جملة(واقصد اولئك المفضلين المعينين من بين الملاكات العسكرية)وبذلك تضعف الماكنة الادارية تباعا.

ولما كانت السلطة والنفوذ داخل الامبراطورية السلجوقية مفوضة وشخصية اكثر منها مؤسساتية فان الماكنة الادارية لم تزل تعتمد بشكل مطلق واساس على السلطان او على الحاكم المؤقت.وهكذا فان تزايد تلاعب النخبة العسكرية التركية بالسلطنة هي الاخرى تؤشر الى تدخل لا مناص منه من الامراء في عمل الادارة المدنية،وهكذا فان صعوبة استقرار جهاز الحكومة المركزية التي قد تضررت فاعليتها بالفعل

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بالضعف الداخلي الـــذي تضـــاعف تعقيـــده بفعـــل القـــوى الخارجيـــة وضغوطها.

لذلك فقد رافق سيطرة السلطنة تدهور وزارة الســـلطان.فقـــد فقـــد الوزير سريعا وظيفته او وضعه في السلطة والاستقلال وصار مجرد الة بايدي الامراء والاتابكة الطموحين.وما ان اخذت الفئة العسكرية تغتصب تدريجيا مهمات وامتيازات الادارة المدنية،حتى اصبح موظفـــو هـــؤلاء العسكريين بالاهمية نفســـها لاولئـــك الاشـــخاص التـــابعين للســـلطان نفسه.ففي هذه الظـــروف بـــدأ منصـــب الـــوزارة بـــالتدهور بصـــورة مستمرة،وحسب قول ابن خلكان ان هذه المؤسسة في عهد المماليك قد فقدت هويتها بالمرة،فهو يقول:-صارت ســـلطة الوزيـــر ثانويـــة ازاء سلطة الامير.واصبحـــت الـــوزارة وظيفـــة تابعـــة او ثانويـــة وغـــير مؤثرة.وبالنتيجة فان الاشخاص الذين شغلوا مناصب عالية في الامـــارة التركية(امثال الامراء)انفوا من استخدام تسمية الوزيـــر.وان الشـــخص المسؤول عن القرارات الشرعية والاشراف على الجيش في وقت ابـــن خلكان يدعونه النائب.وكانوا يستعملون اسم الوزير اشارة الى الشـــخص المسؤول عن جمع الضرائب(٣٨٤).

ان نظرة فاحصة على التلاعب في السلطنة والتدخل العسكري فـــي اداء الادارة المدنية يزودنا برؤية مهمة نرى من خلالها فشل االسلاجقة في بناء مؤسسات سياسية مستقرة وبمعنى اوسع فشلهم فـــي التمتـــع بنجاح تجربتهم في الحكومة.

التلاعب في السلطنة وتدهور وزارة السلطان:

بينا في السابق الاهمية الكبيرة للعامل الشخصي في تحديد فاعلية نظام الادارة المدنية.فهناك العديد من الوزراء والموظفين رفيعي المستوى المهمين والبارزين بعد مدة ملكشاه ونظام الملك،ولكن عدم كفاية عدد من الوزراء وعدم استقرار الوزراة بصورة عامة كان بدرجة كبيرة مسؤولا عن فقدان السيطرة المركزية،اخذين بالحسبان كثرة الحروب المختلفة بشأن السلطة وانقسام السلطة والنفوذ بين العديد من المطالبين بالسلطة وموظفيهم ومناصريهم.فما ان يؤسس السلطان الجديد هيمنته عند اعتلائه السلطة،فان حالة من الاستقرار،والتوازن تكون قائمة،وهي حقيقة لكن حتى الافراد المقتدرين هم بحاجة الى مناخ من النظام كي يستطيعوا العمل في ظله،وفي اغلب الاحيان كانت طاقاتهم وفعاليتهم تنحرف نحو تثبيت الوضع القائم.ولم يمض وقت طويل حتى يبدأ هؤلاء الافراد ذوي الكفاءة يواجهون خطر السيطرة عليهم من قوى داخلية وخارجية وهي تعمل ضدهم بدلا من ان يكونوا هم الذين يسيطرون.وعلينا ان لا نغفل حالة اللاستقرار والضعف الداخلي للادارة المدنية ذاتها،فندرك في الوقت الراهن العملية الفعلية التي اقلقت العناصر العسكرية النظام بسلطة منقسمة مؤيدة لهم او موجهة لصالحهم.

علينا ان نتذكر ان الامبراطورية السلجوقية هي دولة عسكرية حيث يتالف فريقها الحاكم من النخبة العسكرية التركية والتي كانت شرعيتها الفاعلة والاساسية التهديد بالقوة او استعمال القوة.فمنذ زمن البويهيين فان الامراء،سواء كانوا حكاما للاقاليم ام قواد حاميات ام قواد

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

عسكريين،قد منحوا لقاء ارزاقهم اقطاعات او واردات مقاطعات معينة او اقاليم معينة اما كرواتب او احيانا عوضا عن رواتبهم.وقد تبنى نظام الملك هذه الطريقة واعادة تنظيمها من جديد كوسيلة دفع المراتب الى الجنود محاولا ربطهم بالارض.وعلى اية حال فليس من الصعب ان تدفع سعة الامبراطورية والفقدان المتعاقب الدوري للسيطرة المركزية الارستقراطية العسكرية في اغتصاب حقوقهم وامتيازاتهم كاقطاعيين او كمالكي الاقطاعات،خاصة ان معظم الامراء المتنفذين الذين خدموا كحكام نيابة عن السلطان كانوا ملزمين بالابقاء على جيش مهيّأ كشرط للاحتفاظ باقطاعاتهم.وفي الواقع فانهم اعتادوا ممارسة هيمنة مستقلة في مناطق نفوذهم حينما يعتلي السلطة حاكم ضعيف وحينما تتمزق الامبراطورية بالنزاعات بشأن السلطنة.

وعى اية حال فان هؤلاء الامراء الذين اعتزموا على التمرد ضد الهيكلية المركزية للامبراطورية قد اضطروا الى ذلك لضمان او لتامين دعم من امير سلجوقي معين،وذلك لان السلطة العليا والسيادة كانت متوارثة في العائلة السلجوقية.وهذا هو الضروري بالنسبة الى الامراء كفئة ليست لديها اية مصالح مشتركة ربما سوى المصلحة المشتركة ضد تهديد خارجي معين كمثل على ذلك تهديد فرقة الباطنية او القبائل الرعوية الغزّية التي كانت تغير او تعتدي على حدود الامبراطورية[٣٨٥]. ولقد سهلت امكانية الامراء في الدفاع عن سلطتهم الفردية بهذه الطريقة-التمرد-مؤسسة الاتابكية التي ظهرت للمرة الاولى في التاريخ الاسلامي زمن السلاجقة.

مصطلح الاتابك تركي،غير ان مؤسسة الاتابكية لا تبدو انها كانت سمة لاية امارة تركية ظهرت قبل الامارة السلجوقية[٣٨٦] ، مع انها تظهر في مرحلة مبكرة من بداية النظام السلجوقي.واعتمادا على اخبار الدولة السلجوقية فان الب ارسلان الشاب قد خدمه اثناء حياة والده اتابك تركي يدعى قطب الدين كول-سارغ Kul-Sarigh [٣٨٧].وفي عام ٤٦٥هـ اضاف ملكشاه بعد فترة قصيرة من اعتلائه العرش مصطلح اتابك الى لقب وزيره نظام الملك وبهذا يكون قد فوض نظام الملك سلطة مطلقة كما لو كان والده[٣٨٨]. ومهما يكن فان هذا الشرف قد منح لشخص غير تركي وكان وزيرا،وهو حالة استثنائية لان الاتابكة كانوا بصورة عامة افرادا من الارستقراطية التركية.

وصار اللقب بعد وفاة ملكشاه عادة مالوفة بالنسبة الى السلطان ان يعين اتابك لكل ابن من ابنائه او بعض منهم،وكذلك للاعضاء الصغار القاصرين من البيت الحاكم.وان السمة الخاصة لهذه المؤسسة هي ان الاتابك كان في العادة يتزوج ام الامير التي اولته امر العناية بابنها[٣٨٩].وحسب ما ذكرته لامبتون Lambton كان لمؤسسة الاتابكية حالتان الاجتماعية والسياسية.ففي الاولى كان الاتابك مسؤولا عن تعليم وتنشئة الامير.ولما كانت العادة عند السلاجقة ان افراد الاسرة الحاكمة يعهد اليهم بحكومات اقليمية(وهي عادة استمر وجودها اثناء الحكم العثماني).وبذلك ففي الحالات التي يكون فيها الامير قاصر وطفلا صغيرا فان الاتابك الذي يرتبط بالامير سيكون مسؤولا اضافة الى ما سبق ذكره، عن حكومة الاقليم خلال مرحلة قصور(ما قبل الرشد)الامير.وتقول الاستاذة لامبتون:-ان الاختلاف الشرعي الوحيد

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بينه وبين الحاكم الاقليمي هو السلطة التي تكون مدعومة بشكل كبير وذلك بفضل علاقته الابوية مع الامير[٣٩٠].

كانت الوظيفة السياسية او المهمة السياسية للاتابك السيطرة على الامير وان يكبح تمرده في الاقليم المخصص له.فضلا على ذلك فقد كانت الاتابكية وسيلة كان السلاطين يحاولون عن طريقها الابقاء على ولاء اولئك الامراء الذين منحوهم مسؤولية كبيرة سواء كان ذلك رغبة ام اكراها.فكان الاتابك في هذه الحالات هو الحاكم الاسمي فضلا على كونه الحاكم الفعلي للاقليم،وكان الامير السلجوقي يرسل معه كتقليد متعارف عليه[٣٩١].فعلى سبيل المثال حينما تقرر تعيين زنكي الى اقليم الموصل فانه رسميا عين اتابكيا لولدي السلطان محمود بن محمد وهما:-ألب ارسلان والخفاجي[٣٩٢].وبالطريقة نفسها حينما عهد الى الامير قراجا الساقي Qaracha as-Saqi حكم اقليم فارس في بداية حكم السلطان محمود فان اخ السلطان سلجوق شاه صار تحت وصايته[٣٩٣].ولهذا فان مؤسسة الاتابكية صارت طريقا الى السلطة اسهل من ان يحاول الاتابك الهيمنة بالسلطنة نفسها[٣٩٤].

وبمرور الزمن اتسع دور الاتابك اذ كان يؤيد الامراء القاصرين وكذلك بسبب نزاعات المطالبين على السلطنة او العرش.ففي هذه الحقبة لم يتورط في هذه الشؤون سوى الزعماء العسكريين الاتراك.وذلك يلائم او يوافق بداية تدهور الامبراطورية وتنامي نفوذ الجيش[٣٩٥].في الان نفسه بدأت الاتابكية السياسية تتخذ حالة مختلفة الى حد ما.فان نزعة السلطان ان يجعل اميرا واتابكيا بغية ان يحتفظ بولاء الامير تقلصت وحجمت باتجاه اخر وهو ان الامير يحاول ضمان

الدعم من اجل ان ياخذ ممتلكات بعض الامراء قسرا لكي يزيد من سلطته او لكي يعزز من سطوته على قطعة محددة من الارض[٣٩٦].فمثلا ان الامير منكوبرس الذي قد تولى السلطة في فارس بعد وفاة قراجا الساقي كتب الى السلطان طغرل بن محمد طالبا منه ان يرسل ابنه ارسلان اليه مقابل دعمه السلطان[٣٩٧].وفي اثر مقتل منكوبرس حجز السلطان مسعود ارسلان بن طغرل في قلعة تكريت لكي يمنع الامراء الاقوياء من القبض عليه فيستخدموه واجهة لمطالبتهم بالسلطة ضد السلطنة.ومهما يكن فان ارسلان قد هرب من القلعة متوجها الى الامير ايلدكز،زوج امه،وهذا ادى الى فزع خليفة السلطان مسعود على همذان وهو السلطان محمد بن محمود الذي وجد في الاتابك ايلدكز وارسلان الخاضع لحمايته ووصايته تهديدا لموقعه[٣٩٨].وهناك مثال اخر هو قراسنقر الذي افلح في الحصول على دعم الاميرين سلجوق شاه وداود فهدد بالتمرد ضد السلطان مسعود نيابة عنهما اذا لم يطرد السلطان الوزير كمال الدين محمد الخازن من منصبه فقد كانت سياسات الوزير تضر بمصالح قراسنقر والامراء المتنفذين الاخرين[٣٩٩].

بعدئذ اصبحت كلمة الاتابك تعني الامير الاقليمي؛فكان العديد من الامراء والاتابكة الذين قد تقلدوا حكومات اقليمية بامكانهم عن طريق الاغتصاب ان يؤسسوا امارات وراثية امثال الامارة السلغورية في فارس الذين قهروا الاتابك الحقيقي وكذلك اتابكيات الموصل.ففي الحالة الاولى حمل اللقب من دون ان يكون هناك امير تحت

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الوصاية.[٤٠٠].والامارة الاخرى الواضحة هي تلك التي اسستها عائلة اتابكة اذربيجان الذين انحدروا نسبا من ايلدكز اتابك ارسلان بن طغرل.

وقد عين اتابكة اخرون من ياتي بعدهم،فمثال على ذلك استدعى اقسنقر في سنة ٥٣٥هـ ،عندما كان يحتضر،جاولي الجاندار وعينه في منصبه وعهد اليه برعاية ولده وجيشه وتخلى له عن ممتلكاته الخاصة.وقد اعلم مسعود بذلك فبعث الى جاولي الجاندار عقد المنصب والخلعة واعدا بدعمه وتثبيته في ملكية جميع الاراضي التي كان اقسنقر يتقلدها في ايران واذربيجان[٤٠١].

وما ان اصبح الاتابكة والامراء اكثر استقلالية حتى اخذوا يوطدون نظمهم الادارية الخاصة بهم التي صيغت على غرار نظم السلاطين السلاجقة،وكما سنرى لاحقا فان العديد من الموظفين الاتابكة وقد فعلوا ذلك بدلا من خدمة هؤلاء الامراء السلاجقة ولاسيما في اثر تدهور السلطة الفعلية للامارة السلجوقية وممثليها.

وعندما تدهورت السلطنة تدهورت الوزارة ايضا،وما ان اصبحت مكانة الوزير وهيبته ومنصبه وديوانه اضعف مما كانت عليه سابقا حتى نزع الموظفون الاخرون الى زيادة نفوذهم داخل الدولة.وهناك العديد من الامثلة عن موظفين بمنصب مستوف مؤهل او انتهازي صار القوة الحقيقية مثلا مجر الملك ابو الفضل القمي(او البلاساني)الذي سيطر على الامبراطورية خلال عهد الوزير الالعوبة(لضعفه)فخر الملك بن نظام الملك اثناء حكم السلطان بركياروق.وكذلك قد ادار عبد العزيز الدولة اثناء وزارة شمس الملك عثمان بن نظام الملك خلال سلطنة السلطان محمود بن محمد.فحقيقة ان هذين الموظفين قد فضلا ممارسة

السلطة بصورة غير مباشرة (وكان عبد العزيز قد عرضت عليه الوزارة عند وفاة شمس الملك لكنه رفض العرض[٤٠٢])،وهو مؤشر جيد يعكس تزايد اللاستقرار للمنصب واللاشعبية.فالوزير ربيب الدولة الذي عينه السلطان محمد بن ملكشاه بناء على اصرار من عدد من الاشخاص المؤثرين،الذين وجدوا انه لا يكوّن أي تهديد لمواقع سلطاتهم،قد فهم موقفه بشكل جيد بان يتجنب كونه شجاعا وقويا.وكان كمال الملك الصميمري،عندئذ يشغل وظيفة المستوفي،وهو الشخصية صاحبة القرار في الديوان[٤٠٣].

وما ان تدهورت اهمية السلاطين ووزرائهم،وما ان اصبحت الامبراطورية ذات طابع عسكري بشكل متزايد حتى اصبح عدد من الاشخاص المهمين والمقربين الى الفئة العسكرية معتمدا عليهم في اقصاء الموظفين الاداريين في الهيكلية الادارية السابقة.فان ارتفاع الحاجب الكبير على بن عمر الى منصب لا يضاهى في اهميته في الايام الاخيرة من حياة سلطنة محمد بن ملكشاه امر قد سبقت الاشارة اليه.ففي هذه الحالة كان باستطاعة السلطات المدنية ان تستعيد هيبتها ولكن من خلال تقويم سريع للموقف ومن خلال العمل الحازم الذي قام به الوزير كمال الملك الصميمري.وقد وصف عبد الرحمن بن طغايرك الحاجب الكبير للسلطان مسعود انه كان شريكا للسلطان في الادارة،مع انه في واقع الحال كان تقريبا يمارس السلطة بشكل مستقل[٤٠٤].وقد حل محله في هذا المنصب المهيمن خاص بيك بن بلنكري التركماني الذي كان يتمتع بعلاقة وثيقة بالسلطان مسعود،واثر فيه كثيرا بشكل خاص في نهاية حكم هذا السلطان.وعندما توفي مسعود ابقى خاص بيك

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

على منصبه البارز في بلاط السلطان ملكشاه بن محمود.وفي النهاية قتله السلطان محمد بن محمود الذي خشي او تخوف من نفوذه وقوته الكبيرة[٤٠٥].وكان السلطان سنجر دائما ميالا الى تمييز عدد من المماليك المعينين ويرفعهم الى ارفع المناصب وجعل منهم ضباطا في خراسان[٤٠٦]. وليس غريبا ان يصطدم احيانا هؤلاء المماليك المفضلون مع الموظفين في الادارة المدنية التي اغتصبوا هيمنتها وامتيازاتها[٤٠٧].

ويتضح تدهور وزارة السلاطين بالحقيقة التي تفيد بانه ما ان ضعفت مكانة ووظيفة الوزير فان السلطان لم يعد يعتمد عليه كوسيط بينه وبين رؤساء او اصحاب الدواوين الاخرين انما صار يتعامل معهم مباشرة. فعلى سبيل المثال كان السلطان محمود بن محمد معتادا الاستفسار من المستوفي عن سجلاته وحساباته اليومية بحيث يمكنه الاطلاع عليها وكان معتادا ايضا الاستفسار من العارض(عارض الجيش) لكي يقدم سجلاته ليدققها[٤٠٨].

بعد مدة حكم السلطان ملكشاه ونظام الملك ولا سيما بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه بدا هناك اتجاه واضح لتفادي وزارة السلطان بالمرة. وان بعض الموظفين امثال عبد العزيز قد رفض تماما الخدمة[٤٠٩]، وان موظفين آخرين امثال انوشروان بن خالد الذي كان يتذكر المعاناة التعيسة السابقة فقد قبل ذلك المنصب ثانية ولكن بتحفظ كبير جدا[٤١٠]. والكثير من الموظفين قد استقال من المنصب[٤١١]، وكما ان عددا منهم فضل خدمة الامراء والاتابكة الاقوياء على خدمة السلطان. فقد استقال صفي الدين والد عماد الدين الاصفهاني الذي

عينه زنكي وزيرا بعد تجربة اخيه عبد العزيز التعيسة على يد الوزير الدركزيني في اول فرصة سنحت له واقسم ان لا يخدم أي سلطان ثانية او ان يتعين في أي ديوان[٤١٢]. ويبدو ان تاج الدين بن دارست قد فضل الوزارة في عهد بوزابه المشرف او المتولي على بلاد فارس للسلطان مسعود[٤١٣]بالرغم من انه قد خدم ذلك السلطان نيابة عن بوزابه خلال ارتفاع نجم العسكريين الثلاثة بوزابه وعباس وابن طغيارك.

ويعلق انوشروان بانه خلال حكم السلطان محمود ولاسيما ان السلطان لم يعد يشغل أية مكانة خاصة فانه ايضا(أي السلطان) لم يعد له أي من الحكام الاقليمين وان الدواوين اصبحت مهملة وفاقدة جميع مهماتها باستثناء تلك المهمة الخاصة بمصادرة الاموال والامتعة[٤١٤]. وجاء بعد السلطان محمود في اثر حقبة من الصراع الاخوي الذي تورط فيه ايضا ابنه وابناء اخيه، السلطان مسعود بن محمد الذي خدمه انوشروان كوزير لمدة قصيرة. وبعد طرده من الوزارة يقول لنا انوشروان انه لم يبق طويلا في الوظيفة وذلك يرجع الى ان مؤسسات الامبراطورية لم تزدهر ولم تنجح او ولم تنتعش لا بسبب اخفاقه او لاي عيب فيه[٤١٥]. وبعد مدة وجيزة من وفاة السلطان مسعود صار تعليقه كالاتي: كانت مؤسسة السلطنة ذاتها بحالة سيئة ومتدهورة بحيث ليست هناك أية شهرة او مجد في خدمتها[٤١٦]. والواقع، كما يحدثنا البنداري، ان البروجردي [٤١٧]وزير الامير المتنفذ قراسنقر كان يؤدي عمله كممثل مستقل منذ زمن السلطان محمد بن ملكشاه ويخدم اولئك الذين يرغب في خدمتهم ولا سيما الامراء. وعندما عهد اليه قراسنقر بوزارة

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

السلطان فانه قد خاب امله عندما اكتشف انه بعد ان كان مهما صار تافها[٤١٨]. ومن الطبيعي فخلال هذا الوقت صارت سلطة السلطان وهيمنته موزعة بين اقاربه ومؤيديهم او مناصريهم وبين الامراء والاتابكة الذين اضحوا الحكام الاصليين في الدولة. وبهذه العملية عانى منصب وزير السلطان والموظفين الاخرين في طبقة الدواوينية المدنية تغيرا مثيرا وهذا بدوره يؤكد سيادة وهيمنة النخبة العسكرية حتى على صعيد الادارة المدنية.

التدخل العسكري في اداء الادارة المدنية:

وبتحويل اهتمامنا نحو صعيد الادارة المدنية فمن الواضح ان تجاوزات الفئة العسكرية على امتيازات البيرقراطية المدنية كان اكثر براعة ودقة من العملية التي اصبح فيها الامراء والاتابكة يؤثرون فعليا او يتلاعبون فعليا بالسلطنة. والدليل على ما ذكرنا نوعما غير مباشر.

فكان نفوذ الوزير الى حد وفاة نظام الملك كبيرا اكبر من نفوذ أي امير من الامراء، وان العنصر العسكري قد ادى دورا ثانويا مقابل الدور الذي ادته الدواوينية. وبدا التوازن بين الاثنين يختل الى ان سلبت الفئة العسكرية بشكل نهائي الادارة المدنية من أية سلطة فاعلة. والدليل الاول الجيد عن ممارسة موظف عسكري مسؤولية في وظيفة كانت محفوظة لموظف في الادارة المدنية، الا وهي الارتقاء الى منصب الحاجب الكبير او الامير الحاجب الكبير وذلك في نهاية عهد السلطان محمد بن ملكشاه. ففي هذا المثال كان وكيل الدار هو الشخصية الواضحة التي تحل محل الحاجب الكبير، فيحدثنا عماد الدين(او

انوشروان) ان السلطان نصب الامير علي بن عمر بن سرمه حاجبا كبيرا له ومنحه لقب(امير البار) وهو يعني موظف ضابط الاذن بالدخول، وذلك لان(امير البار)[٤١٩] كان الذي يسمح بالدخول على السلطان والذي يعلن او يبلغ السلطان حينما يتجمع الامراء والاكابر البارزون. فكان الحاجب الكبير بدلا من وكيل الدار هو الموظف المسؤول عن نقل الاوامر الشفهية التي يصدرها السلطان الى الوزير، ولهذا السبب قد منح وخوّل سلطة غير محدودة[٤٢٠]. فكان علي بن عمر الشخص الوحيد المسموح له بالدخول الى حجرة او مجلس السلطان محمد بن ملكشاه حينما كان هذا يحتضر. وكان هذا الشخص هو الذي اصغى او استمع الى كلمات العاهل وهو يعلن قراراته وهو الذي ينفذ قوانينه. لقد نشات سلطته من الثقة التي اولاها اياه السلطان، لهذا كان الخادم المعول عليه والمطيع[٤٢١].

ومن دون شك فان تعاقب الاداريين غير الاكفاء وغير المؤهلين قد جعل السلطان محمد يعتمد اعتمادا كثيرا على اشخاص اخرين في البلاط وفي أي مكان اخر في الدولة. ومن الواضح ان ارتقاء علي بن عمر الى موقع الصدارة كان ايذانا قد شعرت به البيرقراطية المدنية على انه تهديد مباشر لسلطتها وهيبتها. فقد اصدر السلطان قرارا بتوزيع مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دينار[٤٢٢] عند وفاته لارضاء اولئك الذين عارضوا سياساته التي انتهجها، وهذا الامر قد ساعد وظيفة الحاجب الى حدما[٤٢٣]. ومع هذا ربما كان من حسن الحظ، ان الوزير كمال الملك السميرمي كان قويا، كما ظهر ذلك من افعاله، لان الدركزيني وزير علي بن عمر كان يشجع الحاجب على ممارسة سلطته على كل من

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الوزير والمستوفي، وكان ينصحه ويشير عليه ان يحاول ليكون الوصي الشرعي[٤٢٤] على السلطان الجديد محمد(الذي ما زال قاصرا)، وهكذا لا يصدر أي امر من الاوامر من دون مصادقته[٤٢٥]. وبهذه الطريقة امل الدركزيني مضاعفة سلطته وان يكون الوسيط بين السلطان محمود والسلطان سنجر. وتخوف كمال الملك من تنامي نفوذ الدركزيني الذي كان يعمل من خلال اعتماده على العسكريين، غير انه صار في نهاية الامر قادرا على اعادة تثبيت واعادة تامين مركزه، وبذلك اعاد ثقة البيروقراطية المدنية بعمله الذي ادى الى اعدام الحاجب الكبير والقاء الدركزيني في السجن. لكن هذه الحالة واحدة فليس جميع الوزراء كانوا اقوياء جدا او محظوظين جدا.

وهناك امثلة اخرى عن الاتراك او اعضاء من فئة العسكريين الذين مارسوا مهمة او واجبا معينا كانت في العادة تمارسها الادارة المدنية. فقد لاحظنا في اعلاه ان الكاشغري التركي قد خدم السلطان سنجر كوزير لمدة قصيرة[٤٢٦]. وفي عام ٥٥٥هـ عرض الحاجب ابن الصيقل مبلغا قدره ٤,٠٠٠ دينار لاجل تعينه نقيب العباسيين لكنه لم ينجح في ذلك[٤٢٧]. وفي عام ٥٧٠هـ نصب الحاجب ابن الوكيل صاحب للديوان او وزيرا للخليفة[٤٢٨]. وعلى العكس من ذلك فقد عين بعض الموظفين غير الاتراك او الموظفين المدنيين او الدينيين الى مناصب قد كانت تقليديا محفوظة لافراد من الهيكلية العسكرية.

فقد ذكرنا القاضي ابو جعفر الدامغاني على سبيل المثال الذي تخلى عن وظيفته لكي يصبح حاجبا في البلاط[٤٢٩].

ولم يكن الارتباك في الوظائف المدنية والعسكرية وفي الواجبات وفي الالقاب تاما او واسع الانتشار. ومع ذلك فالحقيقة ان الموظفين الاداريين او من غير الاتراك العسكريين قد شغلوا احيانا وظائف كانت تعد وظائف عسكرية. وان اشخاصا من الفئة العسكرية من الاتراك قد حلوا محل او خلفوا الموظفين المدنيين وذلك في اداء مهمات معينة او طمحوا الى مناصب او مراكز كانت في العادة يشغلها افراد من الدواوينية المركزية.وهو مؤشر على تغير في قاعدة السلطة والهيمنة والنفوذ داخل الدولة. كما قال لنا انوشروان ان الفئات في البلاط كانت منذ الايام الاولى لحكم السلطان محمود بن محمد تتالف من الموظفين المدنيين والعسكريين[٤٣٠]. والواقع انه حينما استبدل بالوزير الدركزيني، فان هذا الاخير قد شجع متعمدا الحاجب ارسلان ارغان وذلك في ميله الى ممارسات التآمر والفساد[٤٣١]. فهل كان يامل بهذه الطريقة السيطرة على معارضيه من بين البيروقراطية المدنية وذلك عن طريق تعزيز علاقاته مع افراد الهيكلية العسكرية الذين قد شغلوا مناصب مؤثرة؟

فمن الواضح جدا، على اية حال، بانه طالما قد تنامت قوة العسكريين على الصعد كافة في الدولة فان الصدور الذين كانوا في خدمة الامراء والاتابكة البارزين اصبحوا تدريجيا اكثر اهمية من اولئك الموظفين في خدمة السلطان نفسه.

ولقد لاحظنا كيف بدا الامراء يتدخلون في شؤون السلطنة مباشرة نسبيا بعد موت السلطان ملكشاه. وما ان بدأوا مهمين في تقرير نتائج الحروب المختلفة بين الامراء السلاجقة على الحكم حتى بدأوا يمتعظون

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

بل يعارضون محاولات البيروقراطية المدنية في ضبط طموحاتهم فيظلون مسيطرين على السلطنة. فحينما كان مجد الملك ابو الفضل القمي[٤٣٢] مستوفيا للسلطان بركياروق حاول السيطرة على الامراء وذلك بخفض رواتبهم[٤٣٣]. ولهذا السبب فان الامراء طالبوا باعدامه عندما اعتقدوا انه متورط مع الباطنية في مؤامرة للقضاء عليهم. فلجأ مجد الملك الى حريم بركياروق غير ان الامراء لافتقارهم كل مظاهر الحشمة والاحترام لسيدهم اقتحموا مكان اقامته وقتلوا المستوفي[٤٣٤].

وقد اتضح تدخل العسكريين في التعيين الفعلي وفي عزل الموظفين المدنيين بعد مدة وجيزة من وفاة كل من السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك. ففي بداية حكم السلطان بركياروق فان الاتابك كمشتكين قد عدها ضده عندما عين وزيره مستوفيا للسلطان[٤٣٥]. واثناء سلطنة محمد بن ملكشاه عندما ضعفت سيطرة السلطان واصبحت مقدرتهم في الاداء متوسطة في ابداعها، شرع الامراء والاتابكة ممارسة جهدهم بالتاثير الحاسم في اختيار موظفيه، كما لاحظنا في مسالة تعيين ربيب الدولة[٤٣٦]. وما ان حل محل السلطان محمد(القاصر) محمود وان السلطان الرسمي سنجر رئيس او زعيم البيت السلجوقي قد اختار البقاء في خراسان حتى بدأ الامراء يهددون مكانة السلطات المدنية وذلك عن طريق سيطرتهم في تعيين الموظفين وعزلهم. فعلى سبيل المثال فان هؤلاء الامراء استطاعوا القبض على المستوفي مختص الملك وتغريمه مبلغا قدره ٥٠,٠٠٠ دينار[٤٣٧].

وعندما لم يجدوا أي خطا في تأدية ابي اسماعيل الطغرائي فانهم اشاعوا شائعة انه كان ساحرا وذلك بهدف عزله[٤٣٨]. وكان الوزير

السابق خطير الملك الميبودي قد نصب طغرائيا(وهي وظيفة) غير انه سرعان ما اعفي من منصبه وارسل الى فارس مع الامير سلجوق شاه[٤٣٩]. ويعقب انوشروان على هذا بقوله انه في هذه السنين لم يؤخذ بالحسبان راي السلطان، وكان الامراء مستمرين على العمل كيفما شاءوا[٤٤٠].

وفي نهاية حكم السلطان محمود حقق الوزير الدركزيني بعض النجاح في التعامل مع الامراء، غير ان الذي اقلقهم فقط اضطهاداته ومصادراته التي طالتهم كما طالت أيا من الاشخاص البارزين المهمين الاخرين مدنيين او عسكريين ممن كان قد يكوّن تهديدا محتملا لموقعه. وقيل ان نسيبه عماد الدين ابا البركات وكان وزير مسعود بعد انوشروان قد اعاق وعرقل تدخلات الجيش وانه قد اعاد هيبة السلطنة[٤٤١]. ولم يكن بمقدور الوزراء الاقل قسوة والاقل رحمة من كبح تدخلات العنصر العسكري.

ففي عهد السلطان مسعود لم يكن هناك أي وزير، بعد كمال الدين الخازن، قادر على اعادة الاستقرار للوضعية وضبط وان بصورة مؤقتة تنامي نفوذ اولئك الامراء الذين اعتمد عليهم السلطان لدعمه وتثبيته على كرسي السلطنة، وبالتالي قد فقد تدريجيا سلطته على طموحاتهم او تطلعاتهم الشخصية. وقد بذل كمال الدين جهدا حاسما لاصلاح مساوىء الادارة المالية بتنظيم جمع الضرائب الشرعية ودفعها وانعاش او احياء الممارسات التي كانت قد عطلت. فقد كشف عن النشاطات الاحتيالية للموظفين والاخرين وحاول تفتيت سلطة الامراء وقوتهم[٤٤٢]. فعلى سبيل المثال اعطى الامراء اقطاعات من الاراضي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

على وفق مراتبهم وعدد افراد جيوشهم[٤٤٣]، وهو اجراء لم يؤد الا على زيادة عدم شعبيته. والواقع انه حقق قدرا من النجاح وافلح في جمع الضرائب بصورة اكثر انتظاما مما كان عليه الحال، لكنه في نهاية المطاف دفع ثمن او جزاء محاولته الوقوف ضد الامراء والرجال المرموقين ومعارضتهم له فقتل[٤٤٤].

وبدا الامراء في عهد السلطان مسعود وبعد وزارة كمال الدين محمد الخازن(٥٣٣/١١٣٧-١١٣٨) احلال موظفيهم الخاصين بهم في وزارة السلطان. ففي سنة ٥٣٣ بعث قراسنقر وزيره البروجردي الى السلطان نيابة عنه وعن اثنين من الامراء هما سلجوق شاه بن محمد وداود بن محمود، مهددا بالتمرد والعصيان مع عدد من الامراء الاخرين ان لم يسلم السلطان كمال الدين له او يقتله[٤٤٥]. وقد اذعن السلطان لمطاليب اقسنقر ومن ثم عين وزيره في وزارة السلطان.ومع ان هناك اختلافات في رواية هذه القصة لكن المسالة باقية وهي ان البروجردي قد كان وزيرا لاقسنقر وفي الواقع قد خدم مختلف الامراء الاخرين قبل ان يكون وزيرا للسلطان، وبانه قد شغل هذا المنصب لمصلحة اقسنقر ومصلحته بالدرجة الاولى.

وفي مثل هذه المناسبات حينما تقع المشاحنات والانقسامات بين صفوف الامراء انفسهم فانها تمنح للسلطان فرصة في اعادة توطيد وتوكيد هيمنته وسلطته بشكل مؤقت، وانه احيانا ينجح في ان يتخلص من الموظفين الذين قد عينهم الامراء وتعيين وزير من اختياره او حسب اختياره. فمثلا كان الحاجب الكبير ابن طغايرك يكره الوزير البروجردي لانه قد كان وزيرا ومؤيدا لاقسنقر المتنفذ. ولذلك فقد حث

او حفز طموحات الامير عباس امير اقليم الـــري بـــان مـــلأه بالامـــال والاماني كبديل لمرشحه في الوزارة. في الوقت نفسه كان خاص بيـــك بن بلنجري ينمي نفوذه كونه من المفضلين لدى السلطان فاستمر يدعـم البروجردي مع جاولي الجـــاندار الـــذي قـــد خلـــف او ورث منـــاصب وممتلكات قراسنقر في ايران واذربيجان. واخيرا فان جاولي الجـــاندار تزوج ابنة ابن طغايرك وبذلك تحولت عضوية التحالفات المختلفة.وعلى اية حال فقد انتهز السلطان محمود هذه الفرصة فـــي ســـنة ٥٣٩هـــ فاقصى البروجردي من منصبه وصادر ثروته[٤٤٦].

وعند توصل الثالوث العسكري المؤلف من ابن طغـــايرك الحـــاجب وبوزابه امير فارس وعباس امير الري الى اتفاقية واخذوا على عاتقهم السلطة في سنة ٥٤٠هـ (وكان قبول السلطان اسميا)فان نفوذ خـــاص بيك ووزيره قد حل محله نفوذ وهيمنة الثالوث العسكري والوزير الـــذي عينوه.وفي الحقيقة فان المؤرخ البنداري يعلق على هذه الحادثة بقولـــه ان اول امر اتخذه هؤلاء اقصاء وزير السلطان وتعييـــن وزيـــر اخـــر اختاروه[٤٤٧].وكان هذه هو تاج الدين بن زارست وهـــو ابـــن اخ تـــاج الملك الغنائم الذي حدث بالمصادفة انه كان وزيرا مقتدرا وفعالا حيـــث صارت وزارته لهذا السبب مســـؤولة ومقتـــدرة اكـــثر مـــن الـــوزارة السابقة[٤٤٨].

وعندما نجح مسعود في التخلص من الثالوث العسكري الواحد بعـــد الاخر اصبح خاص بيك مرة ثانية الشخصية الاكثر قوة في الدولة،وكـــان وزيره شمس الدين ابو النجيب الذي حل محل تاج الدين حينما عاد هـــذا الى فارس[٤٤٩].واعتمادا على البنداري فان هذا الوزير ليس له من عدد

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

الوزارة وان قدرا ضئيلا تربطه بالمنصب الا وهي رابطة القربى التي تجمعه مع اسرة الدركزيني[٤٥٠].ومع ذلك فانه قد شغل مواقع رفيعة المستوى في الدولة قبل تسنمه هذا المنصب،وبما انه وزير السلطان فقد كان مؤثرا في زيادة ممتلكات السلطة او اراضي السلطنة وذلك عن طريق اقناع الامراء بالتخلي عن بعض الاراضي التي قد اغتصبوها من السلطان مسعود.وكما ذكر فان الفوائد التي جناها من هذا الاجراء واضحة،فان حياة جديدة قد دبت في جسم الامبراطورية[٤٥١].ونظرة الى هذا التنازل من جانب الامراء فانه من الطريف القول انهم قد طالبوا في مناسبة اخرى وقعت في ٥٤٩هـ باعادة تعيين شمس الدين في الوزارة بدلا من الوزير المفروض عليهم جلال الدين ابو الفضل.

ومهما يكن فان المسالة المتبقية هي انه منذ زمن السلطان مسعود لم يسيطر الامراء والاتابكة فقط على تعيين الموظفين من السلطة المركزية انما احلوا موظفيهم محل موظفي السلطان. والواقع فقد كان شهاب الدين محمود بن الثقة وزير ارسلان بن طغرل والاتابكة ايلدكز(سيد الموقف الحقيقي)في الاصل وزير الامير ايناج شاه صاحب اقليم الري الذي قد دعم سليمان شاه في مطالبته بالسلطنة بعد موت السلطان محمد بن محمود.وعندما صار سليمان السلطان فان شهاب الدين اصبح وزيرا له. اما سليمان فانه خلع مباشرة من السلطنة،وبذلك اغتصب السلطة الاتابك ايلدكز ومحميه ارسلان بن طغرل،فظل شهاب الدين وزيرا لكليهما.

ان قبول السلطان الضمني للوزير الذي فرضه الامراء او الاتابك تبين بجلاء الدرجة التي صار فيها الامراء السلاجقة يبحثون عن تأييد

او بالاحرى الاعتماد على النخبة العسكرية بدلا من ان يكون العكس هو الصحيح.وهذا واضح بشكل خاص بالنسبة الى السلطان سليمان ولعله كان راغبا في ربط مصيره بمصير أي من اولئك الامراء الذين دعموه في محاولته الوصول الى السلطنة.

وبموت السلطان مسعود واسر السلطان سنجر من قبائل الغزّ وبعد مدة قصيرة اصبح الموقف من الصعب على اية حال التمييز بين مختلف الملوك والامراء المتنافسين على السلطة.فالمصطلح السابق كان يشير في العادة الى امير من الاسرة السلجوقية الذي كان تعهد اليه حكومة اقليم من الاقاليم؛اما المصطلح الثاني انه يعني الفرد من النخبة العسكرية التركية. ومهما يكن ففي نهاية الحقبة حصل الامراء البارزون الاكابر والاتابكة على منزلة الملك في الكثير من اجزاء الامبراطورية وانهم مارسوا سلطة حكم مطلقة.وان مؤسسة الاتابكية قد سهلت انتقال المنزلة الفعلية للملك الى معظم الامراء الاقوياء.ومما يستحق الذكر ان الاعتراف بارسلان بن طغرل كوريث لا ينازعه سليمان شاه قد خطط له من اجل ارضاء اتابك ارسلان ايلدكز(الذي ايضا تسلم حكم اقليم ايران برمته كاقطاع)وذلك لان سليمان كان يتخوف من قوته المحتملة وموقعه المؤثر بين الامراء.

وبتزايد النفوذ العسكري في الامبراطورية فمن الواضح انه في نهاية حقبة وزير السلطان قد شغل منصبا ضئيل الاهمية او بالاحرى لا اهمية له ما خلا سلطته كانت مستمرة من الامراء الذين كانوا هم الحكام الفعليون في الدولة.فحين او اذا ما صار السلطان قادرا ان يعيد توكيد سلطته مؤقتا،كما فعل السلطان الاخير طغرل،فانه كان في العادة

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

يعين وزيره.غير ان هناك القليل جدا لهذا الموظف ان يقوم به في الطريقة التي تعمل به الادارة المدنية وذلك لان مجال مقدرته ونطاق سلطته قد اصبحت محدودة جدا ومحلية جدا.فلقد اختير في الغالب بسبب امكاناته العسكرية طالما كان يعتمد عليه في قيادة قوات السلطان في معركة صارت في هذه السنوات معارك لا نهاية لها.

فمن الصعب التمييز بين العلة والنتيجة في الوقت الذي تتدهور فيه مؤسسة الوزارة وفي الوقت الذي اصبحت فيه الامبراطورية عسكرية بصورة متزايدة.ان هذين المتغيرين قد سارا جنبا الى جنب الى ان صار واضحا جدا بانه ليس فقط السلطة السلجوقية قد فشلت في المحافظة على نفسها ضد التهديد العسكري من الداخل،ولكن كان من هذا الفشل لا يمكن نجدته ضد الضغط المستمر من القبائل البدوية من خارج الحدود.

الاستنتاجات

أشر انحلال الخلافة العباسية في القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري نجاح الاسلام في تحطيم مفهوم الامبراطورية الجامعة والشاملة التي كانت سمة تاريخ اسيا الغربية منذ ايام الاخمينيين،وكذلك الى فشل الايدلوجية الجديدة في تجسيد او تنظيم ذاتها في مؤسسة سياسية عكست قيمها ومبادئها الحيوية.فالشؤون اللاحقة تعد حقبة انتقالية وحقبة تجريبية" التي انتهت بفشل المبدأ وانتصار اولئك الذين زعموا انهم يمثلونه."

مكتبة المهتدين الإسلامية للأقراص الأدبية

وأشر نظام الحكم في عصر السلاجقة العظام مرحلة مهمة في تطوير صيغة عمل مؤسساتية جديدة وفي دعم النظرية السياسية التي تلائم او تطابق بشكل كبير العالم الاسلامي الشرقي كما تطورت تاريخيا،كل هذا حدث في العصر الذي جاء بعد العباسيين.وكما رأينا فان السلطة السلجوقية قد افترضت وجود نظام لسلطتين او لسلطة منقسمة الى طرفين وكذلك افترضت وجود ضوابط حساسة جدا ودقيقة في التوازن بينهما،حاولت ان تسترضي هذه القوى وتوفق بينهما داخل او ضمن هيكلها.تلك القوى التي قد تطورت واضحت مهيمنة منذ ايام العباسيين.واشتملت هذه القوى على الاتي:-السلطة الدينية.والطبقة الدواوينية المركزية،والماكنة العسكرية التي كان قادتها في العصر السلجوقي قد وضعوا فوق كل شي انفسهم كعنصر حاكم اجنبي(تركي)على الشعوب المغلوبة في اسيا الغربية.فالسلطان السلجوقي من خلال تاكيده السيادة الدنيوية،وباعادتها مبدأ الترابط بين السلطة وبين المؤسسة الدينية وبائتمانها العلماء على تعليم وتدريب الدواوينية(البيروقراطية)وببذلها الجهود لتقوية وتعزيز الادارة المدنية كونها القوى الموازنة لطموحات النخبة العسكرية.بهذه الامور جميعا حاول السلاجقة ان يصوغوا انموذجا جديدا للدولة الاسلامية وكذلك لتعزيز موقعهم او وضعهم كحكام دنيويين.

ومع ذلك فعلى الرغم من ان هيكلية السلطة السلجوقية كانت متناغمة مع احتياجات المجتمع في ذلك الوقت ومدركة كل المؤسسات المسببة للانشقاقات والخلافات ومدركة ايضا القوى التي كانت فاعلة والعاملة انذاك،مع كل ذلك فلم تتخذ تدابير لابتكار مؤسسات جديدة التي

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

يكون باستطاعتها ان تبقي على هذا التوازن الدقيق والحساس للسلطة والقوة او ان تقدم بفعالية الانجاز او التنفيذ العملي للمبادئ الاسلامية في مناخ سياسي.وفوق ذلك فليس هناك من مؤسسة موجودة قد حققت المتطلبات المذكورة في اعلاه او انها عملت كعنصر داخلي للاستقرار.ولذلك فان انحلال السلطة السلجوقية يعزى بالدرجة الاولى الى عوامل الضعف والعجز داخل المؤسسات السياسية[٤٥٢] والادارية نفسها.

فقد عنينا بشكل عام بالانحلال الوظيفي للادارة المدنية بصورة عامة وبالوزارة السلجوقية بشكل خاص.وبما ان السلطة تحت ظل السلاجقة قد اعتمدت الى درجة كبيرة على الوزير-وقد تناولنا ذلك خلال مناقشة مهمات الوزير وتجنيده وتعليمه وتدريبه وخلفيته الثقافية ومصالحه وامتيازاته والاخطار التي احدقت به،كل هذا قد حاولت هذه الدراسة توضيحه في المجالين:-اللاستقرار في نظام الادارة المدنية وكذلك الارباك المعنوي والفساد الذي ساد الدواوينية نفسها.وقد رأينا خلال تتبعنا مهمات الوزير لاحظنا المدى الذي ادت ممارسته الخاصة بالمحاباة والمحسوبية خاصة الى تكوين الفئات او الانقسامات داخل الدواوينية والى استمرار حالة الشك وتدبير المؤامرات والى عدم القدرة على انتهاج سياسة مستمرة.وان نظرة فاحصة الى مسألة تجنيد او حشد الموظفين قد ابانت عن عدة مشاكل شخصية تلك المشاكل التي اعاقت انسيابية اداء الجهاز الحكومي وعرقلة مستوى الاداء الاداري سواء في الطريقة ام في الاجراء.

مكتبة المهتدين الإسلامية لأقراص الأدعية

وفضلا على ذلك فعلى الرغم من ان النظام التعليمي الجديد قد انتج في نهاية المطاف مجموعة متجانسة من البيروقراطيين لكن من المشكوك فيه ان هؤلاء قد تشربوا باخلاق وافكار ممارسة النظام الاداري الجديد الذي بدل بوضوح من مواقفهم ازاء الجماهير من الاهالي الذين اصبحوا بصورة متزايدة منعزلين عنهم.وايضا فان المنافع والقيم الثقافية لهذه الفئة وبسبب اصولها وتعليمها استمرت تتضمن الكثير مما هو فارسي.واخيرا فان حالة اللاستقرار الشامل وحالة المخاطر التي واجهها من تحمل اعباء المنصب قد قادت معظم البيروقراطيين الى ان ينتهزوا سياسة تبجيل او تعظيم الذات الذي من شأنه ان يعزز الانتهازية والانحلال الخلقي التي قد ادت بالفعل الى افساد النظام من الداخل.

من دون شك ومع ان سلطنة السلاجقة قد استمرت لاقل من قرنين من الزمن في العراق وايران فان السلاجقة العظام كانوا مهمين في حالتين:-كمبدعين وكناقلين للافكار والمؤسسات وربما سابق لاوانه التصور بان السلطنة هي البديل للخلافة كونها الممثلة للحكومة الاسلامية ككل.ومع ان هذه ليست الحل لمشكلة الحكومة فانها في الاقل تمثل الامكانية التي اشرتها التجربة السلجوقية وبظلها عمل المماليك العثمانيون بنجاح.ومع ذلك فان توكيد الاعتراف الشرعي بالسلطنة وشرعية السلطنة من قبل الخليفة فان السلاجقة قد عبدّوا الطريق الى اختفاء الخلافة نهائيا والى ظهور مؤسسات سياسية مركزية والى ظهور نظرية سياسية جديدة ملائمة بصورة اكثر للظروف التاريخية الحقيقية.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فضلا على ذلك فان السلاجقة بربطهم السلطة الدينية معنويا وماديا بنظم السلطة وبالنظر اليها ان الصوفية قد اندمجت بالبنية الاسلامية التقليدية.بهذه الحالة فان السلاجقة يكونون قد ربطوا المؤسسة الدينية،ان لم يكن قد سيطروا عليها.تلك المؤسسة التي تعد ضرورية جدا لديمومة السلطان او الحكومات العسكرية المستقبلية.بصورة خاصة عندما بدأت حالات الريبة والعزلة الجماعية توسع المجال بين الحكام الاجانب ورعاياهم من الاهالي(٤٥٣).

وباختصار فان التجربة السلجوقية تمثل ذروة النزعات والاتجاهات والتقاليد السابقة واعادة تكاملها،وكذلك فان هذه التجربة قد وفرت الانموذج للبنى المؤسساتية للدويلات الاسلامية المتعاقبة في اسيا الغربية.فمنذ ايام السلاجقة فصاعدا اظهرت المنطقة حكومات عسكرية استندت الى الفلسفة السياسية التركية-الفارسية معتمدة على نظام الموازنة بين السلطة والقوة والنفوذ.وكما انها مثلتها فئة الحكام الاجانب (الاتراك او المغول)والفئة المحلية البيروقراطية(كما في ايام العثمانيين)المرتبطة ثقافيا واجتماعيا وتعليميا مع مؤسسة التنظيم الديني،وشريحة من السكان المحليين الذين انعزلوا عن كل من الفئة العسكرية وفئات الموظفين بصورة عامة.

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقاومة الأديان

الهوامش

١-من الضروري التنويه الى ان لامانس ومونتغمري وات وغيرهما من المؤلفين يطلقون على مدينة مكة بدولة التجار او مدينة التجار او مجتمع التجار اشارة الى الوجود السياسي لنظام الدولة. وان الرسول(صلى عليه وسلم) بعد هجرته الى(يثرب) المدينة اسس اول دولة عربية(دولة المدينة) قائمة على اسس من التعاقد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ينظر على سبيل المثال مؤلفات لامانس Lammens , H مهد الاسلام(بالفرنسية) Le Bercecux deL' Islam وكتابه الاخر مكة والمدينة La Meque d la Veille de laltigre وكتاب مونتغمري وات Watt (محمد النبي ورجل الدولة Mohammad Prophet and Statesman) وكتابه الاخر الفكر السياسي الاسلامي. المفاهيم الاساسية(ترجمة صبحي حديدي)(المترجم).

٢-ينظر السيد هاملتون جب H. A. R. Jibb

Government and Islam under the early Abbasids

الدولة والاسلام في ظل حكم العباسيين الاول. الانحلال السياسي للاسلام.(باريس ١٩٦١-١٩٦٢) صفحات ١٢٠-١٢٥.

كذلك ينظر بحث المستشرق كلود كاهين Claude Cahen

The body politic(أي الامة) المنشور في الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية Unity and Variety in Muslim

شيكاغو ١٩٥٥/ Civilization(ed . g. E. von Gruenbaum ص١٣٨ وما بعدها.

٣-يلاحظ ان راي الاستاذة مؤلفة الكتاب لا ياخذ بالحسبان الظروف والتحديات السياسية الخارجية التي فرضها ظهور خطر القبائل الرعوية من اقصى المشرق الاسلامي واجتياحها المناطق الحضرية، وما كونته من خطر جسيم على مؤسسات الدولة العربية ومن بين اهمها مؤسسة الخلافة(المترجم).

٤-جب، المصدر السابق، ص١٢٧.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٥-ينظر ليونارد بندر Leonard Binder في بحثه(نظرية الغزالي في الدولة الاسلامية) المنشور في مجلة العالم الاسلامي The Muslim World جزء XLV رقم ٣/١٩٥٥ ص٢٤٠.

٦-ينظر الاستاذة لامبتون A.K.S. Lambton

Ouis Custodiet Custodes?

بعض الافكار عن نظرية الدولة عند الفرس

Some reflections on the Persian theory of government

بحث منشور في Studia Islamica(باريس ١٩٥٦) رقم ١/ص٦٢٩.

٧-والاتابكة هم النخبة العسكرية التركية من المتنفذين الذي يطلق عليهم عادة الامراء. وكان هذا الامير يعهد اليه العناية ورعاية امير سلجوقي قاصر(صغير) عهد اليه حكومة اقليم معين. ينظر الفصل الثالث من الكتاب عن مناقشة هذا الموضوع(الاتابكيات).

٨-ينظر فلاديمير بارتولد W. Barthold

Turkestan Down to the Monqol Invasion

(ترجمة منقحة بقلم البرفسور جب H. A. R.(طبعة ثانية بمناسبة ذكرى جب/لندن ١٩٢٨)ص٣٠٦. (وقد ترجم الاستاذ صلاح الدين عثمان هاشم كتاب بارتولد من اللغة الروسية الى العربية ترجمة قيمة بعنوان(تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي/ الكويت ١٩٨١. وهي ترجمة معدلة اذ ان الترجمة الحرفية تركستان حتى الغزو المغولي/المترجم).

٩-ينظر كلود كاهين Claude Cahen بحثه(الغزو التركي Turkish Invasion) المنشور في A History of the Crusades تحقيق K. M. Selton الجزء الاول(المئة سنة الاولى تحقيق M. W. Baldwin/ فيلادلفيا/مطبعة جامعة فيلادلفيا ١٩٥٥)ص١٥٦.

كذلك ينظر ابن الاثير: الكامل في التاريخ (تحقيق محمد مصطفى/ القاهرة ١٨٨٥) جزء ١٠ ص٦٤(سنة ٤٨٤هـ) حيث ذكر في الحادثة تحول ابن الموصلايا منشىء الخليفة الى الاسلام، ويضيف ابن الاثير ان احد اقارب المنشىء وهو ابو

نصر هبة الله بن الحسن بن علي صاحب الخبر قد تحول الى الاسلام ايضا في تلك السنة.

١٠-اطروحة لامبتون ص١٥.

١١-ينظر عن التمييز لمختلف انواع الاقطاعات الاستاذة ان لامبتون Ann K. S. Lambton (البنية الداخلية لامبراطورية السلاجقة The Internal structure of the Seljuq Enpire) بحث منشور في تاريخ كمبردج عن ايران Cambridge Hist of Iran ص٢٣١-٢٣٩، وكذلك بحث البروفسور كاهين بالفرنسية(تطور الاقطاع من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر للميلاد L' Evolution de le 'Iqta' du 1XauX111 Siecle المنشور في مجلة حضارات،مجتمعات اقتصاديات

Annales Econoncies, Societies, Civilizations

رقم١(كانون الثاني -اذار/١٩٥٣ ص٢٥-٥٢).

١٢-ينظر H. Browen براون في بحثه(البويهيون المتاخرون The Last Buwayludy) المنشور في مجلة J R A S (القسم الثاني/نيسان/ ١٩٢٩، ص٢٢٥-٢٤٥).

١٣-طرم(بالفتح) ناحية كبيرة باقليم الجبال مشرفة على بحر قزوين في طرف بلاد الديلم. وقد زارها ياقوت الحموي فوجد فيها ضياعا وقرى جبلية لا يوجد منها فرسخ واحد من الصحراء، وهي معشبة كثيرة المياه وتسمى ايضا(ترم). ينسب اليها القطن الناعم الموصوف. ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان(بيروت/دار صادر) جـ٤، ص٣٢(المترجم).

١٤-ينظر البنداري، الفتح بن علي محمد البنداري الاصفهاني: زبدة النصرة ونخبة العصرة(تاريخ دولة آل سلجوق) اختصار من كتاب عماد الدين الاصفهاني ص٧٢.

١٥-ينظر ابن الجوزي،ابا الفرج عبد الرحمن: المنتظم في تاريخ الملوك والامم(طبعة حيدر اباد-الدكن ١٩٣٩-١٩٤١)جـ٨، ص١٦٨-١٦٩(تشير الحادثة الى انة في سنة ٤٤٨هـ عقد عميد الملك الكندري وزير طغرلبك على

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

هزارسب بن بكير بن عياض الكردي ضمان البصرة والاحواز مقابل دفع مبلغ سنوي قدره ٣٠٠,٠٠٠ دينار سلطانية. واطلقت يده/ جـ٨ ص١٦٨-١٦٩/المترجم).

١٦-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٣(سنوات ٤٥١هـ)وص١٩(سنة ٤٥٩هـ) (ينظر عن الامارة المزيدية، ناجي، د. عبد الجبار: الامارة المزيدية في الحلة من سنة ٣٨٧هـ-٥٥٨هـ/٩٩٧-١١٦٢) طبعة اولى البصرة ١٩٧٠/ المترجم).

١٧-البنداري ص٣٦/٣٧.

١٨-ابن الجوزي: المنتظم جـ٨ ص٣٢٣(ومما يلاحظ ان الاشارة هنا الى خمارتكين وابن علان اليهودي من حوادث سنة ٤٧٢هـ لا كما ذكرت المؤلفة سنة ٤٥٩هـ، فقد ضمنت البصرة سنة ٤٧٢هـ الى خمارتكين بن الشراي بعد مقتل ضامنها علي بن علان اليهودي. وكان مبلغ الضمان ١٠٠,٠٠٠ دينار ومئة فرس في كل سنة. وفي سنة ٤٤٨هـ عقد الوزير الكندري وزير طغرلبك ضمان البصرة والاحواز واعمالها الى هزارسب بن بنكير(او بكير) مقابل ٣٠٠,٠٠٠ دينار. فقد اختلطت الروايات في اشارة المؤلفة. ينظر ابن الجوزي جـ٨ ص١٦٩(سنة ٤٤٨هـ) وص٣٢٣(سنة ٤٧٢هـ. المترجم).

١٩-اطروحة لامبتون ص٢٦،٢٧.

٢٠-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٤٥،٤٦.

٢١-م.ن. جـ١٠ ص٤٩.

٢٢-بالرغم من عدم تناولنا موضوع القبائل التركمانية لكنه من الضروري ملاحظة ان العديد من الاشخاص يعد هذه المشكلة على انه من اكثر مشاكل الحقبة خطورة، حيث يعتمد عليها حل او تحليل مجمل العقدة المدلولات والمقاصد الحضرية والمستقرة التي قد ميزت اسيا الغربية حتى هذا الوقت.

٢٣-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص١٤٠،١٤١،١٤٣،١٤٤(حوادث سنة ٤٩٩هـ).

٢٤-ينظر بحث كلود كاهين السابق(الغزو التركي)ص١٥٣.

٢٥-ينظر لامبتون(بحثها في تاريخ كمبردج عن ايران)ص٢٢٥.

٢٦-يناقش نظام الملك تدريب الغلمان Pages في القصور وتعليم وترقية الموظفين العسكريين في كتابه سياسة نامة. ينظر فصل(٢٧) من النص الفارسي ص١٣٣-١٣٤. ومن الترجمة الانجليزية بقلم H. Darke بعنوان
The book of government or Rules for Kings
(لندن ١٩٦٠) ص١٠٥-١٠٦. وينظر ايضا كتاب البروفسور جب بعنوان مؤرخ دمشقي عن الحروب الصليبية(لندن-لوزاك ١٩٣٢) المقدمة وتحتوي اطروحة لامبتون فصلا عن الجيش(١٢٩-١٦٧) وبشأن الامراء والاتابكة(ص١٦٨-٢٠٨). وينظر مناقشتها في تاريخ كمبردج عن ايران بشأن الاتابكية من صفحات ٢٣٩-٢٤٤. ويعطي الاستاذ بارتولد قائمة لموظفي القصر في ظل الحكم الساماني في تركستان ص٢٢٧-٢٢٩. وينظر عن مناقشة الموظفين والمناصب المدنية والعسكرية في ظل الحكم الغزنوي M. Nizam في كتابه(حياة واحوال السلطان محمود الغزنوي The life and times of Sultan M. of Ghazna (كمبردج ١٩٣١) صفحة ١٢٦-١٥٠. وكذلك كتاب بوزورث C. E. Bosworth: الغزنويون: امبراطوريتهم في افغاستان وشرقي ايران ٩٩٤-١٠٤٠م(ادنبره، ١٩٦٣) ص٩٨-١٢٦.

٢٧-البنداري ص١٠٠.كانت هذه الدواوين في هذه الحقبة المبكرة من تنظيم الدولة يشار اليها في الغالب باسماء مختلفة،اما عن مهمات وواجبات موظفيها فلم تكن واضحة جدا.وهكذا فان صاحب ديوان الانشاء خلال وزارة تاج الملك ابو الغنائم وهو سديد الملك ابو المعالي ويشار له بالمنشئ المشرف وهي اشارة لا تلمح فقط الى ازدواجية المنصب فقط انما الى توليف للمهمات داخل الهيكلية الادارية حتى بعد موت نظام الملك (ينظر البنداري ص٦٣ ويقارن نصه بما اوردته الاستاذة لامبتون في بحثها في تاريخ كمبردج عن ايران ص٢٥٦.

http://www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارعة الأديان

http://www.al-maktabeh.com

٢٨-ينظر ابن خلكان،وفيات الاعيان(ترجمة بارون ماكوين-دي سلان(٤اجزاء،باريس١٨٤٢-١٨٧١)جزء ٣ ص١٦٢)ترجمة سبط بن الجوزي)حيث ان منصب الاقطاع اصطلح عليه بديوان المقاطعات،ابن خلكان جـ ٤ص١٣١(ترجمة ابن زباده)حيث سمي هذا الديوان ديوان هبات الدولة.

٢٩-البنداري ص١٣٢.وقد اسس السميرمي ديوان المصادرات وسمي بديوان المفردات.

٣٠-الاستاذة ان لامبتون بحث(ديوان)في دائرة المعارف الاسلامية(طبعة جديدة E.I.[2])جزء٢(ليدن-بريل١٩٦٢)ص٣٣٣.

٣١-عتبة الكتبة ص٣٣،٥٢،٥٣.

٣٢-ينظر لامبتون بحثها في تاريخ كمبردج عن ايران ص٢٥٧،٢٥٨.

٣٣-سياسة نامة(فصل (٤٨) XLVIII)ترجمة Darke ص٢٤٦،النص الفارسي ص ٢٠٥-٢٠٦.

٣٤-البنداري ص٩٧،٩٨،ينظر الحسيني الراوندي:راحة الصدور ص١٦٣،حيث ذكر الرقم ٨٠٠.٠٠٠دينار.

٣٥-البنداري ص٩٧.

٣٦-م.ن.ص١٤٨،١٤٩.

٣٧-قد عهدت الى عبد العزيز مسؤولية الخزانة ورعاية اطفال السلطان محمود(البنداري ص١٤٨).وصار تاج الملك ابو الغنائم مسؤولا عن الخزانة وعهدت اليه وزارة اطفال السلطان ملكشاه(المصدر نفسه ص٦١).

٣٨-اعتمادا على رأي كلود كاهين في بحثه(La Tugra Seljukide)(الطغرا السلجوقية)باللغة الفرنسية المنشور في المجلة الاسيوية .J.A عدد ١٣٤ ١٧××٢٢(١٩٤٣-١٩٤٥)فان مشكلة اصل الكلمة etymology فهي حتى الان غير محلولة طالما انها تبدو لا تؤشر الى السهم او الى القوس فيقول

"IL semble falloir orienter l 'enquete vers une significatin fonclionnelle"

وترجمتها"يبدو من الضروري البحث عن المهمة التي يدل عليها المنصب"،وطبقا لما قاله ابن خلكان(جزء١/ص٤٦٣)فان الطغرائي تعني كاتب الطغرى،وهي

التأنق في الكتابة باقلام مسننة عرضيا.تكتب في بداية الاوراق الرسمية فوق البسملة وتتضمن القاب الامير الذي تصدر عنه هذه الاوراق.والطغرا كلمة فارسية.وسنترجم البيروقراطية بالدواوينية:ونص ابن خلكان الحقيقي هو الطغرى بضم الطاء النسبة الى من يكتب الطغرى وهي الطرة التي تكتب في اعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك.وهي لفظة اعجمية.ابن خلكان(بيروت)جـ٢ ص١٩٠المترجم.

٣٩-البنداري ص٨٣.

٤٠-م.ن.ص١٠٠.

٤١-ينظر كاهين((الطغرا السلجوقية))ص١٧٠.

٤٢-ينظر سمث لامبتون في تاريخ كمبردج ص٢٥٨،٢٥٩.

٤٣-ينظر سياسة نامة(فصل٩)النص الفارسي ص٥٦؛ترجمة Darke ص٦٦.يبدو ان اهمية المشرف كانت تختلف من وقت الى آخر.(وليس بالضرورة كل وزارة تضم مشرفا مثلا.على الرغم من المحتمل ان المصادر قد اهملت ذكر هذه الوظيفة).

٤٤-ينظر لامبتون بحثها في تاريخ كمبردج عن ايران ص٢٥٩،٢٦٠ حيث هناك تعقيبات اخرىَ عن هذا الديوان.

٤٥-البنداري ص٩٣،٩٤"منطقيا بليغا عارفا باخلاق السلطان في اوقات رضاه وسخطه بنداري ص٩١)

٤٦-م.ن.ص٩٣،٩٤

٤٧-م.ن.ص١١٧

٤٨-ينظر ادناه في موضوع(تجنيد الوزير/الفصل الثاني

٤٩-البنداري ص٧٩؛ابن الاثير:الكامل جـ١٠ ص١٣٢(سنة ٤٩٧هـ)

٥٠-البنداري ص١١٤

٥١-ابن الاثير:الكامل(حوادث سنة ٥٧٠هـ)جـ١١ص١٦١

٥٢-البنداري ص١٢٥.ينظر ملحق رقم(٢)بشأن العديد من المناصب التي شغلها هذا الموظف مدة تقارب الثماني عشرة سنة.

www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٥٣-م.ن.ص٦٣.

٥٤-م.ن.ص١٠٠،١٠١،١١١

٥٥-م.ن.ص٢٩٢؛ابن الجوزي:المنتظم جـ١٠ ص١٩٣.

٥٦-ينظر بحث البروفسور كاهين(عميد)في دائرة المعارف الاسلامية طبعة جديدة(ليدن،بريل١٩٦٠)ص٤٣٤.فالعميد لقب من القاب الموظفين رفيعي المستوى في الادارة السامانية والغزنوية حيث توسعت الامبراطورية السلجوقية.وتشير الكلمة الى رتبة لا الى وظيفة،وهي رتبة فئة من الموظفين حيث يجند منها العمال.وينظر عبد العزيز الدور في بحثه(عامل)في دائرة المعارف الاسلامية جزء ا ص٤٣٠ والعامل من حيث المصطلح الفني يشير الى عامل الدولة او موظف الدولة وبالاخص الذي كان يجمع الضرائب.ويميز الماوردي وابو يعلى العمال الذين كانوا حكاما على الاقاليم بسلطة مطلقة ومحدودة،وكذلك العمال هم الذين يعينون لمهمات محددة.

٥٧-ينظر كاهين(الغزو التركي)ص١٥٦

٥٨-عتبة الكتبة(تحقيق عباس اقبال،طهران ١٩٥٠)(بالفارسية)ص٣١،٣٢.

٥٩-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق(تحقيق امدروز H.F(ليدن،بريل١٩٠٨)ص١٩٣-١٩٧(حوادث سنة٥٠٩/١١١٥-١١١٦).وتنظر ترجمة روجر تورنيو Roger Le Tourneau :دمشق من١٠٧٥ص١١٥٤ Damas de 1075 a 1154 دمشق/المعهد الفرنسي في دمشق ١٩٥٢)ص١٣٧-١٤٣.

٦٠-عتبة الكتبة ص٧٩ ويعني ديوان الولاية

٦١-لامبتون بحثها(ديوان)في دائرة المعارف الاسلامية E.I.[٢] ص٣٣٣

٦٢-لامبتون بحثها((ادارة امبراطورية السلطان سنجر كما يبينه كتاب عتبة الكتبة))المنشور في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية BSOAS(١٩٥٧)جزء٢٠ص٣٨٣(كذلك تنظر صفحات٣٨٣-٣٨٨بشأن مناقشة الاستاذة للرئيس موظفا اداريا في امبراطورية سنجر).

٦٣-البنداري ، ص٩١

٦٤-ينظر في اعلاه بخصوص(ديوان الطغرائي)والرئيس.فان الرئيس دفع الى السلطان ما كان قد تعهد بدفعه خلال اسبوع من خزانته من دون ان يستلف او يبيع أي شئ (بنداري ص٩٨).

٦٥-ينظر لامبتون بحثها((ادرة امبراطورية السلطان سنجر))ص٣٦٩،بخصوص الموظفين الماليين.وكانت وظيفة العامل احيانا ارفع من هذه المكانة وارفع من وظيفة عامل الاقليم.وفي الغالب فان العامل كان يوضع تحت اشراف الرئيس في منطقة معينة.

٦٦-لامبتون بحثها ?Quis Custodiet Custodes في مجلة Studia Islamica جزء٥ القسم الاول ص١٢٩(هامش رقم ١)كذلك ينظر Binder بندر في بحثه((الغزالي))ص٢٣٦،٢٣٧.

٦٧-ومهما يكن فكما يذكر بندر Binder بتحليل مؤسسة الخلافة الى مكوناتها يصبح من الممكن لبقية الاجزاء الداخلة في هذا التركيب تتكون في ما بينها من دون تدخل الخليفة نفسه وبهذه الطريقة مهد الغزالي الطريق للتطور الذي ظهر بعد السلاجقة للنظرية السياسية للمجتمع.ينظر بندر Binder ((الغزالي))ص٢٤١.

٦٨-ينظر ابن الاثير:الكامل(حوادث سنة ٤٩٧هـ)جـ١٠ ص١٢٩

٦٩-م.ن.جزء١٠ ص١١٤،١١٥(سنة ٤٩٥هـ)

٧٠-م.ن.جـ١٠ص١١٧،١١٨

٧١-لامبتون في بحثها Quis Custodiet في مجلة Studia Islamica جزء ٦ القسم الثاني ص١٣٠، بندر Binder "الغزالي" ص٢٢٩،٢٣٠.

٧٢-فارس .N. A: كتاب العلم للغزالي(ترجمة كتاب العلم في احياء علوم الدين للغزالي/ لاهور محمد اشرف ١٩٦٢)ص١٧٩.

٧٣-م.ن. ص١٨٢(راجعت النص الحرفي ودونته من احياء علوم الدين.

٧٤-م.ن. ص١٠٨-١٠٩(طبعة دمشق-درويشية ج١،ص٣٧).

٧٥-البنداري ص١١.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٧٦-لامبتون في بحثها Quis Custodiet في مجلة دراسات اسلامية الجزء الخامس القسم الاول ص١٣٥.

٧٧-ينظر في اعلاه بشان تقليد عضد الدين عاملا على جرجان.

٧٨-البنداري ص٥١ فقد بعث ممثلا عن ديوان القاضي لمرافقة مؤيد الملك في بعثة الى والده نظام الملك.

٧٩-فعلى سبيل المثال تلقب قاضي القضاة الدامغاني بلقب تاج الاسلام(المنتظم جـ٩ ص١٣٤)(يذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٩٦هـ في شهر صفر تلقب ابو الحسن الدامغاني بتاج الاسلام مضافا الى قاضي القضاة جـ٩ ص١٣٤. المترجم).

٨٠-ينظر ابن الجوزي: المنتظم جـ٩ ص٢٢٧ حيث ورد ذكر نائب قاضي القضاة(ورد في نص ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٥هـ ما نصه"ونفذ من دار الخلافة بالقاضي ابي منصور ابراهيم بن سالم الهيتي نائب الزينبي برسالة من الخليفة الى السلطان" جـ٩ ص٢٢٧. المترجم).

٨١-مثال على ذلك عائلة الدامغاني(المنتظم جـ٩ ص٢٠٨-٢١٢).

٨٢-ينظر ايضا المنتظم جـ١٠ ص١٩٨(سنة ٥٦٦هـ) فقد صار جعفر بن الثقة قاضي قضاة محل ابيه في هذه السنة.

(مما يجدر ذكره ان اسم قاضي القضاة جعفر بن الثقفي وليس الثقة وانه توفي سنة ٥٦٣هـ لا ٥٦٦هـ. وبقيت بغداد بلا قاض مدة ثلاثة وعشرين يوما في ربع من ارباعها ولا قاضي قضاة حتى عين في هذه السنة وفي ١٥ من شهر رجب روح بن احمد الحديثي ويبدو انه عين اولا قاضيا في هذه السنة لان ابن الجوزي يذكر في حوادث ٥٦٦هـ ان روحا تولى قضاء القضاة يوم الجمعة ١٤ من شهر ربيع الاول من سنة ٥٦٦هـ. المترجم).

٨٣-عباس اقبال: الوزارة في عهد السلاطين السلاجقة العظام(بالفارسية، طهران، جامعة طهران ١٩٥٩) ص٥٧ وما بعدها. فمثلا كان جد كمال الدولة ابو الرضى، منشىء السلطان ملكشاه ومشرفه، قاضيا مشهورا واديبا ومتعلما.

٨٤-ابن الجوزي: المنتظم جـ٩ ص١٥٠(حوادث سنة ٥٠٠هـ) وجزء ٩ ص٢٥٩(حوادث سنة ٥١٨هـ).

٨٥-وكان هذا القاضي هو صدر الدين قاضي مراغه. ينظر البنداري ص٣٠٣، كذلك ينظر راحة الصدور ص٣٣١(هامش ٣).

٨٦-ينظر ابن الجوزي: المنتظم جـ٩ ص٢٠٨(بشان علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن الدامغاني قاضي القضاة ابن قاضي القضاة فتقلد اولا القضاء في محلة باب الطاق سنة ٤٦٦هـ ثم تقلد القضاء والعدل. وقد تولى القضاء لاربعة خلفاء. وفي سنة ٤٨٨هـ قلده الخليفة المستظهر قضاء القضاة وتوفي سنة ٥١٣هـ، ابن الجوزي المنتظم ترجم لحياته ترجمة مفصلة جـ٩ ص٢٠٨-٢١٢. المترجم).

٨٧-ابن الجوزي المنتظم جـ٩ ص٢٤.

٨٨-م.ن. جـ١٠ ص١٠٩.

٨٩-م.ن. جـ١٠ ص٨٥.

٩٠-ابن خلطان: وفيات جـ٤ ص٤١٧-٤٣٥.

٩١-م.ن. جـ٢ ص٦٤٦-٦٤٩.

٩٢-بندر Binder(الغزالي) ص٢٤٠.

٩٣-ينظر الاستاذ جب في بحثه" Government and Islam" بخاصة صفحات ١١٥-١١٩، ١٢٥-١٢٧ بشأن تفسير معقول لافعالهم- أي افعال البويهيين.

٩٤-ينظر الاستاذ كلود كاهين في بحثه(البويهيون) في دائرة المعارف الاسلامية/ طبعة جديدة.

E. I جزء ١(ليدن- بريل ١٩٦٠) ص١٣٥٣.

٩٥-فعلى سبيل المثال كان السلطان مسعود معتنيا او دقيقا في الحصول على فتوى تمكن بصلاحية رسمية مشروعة على تنحية الخليفة الراشد. ينظر ابن الاثير: الكامل جـ١١ ص١٦(حوادث سنة ٥٣٠هـ).(يتحدث ابن الجوزي في المنتظم ان السلطان مسعود استمال قلوب الناس وجمع القضاة والشهود وقدحوا في الراشد وقيل لم يقدحوا واخرج السلطان خطه ونصه: انني -أي الخليفة- متى

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

جندت او خرجت فقد خلعت نفسي من الامر. فشهد الشهود ان هذا خط الخليفة. واحضر الفقهاء والقضاة وخوفهم وهددهم ان لم يخلعوا الخليفة. المنتظم جـ١٠ ص٦. المترجم).

٩٦-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٥٣(حوادث سنة ٤٧٩هـ) والنص بشان الهدايا التي ارسلها السلطان ملكشاه الى الخليفة في اول زيارة له لمدينة بغداد).

٩٧-البنداري ص٩.

٩٨-صديقي A. H. Siddiqi في بحثه"الخلافة والملكية في بلاد فارس في العصر الوسيط(بالابجليزية)" المنشور في مجلة الثقافة الاسلامية Islamic Culture جـ١٠، ص٣٩٨.

٩٩-البنداري ص٢٣.

١٠٠-م.ن. ص٢٤.

١٠١-ينظر ابن الطقطقي؛ محمد بن علي بن طباطبا: الفخري(تحقيق درنبرغ H. Derenbourg/ باريس ١٨٩٥) ص٤٠١(وترجمة انجليزية من وتنغ C. E. J. Whitting: الفخري(لندن- لوزاك ١٩٤٧)ص٢٨٨.

١٠٢-ابن الاثير: الكامل جزء ١٠ ص٤٩(حوادث سنة ٤٧٨هـ).

١٠٣-فمثلا على ذلك ان القائم ولي عهد المقتدي قد تزوج في سنة ٤٦٤هـ من ابنة السلطان الب ارسلان(البنداري ص٤٥). كذلك تزوج وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير من ابنة نظام الملك. وعندما توفيت فانها دفنت في تربة الخليفة وهي عادة غير مالوفة، لكن ذلك يشير الى الهيبة والاحترام الذي كان يتمتع بها والدها(بنداري ص٥٢).

١٠٤-بنداري ص٩٨.

١٠٥-م.ن. ص١٩، ٢٠.

١٠٦-م.ن. ص٤٤، ٤٥.

١٠٧-م.ن.

١٠٨-ينظر ستانلي لين بول Stanley Lane Poole: كاتلوج النقود الشرقية في المتحف البريطاني جـ٣: نقود عوائل او الاسر التركمانية من السلاجقة، ارتق

زنكي وغيره(تحقيق بول R. S. Poole(لندن ١٨٧٧) ص٣٠-٣٣. ينظر ايضا صديقي Siddiqi بحثه السابق Caliphate and King ship المنشور في مجلة الثقافة الاسلامية جـ١٠ ص٣٩٨،٣٩٩.

١٠٩-فقد اسقط اسم السلطان مسعود في سنة ٥٣٠هـ من الخطبة في بغداد وحل محله اسم الامير السلجوقي داود(ينظر ابن الاثير جـ١١ ص١٤). وبعد موت السلطان محمود في سنة ٥٢٦هـ/١١٣١ عندما بدا الخليفة يتورط في صراعات الامراء السلاجقة فانه اسقط اسم السلطان سنجر من الخطبة في جميع العراق(ينظر بشأن ذلك ابن الاثير جـ١٠ ص٢٤٢(يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٦هـ وقطعت خطبة سنجر في اليوم الثالث من شهر رجب ينظر المنتظم جـ١٠ ص٢٦.

١١٠-البنداري ص٨٠.

١١١-كما اوضح صديقي بانه من الممكن القول ان الخليفة لم يجرد نفسه نهائيا من السلطة الدنيوية او الزمنية في بغداد. اولا وقبل كل شيء، فانه من المستحيل على السلطان، أي سلطان، الاقامة في بغداد. فضلا على ذلك فانه بعد السلطان طغرلبك لم يظهر أي سلطان يسمح له اضافة هذا اللقب(بيك) بعد اسمه على النقود المضروبة هناك. فالخلفاء كانوا لم يزالوا قادرين على فرض الضرائب في مدينة بغداد. ومن الجانب الاخر كان السلاطين يلزمون او يضمنون واردات المدينة ويجعلون من انفسهم المسؤولين في ادارتها. ولهذا الغرض فقد عينوا شحنة للمحافظة على امن وسلامة المواطنين؛ وقد تساهل او تسامح الخليفة في ان يتولى هذا الموظف امتيازات كبيرة او ملكية؛من امثال قرع الطبول على شرفه وغيرها.ومع كل هذا فقد ظل الخليفة يعد السلطة المهيمنة في جميع الامور المتعلقة بمدينة بغداد(ينظر صديقي بحثه(Caliphate and kingship)في مجلة ثقافة اسلامية Islamic Culture جزء ١٠ ص٤٠٦.

١١٢-طبقا لما قالته لامبتون في بحثها"Quis Custodiet"جزء ١٠ القسم الاول ص١٣٠.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

١١٣-ضمن السلطان بركياروق اسمه في الخطبة سنة ٤٨٧هـ(ينظر ابن الاثير جـ ١٠ص٧٩(سنة٤٨٧هـ).ولكن عندما افلح اخوه محمد بدحره في معركة وقعت سنة ٤٩٢هـ اسقط اسمه وادخل اسم محمد بدلا عنه وذلك بالتماس من محمد نفسه.(ابن الاثير جـ ١٠ص١٠٠(حوادث سنة ٤٩٢هـ)

(يقول ابن الجوزي في سنة ٤٨٦هـ سار كل من محمد وبركياروق الى بغداد فخطب لنفسه وضرب الطبل وخرج اكثر عسكر بركياروق اليه وانفذ رسولا الى بغداد فخطب له في ذي الحجة سنة ٤٩٢هـ.المنتظم جـ٩ص١٠٩.المترجم)

١١٤-ومن الجانب الاخر ان التغيرات السريعة في السلطة الزمنية قد جعلت منصب الشحنة غير مستقر.فان أي تغيير للسلطنة يؤدي آلياً الى تغيير في شحنة بغداد،ولذلك تحدث احيانا حروب بين المطالبين المتنازعين وانهم احيانا يسعون الى الحصول على مساعدة من الخليفة.

(ينظر صديقي بحثه Caliphate and kingship المنشور في مجلة ثقافة اسلامية جزء١١ص٣٨،٣٩).ومهما يكن يمكن اجمالا القول ان الخليفة ما زال فاقد القوة اولا قوة له في التاثير في مجرى الاحداث.

١١٥-صديقي بحثه Caliphate and kingship في ثقافة اسلامية جزء١١ص٤٠،٤١.

١١٦-م.ن.ص٣٩،٤٠.

١١٧-لين بول Lane Poole :كاتلوج جزء٣ص٤٣،٤٤.

١١٨-صديقي في بحثه Caliphate and kingship في ثقافة اسلامية جزء١١ص٤٠.

١١٩-البنداري ص١٥٢

١٢٠-صديقي بحثه Caliphate and kingship جزء ١١ ص٤٠

١٢١-بنداري ص٢٣٥ يقارن مع ما قاله ابن الاثير:الكامل جزء١١ ص٧٤(حوادث سنة ٥٤٩هـ)والمنتظم جـ١٠ص١٥٧،حيث جاء في هذين المصدرين ان الوزير قد منح لقب"تاج الملوك،ملك او قائد الجيوش".(يذكر ابن الجوزي في

حوادث ٥٤٩هـ ان الخليفة امر الوزير بالخروج فخرج ومعه العسكر فانهزم العدو.المنتظم جـ١٠ص١٥٧.المترجم).

١٢٢-هذا هو طرشق الذي توزع ولاءه،حسبما يبدو بين الخليفة المقتفي وبين اولئك الامراء الاتراك،واخيرا نزل الى ميدان المعركة ضده محاولا استرجاع الاقطاعات التي قد اخذت منهم.وفي النهاية فان طرشق صار الى جانب اعداء الخليفة وهو الذي قتل خازن الخليفة المقتفي.البنداري ص٢٣٨.

١٢٣-البنداري ص٢٣٥.

١٢٤-المنتظم جـ١٠ ص١٦٤(حوادث سنة ٥٥١هـ)

١٢٥-البنداري ص٢٤١،٢٤٢.

١٢٦-ابن الاثير:الكامل جـ١١ ص٩٨،٩٩(حوادث سنة ٥٥٥هـ)

١٢٧-البنداري ص٢٩٦

١٢٨-صديقي بحثه Caliphate and kingship في مجلة ثقافة اسلامية جزء١١ص٤٦.

١٢٩-م.ن.ص٤٧،٥٨

١٣٠-ينظر بحث الاستاذ جب H.A.R.Gibb(النظم الدستورية Constitional Organizationالمنشور في كتاب مجيد خدوري القانون في الشرق الاوسط Law in the middle East المحقق من قبل مجيد خدوري والاستاذ ليبيسني H.J.Liebesny الجزء الاول:اصل وتطور الشريعة(القانون)الاسلامي Origin and Development of Islamic Law(واشنطن،او مركز الشرق الاوسط ١٩٥٥) ص٢١.

١٣١-يذكر الاستاذ بارتولد ان السلطان ملكشاه ربما كان مثقفا ومتعلما اكثر من أي من السلاطين الاخرين،وان هناك دليلا جيدا على ان السلطان سنجر كان اميا(ينظر تركستان ص٣٠٨ الانجليزية)ومع ان هذا القول يبدو صحيحا بصورة عامة لكن هناك بعض السلاطين الذين يظهر انهم كانوا متعلمين.فعلى سبيل المثال يذكر ابن خلكان ان السلطان محمود بن محمد كان متوقدا ذكاء قوي المعرفة بالعربية حافظا للاشعار والامثال عارفا بالتواريخ والسير شديد الميل الى

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

اهل العلم والخير وكان حيص بيص الشاعر قد قصده(ينظر ابن خلكان جزء٣ص٣٣٦؛البنداري ص١٥٦ والبنداري يعقب ايضا على معرفة هذا السلطان العربية.

١٣٢-بارتولد:تركستان(الانجليزية)ص٣٠٨،٣٠٩(ينظر سياسة نامة الفصل الحادي عشر)النص الفارسي ص٦٦،وترجمة Darke ص٥٧.لقد قدمت هذه المشورة بحجة ان كثرة اصدار الاوامر تقلل من هيبة ممارسة الحاكم لسلطته).

١٣٣-بارتولد:تركستان ص٣٠٩.ينظر سياسة نامة(فصل ١٥)النص الفارسي ص٨١؛والترجمة الانجليزية بقلم Darke ص٩١.

١٣٤-ينظر اطروحة لامبتون ص٥٤،٥٥.

١٣٥-ينظر سياسة نامة(فصل ٤١)النص الانجليزي ص١٧٥؛النص الفارسي ص١٤٨.

١٣٦-ينظر دفريمري Defremery (المترجم):تاريخ السلاجقة بالفرنسية Histoire des Seljoukides (وهو ماخوذ من كتاب تاريخي كزيدة لحمد الله مستوفي. Extraite du Tarikhi Guzideh d Hamdallah Mustaufi المنشور في المجلة الاسيوية Journal Asiatique مجلة ١١/السلسة الرابعة نيسان-مايس١٨٤٨)ص٤٣٢-٤٣٥. سال السلطان الب ارسلان وزيره نظام الملك ان يعمل او يرتب له سجلا للمصروفات وواردات الدولة.فاجابه نظام الملك ان ذلك يتطلب منه سنتين لاتمام العمل عندئذ عرض حسن ان يرتب له مثل هذا السجل في اربعين يوما وقد نجح في عمله.وتخوف نظام الملك من فقدان منصبه فدبر عملية لافساد انجاز الكاتب الذي صرف من منصبه.ان عملية اغتيال الوزير في نهاية المطاف من قبل الحشاشين الاسماعيلية ينسب احيانا الى الضغينة التي ظلت في نفس حسن ضد نظام الملك.ويقال ان هذه الحادثة كانت المسؤولة عن عدد من الابتكارات او التجديدات المتعلقة بالادارة المالية،مثلا على ذلك ترقيم الصفحات وتسجيل الدخل والمصروفات على جوانب الورقة المختلفة.ينظر ايضا اطروحة لامبتون ص٥٨،٥٩.

١٣٧-البنداري ص٥٨

١٣٨-ابن الاثير:الكامل جزء١٠ ص١١٧(٤٩٥هـ)

١٣٩-م.ن.ص٢١٤(حوادث سنة ٥١٦هـ)

١٤٠-م.ن:الكامل جزء ١١ ص٢٥(حوادث سنة ٥٣٢هـ)

١٤١-البنداري ص١٦١،١٦٢

١٤٢-اطروحة لامبتون ص٦٨

١٤٣-ابن الاثير:الكامل جـ١١ص٢٥

١٤٤- اطروحة لامبتون ص٦١

١٤٥-ابن الاثير:الكامل جزء ١١ ص٤٤(حوادث سنة ٤٧٦هـ

١٤٦-م.ن.جزء ١١ ص٢٥(حوادث سنة ٥٣٢هـ)

١٤٧-راحة الصدور ص٢٣٠

١٤٨-خازن السلطان وخازن الدولة كان من الصعب التمييز بينهما في جميع الامور العملية.

١٤٩-فعلى سبيل المثال ان عبد العزيز مستوفي السلطان مسعود ادراكا منه بان الوسيلة الوحيدة التي يحتمل ان يضبطه بها الوزير الدركزيني هي تحويل موقف السلطان ضده،لذلك استقال من منصبه كمستوف ونجح في ان يحصل على وظيفة خازن السلطان والمشرف على تربية اولاده.وكان بهذا العمل يامل ان يعمل على ازاحة الوزير.(بنداري ص١٤٨،١٤٩).ومع ان عبد العزيز قد نجح في خطته لكنه كان نجاحا مؤقتا ففي نهاية المطاف هزمه الدركزيني الذي تمكن من القائه في السجن ثم قتله.

١٥٠-م.ن.ص٩٠.

١٥١-فعلى سبيل المثال عندما اسر السلطان مسعود الخليفة المسترشد فان جميع موظفيه المهمين،بضمنهم الوزير،الذين كانوا يرافقونه في ميدان المعركة قد القي القبض عليهم او اسروا والقوا في السجن(المنتظم جزء١٠ ص٤٥؛البنداري ص١٧٧)

١٥٢-ينظر اعلاه الفصل الاول ص١٢

١٥٣-ينظر اعلاه الفصل الاول ص٣٢

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

١٥٤-الحسيني:اخبار ص١٧٧

١٥٥-يقول نظام الملك في سياسة نامه الفصل الثامن(بشأن المسائل الخاصة بالدين والشريعة)ان على الحكام احترام علماء الدين وان يدفعوا لهم ارزاقا(رواتب)من خزينتهم الخاصة؛والاكثر من ذلك عليهم دعوة الزعماء الدينيين بهدف اخذ مشورتهم والتباحث معهم،طالما ان الملكية(السلطنة)والدين هما اشبه بالاخوين(ينظر ترجمة سياسة نامة الى الانجليزية من Darke ص٦٣،كذلك ينظر الترجمة الانجليزية ص٦٢-٦٥؛والنص الفارسي ص٥٤-٥٧)

١٥٦-يذكر في الفصل السادس (بشأن الوعاظ والقضاة والمفتشين)قائلا:فالقضاة هم نواب الملك لذلك فانه من المهم للملك ان يقوي او يشد على ايديهم.علاوة على ذلك فان هيبتهم وسمعتهم ينبغي ان لا يتجاوز عليها وذلك لانهم القائمون مقام الخليفة والحاملون لواءه.وفي الان نفسه فان الملك هو الذي يعينهم وانهم وكلاء.الترجمة الانجليزية Darke ص٤٦(ينظر الترجمة الانجليزية ص٤٣-٤٨ والنص الفارسي ص٣٨-٤٢).

١٥٧-تنظر اطروحة لامبتون ص٦٣،٦٤،٦٥

١٥٨-ينظر امدروز H.F.Amedroz بحثه"المظالم في الاحكام السلطانية للماوردي The Mazalim Jurisdication in the Ahkam Sultanyya of Mawardi "المنشور في مجلة .JRAS (القسم الثاني تموز ١٩١١)ص٦٥٥

١٥٩-الفخري(مترجم)ص٢٨٨.النص العربي ص٤٠١

١٦٠-ينظر امدروز H.F. Amedroz "الحسبة في الاحكام السلطانية للماوردي The Hisba Jurisdiction in the Ahkam Sultaniyya of Mawardi المنشور في J.RAS(القسم الاول نيسان ١٩١٦)ص٢٨٧-٣١٤وخاصة على ص٢٩١بخصوص تعيين الوزير للمحتسب.

١٦١-ينظر في ادناه تحت عنوان(الخليفة الثقافية للوزير ومصالحه)

١٦٢-اطروحة لامبتون ص٦٩

١٦٣-ابن الاثير:الكامل جزء١٠/ص٨٠(حوادث سنة ٤٨٧هـ)وهذا لم يكن بالضرورة واجب الوزير على اية حال.فحينما اغتيل الخليفة المسترشد في سنة

٥٢٩هـ/١١٣٤-١١٣٥طلب من شحنة بغداد مبايعة الراشد نيابة عنه ينظر المنتظم جـ١٠ص٥٠.

(يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٩هـ باب خلافة الراشد بالله ان السلطان مسعود كتب الى الشحنة واسمه بكبه ان يبايع الراشد فجاء اصحابه كالعميد والضامن وجرت مراسلات ليدخل الى الدار...وجلس الراشد في قصر المثمنة.المنتظم جـ١٠ ص٥٠ المترجم).

١٦٤-البنداري ص٨٠

١٦٥-م.ن.ص٢٠،٢١

١٦٦-م.،.ص١١

١٦٧-تنظر اطروحة لامبتون ص٧٠. كذلك تنظر سياسة نامه(فصل ٢١ النص الفارسي ص٨٩.ترجمة Darke ص١٠٠

١٦٨-البنداري ص٨٥،٨٦؛وينظر C. Defremery بحثه بالفرنسية (بحوث عن عهد بركياروق) ص٤٤/٤٥(1853)Recherches sur le Regne de Barkiarok

١٦٩-البنداري ولاسيما صفحات ١١٠،١١١.

١٧٠-م.ن.ص٢٧١-٢٧٤ حيث هناك قسم عن محسوبي السلطان سنجر الاشخاص المفضلين لديه.

١٧١-البنداري ص١١.

١٧٢-ينظر خواندمير: دستور الوزراء(بالفارسية طهران ١٣١٧هـ) ص١٩٠ كما هو مقتبس في اطروحة لامبتون ص٥٧.

١٧٣-ابن الاثير: الكامل الجزء ١٠، ص١٥٣(حوادث سنة ٥٠٠هـ).

١٧٤-البنداري ص١٤١،١٤٢.

١٧٥-اما عن ابنائه كان جمال الملك ابو منصور عامل بلخ(او خراسان) وعز الملك كان وزيرا لبركياروق؛ وعبد الرحمن كان طغرائيا لبركياروق؛ اما عماد الدين فكان وزيرا لبوري جوس؛ واما مؤيد الملك فكان وزيرا لكل من بركياروق ومحمد بن ملكشاه؛ وكان فخر الملك وزيرا لتتش وبركياروق وسنجر. اما ابناء

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

فخر الملك وهما صدر الدين محمد وناصر الدين طاهر فكانا وزيرين للسلطان سنجر. واما ابن مؤيد الملك ناصر الملك فكان وزيرا للسلطان محمد بن ملكشاه. اما ابن اخ نظام الملك وهو شهاب الاسلام عبد الرزاق ابو المحاسن فقد خدم السلطان سنجر. ينظر راحة الصدور والبنداري، وكذلك جزء من شجرة نسب عائلة نظام الملك في كتاب زامباور

E. K. M. Zambauer: معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي(بالفرنسية هانوفر H. Lafaire ١٩٢٧) ص٢٢٣.

١٧٦-وفي الجانب الاخر يلمح نظام الملك(في مناقشة بشان السبب في عدم وجود تعددية في الوظيفة) انه ينبغي وجود فئة كبيرة تماما من المؤهلين او الكفاءة الذين لا يمكن ان ينتفع منهم بالنسبة الى مصالح الدولة. ينظر سياسة نامة(فصل ٤١) النص الفارسي ص١٣٨، ١٣٩؛ الترجمة الانجليزية ص١٦٤.

١٧٧-والواقع عندما بعث السلطان ملكشاه مملوكا له كان قد عينه شحنة لعثمان بن جمال بن نظام الملك رئيس مرو فان الاثنين سرعان ما صارا متعاديين مما ادى بعثمان ان يقبض على المملوك ويقتله. وعندئذ فقط بدا السلطان محمد ملكشاه يتساءل عما اذا كان هو السيد في عائلته ام لا. ينظر المنتظم جـ٩ ص٦٧؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ جـ١٠ ص٧٠(حوادث سنة ٤٨٥هـ)(ويذكر ابن الجوزي هذه القصة انه: "شاع بين الناس ان السلطان ملكشاه قد سئم طول عمره وصور له اعداؤه كثرة ما يخرج من الاموال وقد كان لعثمان بن النظام رئيس مرو فانفذ السلطان مملوكا له كبيرا قد جعله شحنة فاختصما فقبض عليه عثمان واخرق به فلما اطلقه قصد السلطان مستغيثا فاستدعى السلطان ارباب الدولة وقال امضوا الى خواجه حسن وقولوا له ان كنت شريكي في الملك فلذلك حكم وان كنت تابعي فيجب ان تلزم حدك وهؤلاء اولادك قد استولوا على الدنيا ولا يقنعهم حتى يخرجوا من الحرمة". فالباحثة ذكرت ان عثمان قتل المملوك وان القصة انما تعكس ضغينة بين المملوك وعثمان ابن نظام الملك بينما يشدد ابن الجوزي على العلاقة بين السلطان ونظام الملك. المترجم).

١٧٨-فعلى سبيل المثال ان ابن الكافي حينما كان نائبا لوزير السلطان محمد بن ملكشاه خطير الملك الميبذي كان بوضوح يناور بتحريك اولاده لاحتلال ارقى المناصب في الادارة. وقد اشتكى السلطان من عدم كفايتهم ومن تحكمهم في بيته لانوشروان الذي رشح ليحل محل ابن الكافي(البنداري ص١٠٨). وحينما عزل السلطان محمد اخيرا الوزير خطير الملك فانه انتهز هذه الفرصة فسجن ابني ابن الكافي الاحياء وابنته التي كانت زوجة الوزير، وبذلك اجبر خطير الملك على تطليقها.(ينظر البنداري ص١١٤).

١٧٩-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٥٧.

١٨٠-البنداري ص٢٧٠.

١٨١-كان سيد الرؤساء محبوبا جدا من السلطان فجعله نديما له وائتمنه باسراره. ثم اصبح ايضا ختنا لنظام الملك، بذلك علت منزلته وهيبته ولكن ظل نظام في الوقت نفسه ممسكا الزمام عليه كونه شخصا او موظفا له تأثير في القصر لئلا يكوّن خطرا على منصبه أي منصب نظام. وعلى اية حال فقد اصبح سيد الرؤساء صديقا مع اخر من مقربي السلطان وهو ابن بهمنيار وزير متولي فارس. الذي كان ايضا كفءاً وطموحا. وكلاهما كان يكره او يبغض سلطة نظام الملك. فتآمرا ضده لكن نظام افلح في الاحتفاظ بمنصبه ونفوذه. وحينما عزل ابنه من منصبه، فان كمال الدولة(او الملك) قد جرد من وظيفته. فعين عندئذ نظام ابنه مؤيد الملك كصاحب لديوان الانشاء(البنداري ص٥٩، ٦٠).

١٨٢-م.ن. ص٩٤.

١٨٣-يلاحظ اعلاه الفصل الاول.

١٨٤-البنداري ص١٤٣.

١٨٥-تنظر اطروحة لامبتون ص١٠٤-١٠٨.

١٨٦-من المؤكد القول ان عداوة معارضيه السياسيين ظلت لامد طويل وامتدت لتشمل افراد عائلته مهما غيروا مكان عمله او اينما رحلوا. فعلى سبيل المثال عندما حل ابو طاهر القمي محل الشهاب ابو المحاسن ابن اخ نظام الملك كوزير للسلطان سنجر، فان القمي- الذي كان عدوا مجاهرا لبيت نظام الملك بالرغم من

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

انه مدين الى نظام الملك في اول منصب حصل عليه- ظل يتعقب على الشهاب فاقنع السلطان سنجر ان يأمر السلطان محمود بالقبض على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك(ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٢١٨). وبالفعل فان محمود قد عزل شمس الملك الذي كان نفسه غير مكترث به. وقد انتهز اخرون هذه الفرصة اولئك الذين كانوا يعادون اسرة نظام الملك باقناع الخليفة بعزل وزيره احمد بن نظام الملك. ينظر ايضا المنتظم جـ٩ ص٢٤٥، ابن الأثير: الكامل جـ١٠ ص٢١٩(سنة ٥١٧هـ).

(يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٧هـ ما نصه: ووصل الخبر ان السلطان محمود قبض على وزيره شمس الدين عثمان بن نظام الملك وتركه في القلعة لان سنجر كان امره بابعاده فحبسه. فقال ابو نصر المستوفي للسلطان متى مضى هذا الى سنجر لم نأمنه والصواب قتله هاهنا وانفاذ رأسه فبعث السلطان محمود الى الخليفة ليعزل اخا عثمان وهو احمد بن نظام الملك فبلغ ذلك احمد فانقطع في داره وبعث اليه الخليفة يساله ان يعفى من الحضور بالديوان لئلا يعزل من هناك فاجابه ولم يؤذ بشيء. المترجم).

١٨٧-البنداري ص٦١.

١٨٨-م.ن. ص٦٢.

١٨٩-م.ن.

١٩٠-م.ن. *طبعا المعروف ان الوزير نظام الملك قد اغتيل من قبل اسماعيلي.

١٩١-ينظر بحث Defremery"بركياروق" ص١٥.

١٩٢-م.ن.

١٩٣-بنداري ص٨٣؛ ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٧٦(حوادث ٤٨٦هـ).

١٩٤-بنداري ص٨٣، ٨٤.

١٩٥-م.ن. ؛ بحث Defremery: بركياروق ص٦٣ وما بعدها؛ ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص١٠٠، ١٠١.

١٩٦-بنداري ص٩٧.

١٩٧-م.ن. ص١٠٨.

١٩٨-م.ن. ص١٠٨، ١٠٩ يقول"يبدون لي بشرى ويضمرون لي شـــرا واتفقـت كلمتهم مع افتراق طباعهم على مضادتي". البنداري ص١٠٥.

١٩٩-م.ن. ص١٥٠.

٢٠٠-ينظر بحث هوتسما "Recueil" مجلة ٢ ص٩.

٢٠١-ينظر المنتظم جـ٩ ص١٨٢(يتحدث ابن الجوزي عن علي بن محمـــد بـــن محمد ابن جهير ابي القاسم ويلقب بالزعيم تولى كتابة ديوان الزمـــام للخليفـــة المقتدي ووزر للخليفة المستظهر مرتين. وتدرج في الولايات والمراتب خمسين سنة وكان معروفا بالحلم والرزانة وجودة الراي وحسن التدبـــير توفـــي ســـنة ٥١٠هـــ. المترجم).

٢٠٢-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص١٥٣(حوادث سنة ٥٠٠هـــ).

٢٠٣-البنداري ص٩٤، ١٠٠، ١٠١ يحدثنا البنداري ان مختص الملك كمنشئ كـــان ينقصه جميع المؤهلات الجديرة بالثناء والمدح. وعلى الرغم من انه كان يعد من بين الكتاب الحاذقين لكنه كان غير قادر على صياغـــة خمســـة اســـطر باللغـــة الفارسية ناهيك القول عن العربية. وكان الى درجة كبيرة مثالا واضحـــا عـــن المستويات المتردية للبراعة في هذا الميدان خـــلال الحقبـــة. ينظـــر البنـــداري ص٩٧.

٢٠٤-م.ن. ص١٩٥، وهناك ضياء الدين بن علجه الاصفهاني قـــد خـــدم ايضـــا طغرائيا لمحمد بن محمود قبل وصوله الى الوزارة. ينظر البنداري ص٢٨٧.

٢٠٥-البنداري ص١٣٢.

٢٠٦-م.ن. ص١١٦، ١١٧.

٢٠٧-المنتظم جـ٩ ص١١٢(حيث ورد عن وزارة العميد ابي المحاسن عبد الجليل الدهستاني ولقب بنظام الدين وعميد الدولة ينظر ابن الجوزي جـــ٩ ص١١٢. المترجم).

٢٠٨-ينظر عن هذا في الصفحات السابقة.

٢٠٩-البنداري ص١٠٧ وما بعدها"كانت سميرم في معيشة كهر خاتون وابو كمـــال زارع غلاتها وقابض ارتفاعاتها". البنداري ص١٠٦.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٢١٠-ينظر بحث هوتسما السابق بعنوان(Recueil) جـ٢ ص١٩.

٢١١-ينظر لامبتون وبحثها بالانجليزية عن"ادارة امبراطورية سنجر" ص٣٧٠.

٢١٢-كانت عائلة الزينبي من العوائل المشهورة في منصب نقيب النقباء(نقيب العلويين)، وان عددا من افراد هذه العائلة قد خدموا كقضاة ووزراء. ينظر المنتظم جـ١٠ ص١٠٩. اما عائلة الدامغاني فكانت ايضا معروفة بوظيفة قاضي القضاة، ينظر المنتظم ايضا جـ٩ ص٢٠٨-٢١٢.

٢١٣-البنداري ص٨٣.

٢١٤-م.ن. ص١٨٢.

٢١٥-ينظر بحث C. Schefer شيفر بالفرنسية(لوحة بحكم السلطان سنجر بقلم محمد بن علي الراوندي

"Tableau du Regne de... Sultan Sindjar Par Mohammad ibn aly Ravendy" in Neuveaux Melanges Orientaux.

جزء٢(باريس ١٨٨٦) ص١٤،١٥(هامش ٥).

٢١٦-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٥(حوادث سنة ٤٥٣هـ).

٢١٧-البنداري ص٢٢، والواضح ان الوزير يكثر من ثروته الخاصة خلال مدة تسلمه المنصب اذ نقرأ انه كان معتادا السرقة او ان يضع في جيبه اكثر ما يصل اليه من الاموال. ابن الاثير: جـ١٠ ص٨(حوادث ٤٥٤هـ).

٢١٨-واعتمادا على الفخري في الاداب السلطانية(المترجم) ص٣٠٩. النسخة العربية ص٤٣٣.

٢١٩-ينظر الفصل الاول عن هذا الموضوع.

٢٢٠-ينظر فاضل سناء الله Fadil Sanaullah في كتابه(انحلال او سقوط الامبراطورية السلجوقية The decline of the Seljuquid Empire(كلكتا-جامعة كلكتا ١٩٣٨) ص٤٤،٤٥؛ كذلك Defremery في بحثه عن"بركياروق" ص١١١. كذلك ابن الاثير جـ١٠ ص١١٧(حوادث سنة ٤٩٥هـ).

٢٢١-المنتظم جـ٩ ص٩١.

٢٢٢-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٢١٤(حوادث ٥١٦هـ).

٢٢٣-وعلى سبيل المثال يذكر الذهبي رواية عن تاجر تحول الى الاسلام ثم تسلم التعليم في صف في المدرسة كما كان يتمتع به رجال الادارة والدين. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد: تاريخ الاسلام(مخطوط في ميونيخ (Munich: Bayeriche Statsbiblialhek Cod. Arab 378) ورقة ١٠.

٢٢٤-الفخري(الترجمة) ص٣١٢، النسخة العربية ص٤٣٧.

٢٢٥-م.ن.(الترجمة) ص٣٠٠، النسخة العربية ص٤١٩.

٢٢٦-ينظر غي لستريخ Guy Le Strange: بلدان الخلافه الشرقية(بالانجليزية) (كمبردج- مطبعة جامعة كمبردج ١٩٣٠) ص١٩٦، بما له علاقة بالتحديد الجغرافي للاقليم.

٢٢٧-ينظر بنداري ص١٢٤ وما بعدها"فجاء به الى اصفهان وعلمه الخط والجراة والخبط وما زال مخالطا المتصرفين غمرا ذا غمر" البنداري ص١١٨.

٢٢٨-م.ن. ص١١٧، ١٢٠.

٢٢٩-م.ن. ص١٤١.

٢٣٠-وقد عانى عماد الدين وعائلته(خاصة عمه عبد العزيز) الكثير جدا من المعاناة على يد الدركزيني وانوشروان الذي تصوره رواية عماد الدين على انه كان من اعداء الدركزيني السياسيين.

٢٣١-البنداري ص١٤٦، ١٤٧.

٢٣٢-م.ن. ص١٥٠؛ يذكر هوتسما Houtsma على اية حال ان استقالة انوشروان لم تكن طوعا بل كرها اخذين بالحسبان تفضيل السلطان سنجر للدركزيني. ينظر بحثه "Recueil" جـ ص٢٣.(ويعدد البنداري في كتابه تاريخ دولة آل سلجوق الموظفين النصارى الموجودين في الادارة السلجوقية منهم الرئيس ابو غالب بن الاصباغي والرئيس ابو سعد بن العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن اخيه ابو نصر بن صاحب الخير. وقد اسلم هؤلاء سنة ٤٨٤هـ . البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق اختصرها من كتاب عماد الدين الاصفهاني/ بيروت طبعة ثانية ١٩٧٨/ ص٧٧-٧٨. المترجم).

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٢٣٣-بنداري ص١٥٠(يقول البنداري نقلا عن انوشروان ما نصه:- وانا ولاني السلطان الخزانة فانه استدعاني الى خلوته وخصني بكرامته وسلم اليّ خزائن ممالكه. وكان هؤلاء الاكابر انما يصلون الى السلطان في الباركاه اذا جلس لعامته، وانا اختص بخلواته واستسعد بمحادثاته فعظمت وجاهتي وحسدني اكابر الدولة على منزلتي. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص٩٥. المترجم).

٢٣٤-البنداري ص١٥١.

٢٣٥-م.ن. ص١٥٢ وما بعدها.

٢٣٦-م.ن. ص١٥٣،١٥٤.

٢٣٧-م.ن. ص١٥٦،١٥٧.

٢٣٨-م.ن. ص١٦٠.

٢٣٩-ينظر هارولد باون Harold Bowen في بحثه بالانجليزية(ملاحظات عن بعض وزراء السلاجقة الاوائل Notes on Some Early Seljuquid Veziers) المنشور في مجلة BSOAS جزء ٢٠ سنة ١٩٥٧ ص١٠٥-١١٠، معتمدا على ابن الاثير: الكامل(طبعة القاهرة جـ٩ ص١٨١(حوادث سنة ٤٣٦هـ)؛ والراوندي(ينظر راحة الصدور ص٩٨). ورشيد الدين فضل الله(جامع التواريخ) مخطوط في المتحف البريطاني B. M. Codex , Add. 7628)؛ وسيف الدين الفضلي(اثار الوزراء) مخطوط المتحف البريطاني B. M. رقم.Codex, Or. 1920) والباخرزي(تحقيق سيد جعفر حسين: دمية القصر/ لندن دكتوراه اطروحة دكتوراه) والدكتوران غني وفياض: تاريخ البيهقي، طهران، تحقيق ١٣٢٤هـ).

٢٤٠-البنداري ص١٠ حيث يشير اليه انه اول وزير سلجوقي(وهو عميد الملك ابو نصر الكندري الوزير الاعز ابا سعد البنداري: تاريخ ص١٣. المترجم).

٢٤١-بالنسبة الى المصادر التي دونت في الفقرة(٢٣٩). فان عباس اقبال قد وضع ابا الفتح الرازي في قائمته على انه اول وزير لطغرلبك معتمدا على اشارة وردت في كتاب تجارب السن لهندو شاه بن سنجر(طهران ١٣١٣ ص٢٦٠-٢٦١). فاعتمادا على هذا المصدر بدا ابو الفتح الرازي حياته في خدمة علاء

الدولة بن كاكويه صاحب اصفهان. ومن ثم خدم ابن علاء الدولة واسمه فرامرز الذي بعث أبا الفتح ببعثة الى طغرلبك. وقد اعجب حينها طغرلبك بـــابي الفتـــح وسأله ان كان يرغب في خدمته. وكان هذا العرض مغريا او موافقا لابي الفتـــح فجعله طغرلبك وزيرا له. وقد خدم ابو الفتح السلاجقة لمدة من الوقت غير انـــه استقال من وظيفته وخدم ابو كاليجار البويهي كوزير الـــى حيـــن عزلـــه مـــن المنصب في ســـنة ٤٣٩هـــ. فيضـــع اقبـــال وزارتـــه لطغرلبـــك فـــي ســـنة ٤٣٤هـــ(وربما الاصح ٤٣٣هـــ) أي قبل اخضاع طغرلبـــك همـــذان وجرجـــان وطبرستان(ينظر اقبال: كتاب الوزارة ص٣٧،٣٨).

٢٤٢-باوين Bowen، بحثه بالانجليزية(الوزارة السلجوقية) ص١٠٦.

٢٤٣-ينظر اثار الوزراء مخطوط ورقه ١٦٨(ب) كما ذكر باوين ص١٠٦.

٢٤٤-تاريخ البيهقي ص٥٥٢-٥٥٤، كما ورد عند باوين ص١٠٧،١٠٨.

٢٤٥-ينظر راحة الصدور ص١٠٤.

٢٤٦-ينظر دمية القصر ص٩٢٨، كما ورد عند باوين ص١٠٧.

٢٤٧- ابن الاثـــير:الكـــامل(طبعـــة بـــولاق جـــزء٩ص١٩٦)كمـــا ذكـــر بـــاوين ص١٠٧،١٠٨(تنظر طبعة القاهرة جزء ٩ص١٨١(حوادث ٤٣٦هـــ)).

٢٤٨-ينظر بحث باون السابق ص١٠٩.كذلك زامباور:معجم الاسرات بالفرنســـية جزء١ص١٤(تحت عنوان آل الرقيل).

٢٤٩-تاريخ البيهقي ص٢٨٩ وما بعدها كما اوردها باوين ص١٠٨.

٢٥٠-م.ن.ص٤٢٢كما وردت عند باوين ص١٠٨

٢٥١-م.ن.ص٤٨١وما بعدها كما وردت عند باوين ص١٠٨

٢٥٢-باوين بحثه السابق ص١٠٨

٢٥٣-دمية القصـــر ص٣٦٣،٤٣٧،٤٤٧،٦٦٤،٨٢٠.كمـــا وردت عنـــد بـــاوين ص١٠٨

٢٥٤-ينظر بحث باون ص١٠٩

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٢٥٥-ابن الاثير:الكامل(طبعة بولاق جـ٩ص١٩٦؛طبعة القاهرة جـ٩ص١٨١(كما ورد عند باوين ص١٠٩.حيث ذكر يحتمل انه تقلد اللقب في الوقت الذي تقلد فيه نظام الملك.

٢٥٦-دمية القصر ص٩١٢ كما ورد عند باوين ص١٠٩

٢٥٧-باوين ص١١٠

٢٥٨-م.ن.ص١٠٩

٢٥٩-دمية القصر ص٦٤١ كما ورد عند باوين ص١١٠

٢٦٠-ابن الاثير:الكامل جزء١٠/ص٩٤(حوادث٤٩٠هـ)

٢٦١-البنداري ص٢٣٩.وابن الاثير:الكامل جزء١٠ص١٢٩،١٣٠

٢٦٢-سياسة نامة(فصل٤١)ترجمة Darke ص١٦٤-١٦٥؛النسخة الفارسية ص١٣٩.

٢٦٣-البنداري ص٩٥،٩٦

٢٦٤-م.ن.ص١٠١

٢٦٥-ابن الاثير:الكامل جزء٩ص٢١٩(حوادث٤٨٨هـ)

٢٦٦-م.ن.جزء١٠ص٣

٢٦٧-البنداري ص١١

٢٦٨-المنتظم جـ٩ص١١٥؛ابن الاثير:الكامل جزء١٠ص١٠٢(يذكر المنتظم في هذه الصفحة ترجمة لسعد الدولة الكوهرائين وهو من الخدم الاتراك ،بعد موت سيده ابي نصر بن ابي كاليجار البويهي خدم الب ارسلان السلجوقي،وخدم ايضا ملكشاه وهو الذي حمل رسالة من السلطان الى الخليفة القائم بامر الله.واقطعه ملكشاه واسط ثم عينه شحنة في بغداد.يقول ابن الجوزي كان لا يجلس الا على وضوء وكان يصلي بالليل ولا يستعين على وضوئه باحد ولا يعلم انه صادر احدا ولا ظلمه.مات في بغداد سنة ٤٩٣هـ ودفن مقابل رباط ابي النجيب السهروردي.المترجم)

٢٦٩-البنداري ص٣٥

٢٧٠-م.ن.ص٢٤

٢٧١-ابن الاثير:الكامل جزء ١٠ ص١٣١،١٣٢

٢٧٢-ينظر الفصل الاول عن هذا الموضوع

٢٧٣-الحسيني:اخبار ص٣٢

٢٧٤-ينظر في اعلاه عن هذا الموضوع

٢٧٥-البنداري ص٥٧ النص هو"وفي ايامه نشأ للناس اولاد نجباء وتوفر على تهذيب الابناء الاباء ليحضروهم في مجلسه ويحظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل احد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه الرشد والفضل.ومن وجد في بلدة قد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفا وجعل فيها دار كتب"البنداري ص٥٩.

٢٧٦-ينظر طيباوي A.L.Tibawi بحثه بالانجليزية(اصل وسمة المدرسة Origin and character of al.Madrasah المنشور في مجلة BSOAS جزء٢٥/القسم الثاني ١٩٦٢ ص٢٣٦.كذلك ريتشارد بليت Richard W.Bulliet بحثه بالانجليزية(السياسة الاقليمية او المحلية) للغزنويين والسلاجقة.

Local Politics under the Ghaznavids and Seljuks وهو بحث مقدم الى مؤتمر بشأن بنية او تركيب السلطة في ايران الاسلامية،جامعة كاليفورنيا،لوس انجلس،حزيران ٢٦-٢٨-١٩٦٩ ص٢٥/٢٦.كذلك بحث الاستاذ جب Jibb"تفسير او رؤية في التاريخ الاسلامي".

An Interpretation of Islamic History المنشور في كتاب دراسات في الحضارة الاسلامية.

Studies on the civilization of Islamic بوسطن مطبعة بيكون ١٩٦٢ ص٢٤،٢٥.

٢٧٧-ينظر جولدتسيهر I. Goldziher في بحثه(التعليم)(Muslim) Education في دائرة المعارف الدينية والاخلاقية E.of Religion and Ethics /١٩١٤ ص١٩٨-٢٠٧.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

(تحقيق جيمس هانستنك جزء٥/نيويورك،مطبعة جارلس وابنائه ١٩١٤).وينظر ايضا بحث(مسجد)في دائرة المعارف الاسلامية(ليدن-بريل ١٩٣٦)جزء ٣ ص٣١٥-٣٦٧.

٢٧٨-طيباوي:المدرسة(بحثه بالانجليزية ص٢٣٤)

٢٧٩-من الطريف ذكره في هذا الصدد ان طغرلبك امر،بعد مدة وجيزة من وصوله الى نيسابور،ببناء مدرسة جديدة هناك.(ينظر شيفر C.Schefer(الترجمة):سفرنامة(من الفارسية الى الفرنسية:رحلة ناصر خسرو(باريس L Ecole des Langues Orientales Vivantes مدرسة الدراسات الشرقية الحية ١٨٨١)ص٦

٢٨٠-سيلي A.M.Sayili في بحثه بالانجليزية(المؤسسات العلمية والتعليمية في العالم الاسلامي Institutions of Science and Learning in the Moslem world ص٧٠(رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة هايزد ١٩٤٢).

٢٨١-م.ن.ص٢٣.

٢٨٢-ينظر ابن خلكان:وفيات جـ٤ ص١١٤-١٢٨؛المنتظم جزء١٠ ص٢١٤-٢١٧؛سبط بن الجوزي:مرآة ص٢٥٥-٢٦١(حوادث سنة ٥٦٠هـ)؛وكذلك الفخري(النسخة العربية ص٤١٩-٤٢٦)؛النسخة الانجليزية ص٣٠٠-٣٠٤.

٢٨٣-الفخري(النسخة العربية ص٣١٩؛الترجمة الانجليزية ص٣٠٠.واعتمادا على قول ابن خلكان فان والده كان يرجع الى الجند المؤسس هناك(وفيات جـ٤ ص١١٥)

٢٨٤-الفخري(النسخة العربية ص٤٢٠؛الترجمة الانجليزية ص٣٠٠

٢٨٥-م.ن.النسخة العربية ص٤١٦؛الترجمة الانجليزية ص٣٠٠.

٢٨٦-المنتظم جزء١٠ ص٢١٤(يقول ابن الجوزي كان الوزير ابن هبيرة له معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض وتفقه وصنف في تلك العلوم وكان متشددا في اتباع السنة وسير السلف.المترجم).

٢٨٧-ابن خلكان:وفيات جـ٤ص١١٥

٢٨٨-ينظر النص العربي لابن خلكان وفيات الاعيان جـ٥(القاهرة مكتبة النهضة ١٩٤٨-١٩٤٩) ص٢٧٥.ويفسر المترجم ان اسماء المناصب قد ردت الى اهميتها،لاننا لا نمتلك حتى الان أية معلومات واضحة تتعلق؛بهيبة واحترام الادارة الداخلية لمؤسسة الخلافة في ايامها الاخيرة.ينظر جـ٤ ص١٢٧(هامش٢)

٢٨٩-ابن خلكان جزء٤ ص١١٥

٢٩٠-م.ن.ص١١٥،١١٦

٢٩١-م.ن.ص١١٦

٢٩٢-الفخري(نسخة عربية ص٤٢٠)(النسخة المترجمة للانجليزية ص٣٠٠

٢٩٣-م.ن.(العربية)ص٤٢٠(المترجمة)ص٣٠١

٢٩٤-م.ن.(العربية)ص٤٢١،٤٢٢(المترجمة للانجليزية)ص٣٠١،٣٠٢

٢٩٥-ينظر ابن خلكان جزء٣ ص٣٠٠-٣٠٦ عن ترجمة حياته؛كذلك ينظر هوتسما بحثه بالفرنسية Recueil جزء٢ ص٣٠-٣٥

٢٩٦-البنداري ص١٨١

٢٩٧-ابن خلكان جزء٣ ص٣٠٠

٢٩٨-البنداري ص٢١٥(ينظر بحثه هوتسما Recueil جزء ٢ص٣٢

٢٩٩-البنداري ص٢١٣(بحث هوتسما جزء ٢ ص٣٣

٣٠٠-البنداري ص٢٥٥

٣٠١-ابن خلكان جزء٣ص٣٠٢

٣٠٢-البنداري ص١١٠

٣٠٣-م.ن.ص١٨٢

٣٠٤-م.ن.ص١٨٨

٣٠٥-م.ن.ص١٩٦

٣٠٦-م.ن.ص٢١١-٢١٣؛ سبط بن الجوزي:مرآة ص٢٤٨-٢٥٠؛ابن خلكان جـ٣ ص٢٩٥-٢٩٩

٣٠٧-البنداري ص٢١١

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٣٠٨-م.ن.

٣٠٩-ينظر بحث جب بالانجليزية(الدولة والاسلام)ص١١٩

٣١٠-نظامي عروضي:جهار مقالة(اربع مقالات)ترجمة بروان E.G.Browen في ذكرى جب جزء" القسم الثاني(لندن شركة لوزاك ١٩٢١)تنظر المقالة الاولى عن الكتاب ص١٢-٢٧.

٣١١-كيكاؤس بن اسكندر:قابوس نامة(ترجمة الى الانجليزية ليفي R.Levy (لندن ١٩٥١)ينظر الفصل ٣٩(الكاتب وادب الكتابة)وفصل ٤٠" (قواعد الوزارة).

٣١٢-ينظر بحث سيلي Sayili "المؤسسات العلمية والتعليمية)ص٣٦.

٣١٣-سياسة نامه(فصل ٤٠)النسخة الفارسية ص١٥١؛ترجمة Darke الانجليزية ص١٧٨"يتطلب من الوزير الان ان تكون له عقيدة صحيحة وان ينتمي الى فرقة صالحة اما الحنفية اما الشافعية.

٣١٤-المنتظم جزء ٨ص٣٢٣

٣١٥-البنداري ص٧٠

٣١٦-المنتظم جزء ١٠ ص٢١٥(حوادث سنة ٥٦٠هـ)لم يكن هذا موقفا في عرض ارائه وقد سخر منه وشتمه ابن هبيرة واتباعه.

٣١٧-م.ن.جزء٩ ص٢٠،٢١(المقصود محمد بن احمد بن عبد الله المعتزلي وكان من الدعاة ويدرس علم الاعتزال والفلسفة والمنطق فاضطره اهل السنة الى ان يلزم بيته خمسين سنة لا يتجاسر على الظهور ولم يكن عنده من الحديث سوى حديث واحد لم يرو غيره.المترجم)

٣١٨-البنداري ص٧٨

٣١٩-المنتظم جـ٩ ص٩١(والمقصود هنا الوزير ابي شجاع الروذراوري فقد اسقط المكوس والبس اهل الذمة الغيار ونقدم الى المحتسب انذاك وهو ابن الخرقي ان يؤدب كل من فتح دكانه يوم الجمعة ويغلقه يوم السبت من البزازين وغيرهم وقال هذه مشاركة لليهود في حفظ سبتهم ابن الجوزي:المنتظم جزء ٩ص٩١.المترجم).

ابن الاثير : الكامل جزء ١٠ ص ١٦٠، (ورد في موضع غير الذي اشارت اليه الباحثة من سنة ٥٧١هـ في المنتظم ان صاحب المخزن استدعى ابن الجوزي للمناظرة فحضر فقهاء بغداد ولم يتخلف الا النادر ودل ابو الخير القزويني في مسألة زكاة الحلي واعترض عليه ابن الجوزي كذلك في يوم اخر صنع الوزير ابن رئيس الرؤساء دعوة وجمع فيها ارباب المناصب وحضر الخليفة. واستدعي بن الجوزي فعقدت امام جميع ارباب المناصب وجميع علماء بغداد والفقهاء والوعاظ الا النادر ابن الجوزي المنتظم ج١٠ ، ص ٢٥٧، ٢٥٩-٢٦٠(المترجم).

٣٢٠-المنتظم ص٢٦٥

٣٢١-م.ن.ص٦٨

٣٢٢-ابن خلكان:وفيات جزء ٤ ص١١٨

٣٢٣-سبط بن الجوزي:مرآة ص٢٥٥-٢٥٦

٣٢٤-البنداري ص٢٦٨

٣٢٥-م.ن.ص٢١٥

٣٢٦-المنتظم جزء٩ ص١٤٣(يقول ابن الجوزي قصد الوزير سعد الملك في شهر رجب من سنة ٤٩٨هـ المدرسة النظامية وحضر تدريس الكيا الهراسي بها ليرغب الناس في العلم.جـ٩ ص١٤٣.المترجم)

٣٢٧-م.ن.جزء ٨ ص٢٤٥؛ينظر جورج مقدسي G.Makdisi بحث(مؤسسات التعليم الاسلامية في بغداد في القرن الحادي عشر(بالانجليزية المنشور في مجلة BSOAS جزء ٢٤ القسم الاول(١٩٦١)ص١٩).

٣٢٨-المنتظم جزء ٩ص١٢٨

٣٢٩-البنداري ص٢١٥

٣٣٠-المنتظم جزء ١٠ ص٢٦٨؛ينظر ايضا ترجمة ابن خلكان لهذا الموظف جـ٢ ص٦٤٦-٦٤٩(يقول ابن الجوزي في ترجمة حياة محمد بن عبد الله بن القاسم ابي الفضل الشهرزوري انه كان رئيس اهل بيته وقد بنى مدرسة في الموصل ومدرسة في نصيبين وقف عليها وقوفا ولاه محمود بن زنكي ثم استوزره فكتب

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

على راسها محمد عبد الله الرسول فكتب المقتفي صلى الله عليه وسلم.وتوفي ابو الفضل سنة ٥٧٢هـ في دمشق.المترجم)

٣٣١-البنداري ص١٣٦

٣٣٢-ابن خلكان جزء٣ص٢٩٧

٣٣٣-سبط بن الجوزي:مرآة ص٢٣٦،٢٣٧.ويبدو ان هذا هو شخصية ابن طلحة نفسه الذي يشير اليه ابن الاثير كخازن للخليفة.فيقول ان ابن طلحة قد بنى مدرسة للشافعية وانه صار متصوفا بعد ان حج.ابن الاثير.الكامل جـ١١ ص١٠٥(حوادث ٥٥٦هـ)

٣٣٤-ينظر كتاب سورديل D.Sourdel بالفرنسية(الوزارة العباسية LeVizirat Abbasid (دمشق المعهد الفرنسي في دمشق ١٩٦٠)جزء ٢ص٥٧٤.

٣٣٥-م.ن.ص٧١٧.

٣٣٦-بحث هوتسما(Recueil)جزء ٢ ص١٤

٣٣٧-البنداري ص٦٦

٣٣٨-م.ن.ص١٠٨

٣٣٩-فعلى سبيل المثال كان مؤيد الملك بن نظام الملك الموظف الوحيد الذي لجا الى قرض الشعر حينما كان يقضي مدة سجنه(البنداري ص٨٦)

٣٤٠-البنداري ص١٧

٣٤١-يلاحظ دهشة اهالي بغداد عندما انكشف امر خطير الملك المبيذي وزير السلطان محمد بن ملكشاه وجهله في القران الكريم.يقول البنداري انه كان فارسيا ولم يعرف العربية البتة(ص١٠٤).

٣٤٢-ينظر فون كرونباوم J.E.Von Grunebaum:كتابة بالانجليزية العصر الاسلامي الوسيط Medieval Islamic (طبعة ثانية شيكاغو،جامعة شيكاغو ١٩٥٣)ص٢٥٠-٢٥٧.وقد اقتبست منه المعلومات الاتية لمناقشة اكثر دقة عن المصطلح ومدلولاته.

٣٤٣-م.ن.ص٢٥٠

٣٤٤-م.ن.٢٥١

٣٤٥-ابن قتيبة:ادب الكاتب(القاهرة ١٣٥٥هـ)ص١٢ كما ذكره كرونباوم في كتابه اعلاه ص٢٥٣.

٣٤٦-ابن القلانسي(النص العربي)ص١٩٣؛ترجمة تورينو Le Tourneau الفرنسية ص١٣٧.ابن الاثير:تاريخ اتابكة الموصل يضيف بان ابا إسماعيل كان ايضا مشهورا كخطاط.تاريخ الدولة الاتابكية ملوك الموصل المنشور في كتاب Recueil des Historiens des Croisades:Historiens Orientaux جزء ٢ القسم الثاني (باريس ١٨٧٦)ص٤٣.

٣٤٧-ينظر جب بحثه بالانجليزية(الاهمية الاجتماعية للشعوبية (Social Significance of the Shuubiya المنشور في كتابه دراسات في الحضارة الاسلامية(بوسطن، مطبعة بيكون ١٩٦٢) ص٧٢.

٣٤٨-البنداري ص١٥٠.

٣٤٩-م.ن. ص٢٩.

٣٥٠-م.ن. ص٥٩،٦٠(يقول البنداري انه صار ختنا لنظام الملك وتزوج بابنته وزاد ذلك في منزلته وضرب له سرادق وله الكوس والعلم والخيل والحشم. ينظر تاريخ آل سلجوق ص٦٢. المترجم).

٣٥١-م.ن. ص٥٢.

٣٥٢-م.ن. ص٨٧(يتحدث البنداري عن عز الملك ابي عبد الله الحسين بن نظام الملك الذي وصف بكونه شريبا خميرا لا يصيب رأيا... فلما زاد اختلال الملك بعدم نظام الملك ظن الناس ان ترجع الى نظام باحد اولاده فاستوزروا عز الدين ووقروه وعززوه(تاريخ دول آل سلجوق ص٢٨٢. المترجم).

٣٥٣-م.ن. ص٩٨.

٣٥٤-م.ن. ص١٠١.

٣٥٥-م.ن. ص٨٦.

٣٥٦-م.ن. ص١٨٢(يقول البنداري كان منهمكا في الشرب مع الاخدان والمسلخر والمجان وصار الامر مهملا والعدل مغفلا. ص٨٢.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٣٥٧-ابن خلكان: وفيات جـ٣ ص٢٩٧.

٣٥٨-ينظر كتاب لامبتون Lambton(الاقطاع والفلاح في بلاد فارس Landlord and Peasant in Persia)(لندن-مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٥٣) ص٦٣.

٣٥٩-ينظر ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص٤٤(حوادث سنة ٤٧٦هـ).

٣٦٠-البنداري ص١٩٧.

٣٦١-لقد اشرنا في السابق الى ان سيد الرؤساء عندما قل شانه فان والده الذي كان صاحب ديوان الانشاء قد فقد منصبه ايضا. وفوق هذا فقد اجبر على دفع مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دينار(عند ابن الاثير ٢٠٠,٠٠٠ دينار جـ١٠ ص٤٤) الى خزانة السلطان(البنداري ص٦٠)، كذلك فقد غرم مختص الملك مستوفي السلطان محمد ٥٠,٠٠٠ دينار بعد القبض عليه في بداية سلطنة محمود(م.ن. ص١١٦) وكان الدركزيني معروفا بسوء تصرفه في مصادراته الاموال والممتلكات العائدة لا للموظفين فحسب لكن الممتلكات الخاصة للاهالي. فعلى سبيل المثال انه القى القبض على والد وعم عماد الدين الاصفهاني(وكانوا اخوان عدوه عبد العزيز) فصادر ممتلكاتهم لكي يدفع للسلطان محمود الاموال التي وعد بدفعها مقابل القاء القبض على عبد العزيز وسجنه(البنداري ص١٥١).

٣٦٢-م.ن. ص١٣٢.

٣٦٣-م.ن. ص٢٩.

٣٦٤-ينظر بحث هوتسما(Recueil) جـ٢ ص١٦، البنداري ص١٠٠.

٣٦٥-فقد اشترى قماج الامير للكاشغري وزارة السلطان سنجر سنة ٥١٦هـ مقابل مليون دينار نيسابوري(ينظر دستور الوزراء ص١٩٠ كما ورد في اطروحة لامبتون ص٨٤،٨٥ وكما لاحظنا ايضا ان فخر الملك بن نظام الملك قد عرض الاموال والاشياء الثمينة للسلطان بركياروق مقابل عزله لمؤيد الملك وتعيينه وزيرا بدلا عنه. ينظر Defremery بحثه بالفرنسية عن(بركياروق) ص٤٥. وينظر راحة الصدور ص١٤٣).

٣٦٦-م.ن.

٣٦٧-سياسة نامة(فصل ٢١، النص الفارسي ص٨٩، ٩٠؛ الترجمة الانجليزية Darke ص١٠٠، ١٠١.

٣٦٨-راحة الصدور ص١٦١، ١٦٣.

٣٦٩-البنداري ص١٠٥.

٣٧٠-ابن الاثير: الكامل جـ١٠ ص١٩٤.

٣٧١-البنداري ص١٨٧، ١٨٨.

٣٧٢-ابن الاثير: جـ١١ ص٢٥(سنة ٥٣٢هـ).

٣٧٣-هناك استشهادات عديدة الى الحقيقة التي تفيد ان ضرائب غير شرعية قد الغيت وهذا يشير الى ان السلاطين والوزراء كانوا في الغالب مضطرين الى فرض الضرائب كوسيلة من وسائل الحصول على عوائد سريعة.

٣٧٤-البنداري ص٩٧(يقول البنداري قالت الحكماء "منازل السياسة اربع. فالاولى سياسة الرجل نفسه والثانية سياسة اهله وولده ومن يضمه منزله والثالثة سياسة بلد واحد يتقلده والرابعة سياسة الملك كله فمن عجز عن منزلة من هذه المنازل فهو عن التي تليها اعجز" البنداري ص٩٤. المترجم).

٣٧٥-البنداري ص٢٣٢.(يقول البنداري وكان الوزير ايضا منهمكا في الشرب مع الاخدان والمساخر والمجان. وصار الامر مهملا والعدل مغفلا. ص٨٢. المترجم).

٣٧٦-م.ن. ص١٠٢، ١٠٣.

(يقول البنداري: وقد كثر تعجبي من السلطان يتانق في تخير كلاب الصيد وفهوده وانما يقتني منها ما يراه موافقا لمقصوده فيسال عن فروعه واصوله وانقطاعه ووصوله. فما باله لا يتخير لديوانه ومراتب سلطانه من الكفاة الافاضل والصدور الاماثل من عرفه ذاك(أي المعروف بالجود) وعرفه ذاك(رائحته الطيبة) وعرقه كريم ومجده قديم. لقد كان هؤلاء اولى بالاختيار فانهم امناؤه على مملكته ووكلاؤه على دولته وسفراؤه في خدمته. ص٩٩. المترجم).

٣٧٧-من الطريف ذكره ان الوزير الظالم الدركزيني الذي عين وزيرا لكل من السلطان سنجر والسلطان طغرل بن محمد ارسل نائبا بدلا عنه لخدمة سنجر

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

وهو يعرف معرفة تامة انه سوف يسيطر على طغرل بشكل اسهل مما يسيطر على سنجر، فقد كان هذا لا يدرك تماما مقاصده الحقيقية واخلاقه.

٣٧٨-البنداري ص٢٧٥.

٣٧٩-م.ن. ص١٠٤.

٣٨٠-م.ن. ص١٣٧.

٣٨١-م.ن. ص٢١٤،٢١٥.

٣٨٢-من بين التفاصيل الجديرة بالانتباه في حياة ابن هبيرة الحقيقة التي تفيد انه كان على علاقة وطيدة بالفقراء والاهالي(ويتحدث بنعم الله عليه ويذكر في منصبه شدة فقره القديم. المنتظم جـ١٠ ص٢١٥. المترجم). فقد ذكر مثلا انه كان يرحب كثيرا باولئك الناس المنحدرين من قريته القديمة(يقول ابن الجوزي ان الوزير كان يتاسف على ماضي زمانه عن تندم ما دخل فيه وقال لي كان عندنا في القرية مسجد فيه نخلة تحمل الف رطل فحدثت نفسي ان اقيم في ذلك المسجد. جـ٩ ص٢١٦. المترجم). (الفخري النسخة العربية ص٤٢٢،٤٢٣؛ الترجمة الانجليزية ص٣٠٢). فان كان هذا العمل استثنائيا بين موظفي الادارة المدنية، لكنه من جانب اخر يوضح المسألة وان كان ذلك سلبيا.

٣٨٣-ابن خلدون، المقدمة(ترجمة فرانز روزنثال/ نيويورك ١٩٥٨) سلسلة ٤٣ جـ٢ ص١٢.

٣٨٤-اطروحة لامبتون ص١٧١.

٣٨٥-ينظر مقالة كلود كاهين Cahen(اتابك) في دائرة المعارف الاسلامية/ طبعة جديدة/ ليدن- بريل ١٩٦٠/ ص٧٣١.

٣٨٦-الحسيني: اخبار ص٢٨،٢٩.

٣٨٧-ابن الاثير: جـ١٠ ص٢٧(حوادث ٤٦٥هـ).

٣٨٨-اطروحة لامبتون ص١٩١.

٣٨٩-م.ن. ص١٩١،١٩٢؛ ينظر ايضا الاستاذ جب كتابه(مؤرخ دمشق) ص٢٣-٢٥.

٣٩٠-جب gibb مؤرج دمشق ص٢٤،٢٥. البنداري ص٢٠٥.

٣٩١-البنداري ص١٢٣.

٣٩٢-اطروحة لامبتون ص١٩٢-١٩٤.

٣٩٣-كاهين بحثه(اتابك) ص٧٣١.

٣٩٤-اطروحة لامبتون ص٢٠١.

٣٩٥-البنداري ص١٦٣.

٣٩٦-م.ن. ص٢٣٩.

٣٩٧-م.ن. ص١٨٧؛ ابن الاثير جـ١١ ص٢٥(حوادث ٥٣٢هـ).

٣٩٨-كاهين مقالة(اتابك) ص٧٣٢.

٣٩٩-البنداري ص١٩١.

٤٠٠-م.ن. ص٧"كان جاولي الجاندار امير الحاجب". البنداري ص١٤٩.

٤٠١-م.ن. ص١٤١،١٤٢.

٤٠٢-م.ن. ص١١٥،١١٦(كان كمال الملك علي بن احمد من مدينة قرب اصفهان يقال لها سميرم وكانت هذه المدينة في معيشة كهر خاتون زوجة السلطان. وابو كمال الملك زارع غلاتها وقابض ارتفاعاتها. البنداري: ال سلجوق ص١٠٦. المترجم).

٤٠٣-م.ن. ص ١٩٢.

٤٠٤-المنتظم جـ١٠ ص١٥٣(يقول ابن الجوزي في حوادث وفيات سنة ٥٤٨هـ ان خاص بك التركماني صبي من التركمان قدمه السلطان مسعود على جميع الامراء وصار له من المال لا يحصى فلما مات مسعود خطب لملكشاه. وعندما قتل وجد له تركة عظيمة في جملتها سبعون الف ثوب اطلس. جـ١٠ ص١٥٣-١٥٤. المترجم).

٤٠٥-ينظر البنداري ص٢٧١-٢٧٤.

٤٠٦-م.ن. ص ٢٦٥ وما بعدها، عن حادثة عن قيماز واحد من هؤلاء المماليك ووزير السلطان حيث تخاصما وتنازعا بشان خوذة headgear المملوك. فقتل قيماز الوزير ولكنه في هذا العمل يكون قد تخطى حدود رضا سنجر فقتله.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٤٠٧-رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ) مخطوط في المتحف البريطاني رقم Add. 7628 ورقة ٢٥١(أ) كما ورد عند لامبتون اطروحة ص١١٤.

٤٠٨-البنداري ص١٤١،١٤٢.

٤٠٩-فبعد معارضته بشدة وافق على خدمة الخليفة المسترشد ثم بعد ذلك صار وزيرا للسلطان مسعود. ابن الاثير: جـ١٠ ص٢٤٤(حوادث ٥٢٦هـ).

٤١٠-حتى خلال حكم السلطان ملكشاه فقد عرض المستوفي شرف الملك ١٠٠,٠٠٠ دينار الى السلطان ليسمح له بالاستقالة من منصبه. ينظر المنتظم جـ٩ ص١٢٨(يقول ابن الجوزي عن محمد بن منصور ابي سعد المستوفي الملقب بشرف الملك من اهل خوارزم انه بنى مدرسة في باب الطاق وبنى القبة على الامام ابي حنيفة وبنى مدرسة في مرو وقد بذل لجلال الدولة ملكشاه مئة الف دينار حتى عزله عن الاشراف، المنتظم جـ٩ ص١٢٨. المترجم).

٤١١-البنداري ص١٨١.

٤١٢-ابن الاثير: جـ١١ ص٤٤(حوادث ٥٤١هـ)

٤١٣-البنداري ص١٣٥.

٤١٤-م.ن. ص١٨١.

٤١٥-م.ن. ص٢٤٣.

٤١٦-م.ن. ص١٨٧(يقول البنداري في ترجمة الوزير مجد الدين عز الملك ابي العز البروجردي انه كان شيخا ذا بهجة وبهاء ولهجة ورواء. كان لم يزل قد عهد السلطان محمد متصرفا مع اكابر الامراء لم يبطل ومتحليا بالولاية لم يعطل وما زال متدرجا في الولايات حتى بلغ الوزارة ووجد بعد النزارة الغزارة. فتمول الاموال وملك الاملاك وقيل انه كان يجري في ملكه اربع منة فرية. تاريخ آل سلجوق ص١٧٣-١٧٤. المترجم).

٤١٧-م.ن. ص١١٧.

٤١٨-م.ن. (يقول البنداري انه عندما قرب الاجل وحل الوجل ذكر الامير الحاجب ان السلطان امر باخراج مئتي الف دينار من الخزانة لارضاء الخصوم واشكاتهم

والاستحلال من فقراء الرعايا واغنيائهم فتسلم ذلك المال وقبضه وتصرف فيه على ما وافق غرضه. تاريخ آل سلجوق ص١١٢. المترجم).

٤١٩-م.ن. ص١٢٠، امير البار هو الآذن عن السلطان اذا اجتمع الاكابر وهو الذي يسمع مشافهة السلطان ويؤديها الى الوزير فهو الناهي الآمر. البنداري ص١١١.

٤٢٠-ينظر اعلاه الفصل الثاني بشأن هذا الموضوع.

٤٢١-المنتظم جـ١٠ ص١٩٥(يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٥هـ انه تم القبض على ابن الفقية النائب بالمخزن وكان يشرف لولاية المخزن فقبض عليه صاحب المخزن وبذل ابن الصيقل الذي كان حاجب الباب اربعة الاف دينار على ان يولي نقابة العباسيين فخوطب في ذلك نقيب النقباء فبذل خمسة آلاف فقبض على ابن الصقيل وطولب بما بذل فقرر عليه اثنا عشر الفا فباع كل ما يملك. المنتظم جـ١٠ ص١٩٥. المترجم).

٤٢٢-م.ن. ص٢٥٤.

٤٢٣-ينظر فصل ١ عن الموضوع.

٤٢٤-البنداري ص١٥٠.

٤٢٥-م.ن.

٤٢٦-ينظربحث Defremery بالفرنسية عن(تاريخ السلاجقة) Histoire des Seldjoukides المنشور في المجلة الاسيوية J. A جزء ١٢(السلسلة الرابعة ايلول ١٨٤٨) ص٢٦٦،٢٦٧.

٤٢٧-ابن الاثير جـ ١٠ ص١٠٠(حوادث سنة ٤٩٢هـ).

٤٢٨-م.ن. ص١٠١.

٤٢٩-البنداري ص٨٣.

٤٣٠-م.ن. ص١١٥.

٤٣١-م.ن. ص١١٦.

٤٣٢-م.ن. وعندما هرب الطغرائي الى الموصل فان الامير جاوش بيك اتابك مسعود عين الموظف المعزول وزيرا لمسعود. بنداري ص١٣٢.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٤٣٣-م.ن. ص١١٦،١١٧.

٤٣٤-م.ن. ص١٢٥.

٤٣٥-م.ن. ص١٨١،١٨٢.

٤٣٦-م.ن. ص١٨٥،١٨٦؛ المنتظم جـ١٠ ص٧٨،٧٩؛ ابن الاثير جـ١١ ص٢٥(حوادث ٥٣٢هـ) (يذكر ابن الجوزي من حوادث سنة ٥٣٠هـ ان السلطان استوز رجلا من رؤساء الري يقال له محمد الخازن فاظهر العدل ورفع المكوس والضرائب وكان حسن السيرة ولم يتمكن اعداؤه مما يريدون منه فاوحشوا بينه وبين قراسنقر صاحب اذربيجان. المنتظم ص٧٨،٧٩. المترجم).

٤٣٧-راحة الصدور ص٢٣٠.

٤٣٨-ينظر هامش رقم ٤٣٦.

٤٣٩-ينظر ابن الاثير: جـ١١ ص٢٥؛ البنداري ص١٨٧،١٨٨.

٤٤٠-البنداري ص١٩٢ وما بعدها عن هذه الاحداث.

٤٤١-م.ن. ص٢١٣،٢١٤.

٤٤٢-م.ن. ص٢١٤،٢١٥.

٤٤٣-م.ن. ص٢١٨.

٤٤٤-م.ن.

٤٤٥-م.ن. ص٢٢٥.

٤٤٦-راحة الصدور ص٢٦٤،٢٦٥.

٤٤٧-من المهم الاشارة الى المدى الذي بدا فيه الامراء ايضا في السيطرة على شؤون الخلافة بالطريقة نفسها وفي تعيين وعزل الموظفين. على سبيل المثال عزل الخليفة المستضيء في سنة ٥٦٧هـ وزيره عضد الدين وذلك بسبب ان الامير قايماز قد حثه على عزل الوزير"وان أي جدال معه غير ممكن" ابن الاثير جـ١١ ص١٤٠(يروي ابن الجوزي هذه الحادثة بشكل اخر ففي هذه السنة دخل نجاح الخادم على الوزير ابن رئيس الرؤساء ومعه خط من الخليفة يذكر انه قد استغنى عنه فامر بطبق دواته وحلّ ازاره وقيامه من مسنده ففعل ذلك. المنتظم جـ١٠ ص٢٣٧. المترجم).

وفي سنة ٥٦٩هـ امر الخليفة باعادته الى مركز الوزارة من جديد لكن قايماز احبط تلك المحاولة(ابن الاثير ص١٥٤). والواقع فقد ذكر ان الخليفة المستضيء اراد ان يعين قايماز نفسه كوزير لكن الامير احجم عن قبول المنصب-وهذه الاشارة ربما هي مؤشر اخر عن انحطاط هيبة هذا المنصب(المنتظم جـ١٠ ص٢٥٥،٢٥٦(حوادث سنة ٥٧٠هـ)(يذكر ابن الجوزي في هذه السنة ٥٧٠هـ وفاة قيماز بن عبد الله ويقول "انه كان مملوكا للمستنجد بالله وارتفع امره وعلا كثيرا فلما ولي المستضيء بامر الله بعد موت المستنجد زاد امره وصار مقدما على الكل وكانت الجنود كلها تحت امره وانبسط كثيرا حتى ان المستضيء اراد تولية وزير فمنع من ذلك واغلق باب النوبي يومين وقيل انه نوى نية ردية" جـ ١٠ ص٢٥٥-٢٥٦. وفي خبر اخر على ص٢٥١ ان قيماز اصر على انه لا بد من خروج الوزير واهله من بغداد. فاضطر الى الخروج الى الحريم على شاطىء دجلة بالجانب الغربي. المترجم). ومن الطبيعي ان الخلفاء هم الذين جلبوا على انفسهم هذا الوضع باعتمادهم على العنصر العسكري لدعم طموحاتهم الخاصة ومطالبتهم كزعماء روحيين ودنيويين في ان واحد. فمثلا نقرا ان الخليفة المستنجد الذي اراد الخليفة المقتفي تولية غيره كوريث، تخوف من اخيه ان يعتلي العرش بدله ولذلك اسرع الى القصر لاخذ البيعة لنفسه. ولتامين وضعه وموقفه فانه القى القبض على مماليك المقتفي وقتلهم، وبعد ذلك انتقى مجموعة من الامراء لنفسه ومنحهم السلطة والاولوية (البنداري ص١٩٢).

٤٤٨-البنداري ص٢٨٨،٢٨٩.

٤٤٩-م.ن. ص٢٨٩-٢٩٧؛ ابن الاثير جـ١١ ص١٢٠.

٤٥٠-وعلى اية حال ينبغي ملاحظة ان الامراء السلاجقة الاقل نفوذا كانوا ايضا يسمون بلقب الامير.(ينظر شجرة النسب في راحة الصدور)وهناك ايضا عدد من غير الاتراك ومن غير العسكريين في الادارة المدنية ممن كان يشار اليهم بلقب امير امثال احمد بن نظام الملك البنداري ص٧٩ راحة الصدور ص٢٧٧ وكذلك البنداري ص٢٨٩.

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٤٥١-ينظر بحث كلود كاهين Cahen بالانجليزية(الامة Body Politics المنشور في كتاب(الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية بالانجليزية تحقيق كورنباوم G.E.von Grunebaum(مطبعة جامعة شيكاغو ١٩٥٥)ص١٥٧.

٤٥٢-للمقارنة مع طول مدة الحكم المملوكي نسبيا وانه نظام حكم قد صاغ نظامه السياسي الاداري الداخلي على غرار النظام السلجوقي،مع ان الادارة المدنية المملوكية بقيت تعمل كجزء متماسك اذ تمت السيطرة على فئة العسكريين من خلال الامساك بقوة على الارض والعوائد.

٤٥٣-كانت العزلة الاجتماعية والاخلاقية للفئة الحاكمة عن الفئات المحكومة تمثل سمة مميزة للمجتمع الاسلامي في العصر الوسيط وقد ظهر هذا بصورة جلية ايام السلاجقة.وتعقب الاستاذة لامبتون خلال وصفها السمات الاساسية لامبراطورية سنجر كما بينتها وثائق(عتبة الكتبه)وانها تمثل بحق صورة المجتمع انذ.فالفئة المسيطرة والمهيمنة هي الفئة العسكرية،وتتالف هذه الفئة بشكل كبير من العبيد Slaves الاحرار الذين كانوا اما جنودا او اداريين،وهم الذين كوّنوا فئة لها امتيازات واسعة مقابل بقية الاهالي.وكان بين الاثنين الجنود والاداريين انقسام واضح،وهناك ايضا مؤشرات الى وجود انقسام بين فئات الصدور،الموظفين،بصورة عامة والاهالي،وبين الاتراك وغير الاتراك،...فتنظيم المجتمع على هذا الاساس كان تنظيما هرميا.ينظر لامبتون بحثها بالانجليزية(ادارة امبراطورية سنجر)ص٣٨٨.

الملاحق

ملحق رقم(١)الخلفاء العباسيون خلال هذه المرحلة

السنة	الاسم
١-٤٢٢هـ/١٠٣١	ابو جعفر عبد الله القائم بن القادر
٢-٤٦٧هـ/١٠٧٥	ابو القاسم عبد الله المقتدي بن محمد بن القائم
٣-٤٨٧هـ/١٠٩٤	ابو العباس احمد المستظهر بن المقتدي
٤-٥١٢هـ/١١١٨	ابو منصور الفضل المسترشد بن المستظهر
٥-٥٢٩هـ/١١٣٥	ابو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد
٦-٥٣٠هـ/١١٣٦	ابو عبد الله محمد المقتفي بن المستظهر
٧-٥٥٥هـ/١١٦٠	ابو المظفر يوسف المستنجد بن المقتفي
٨-٥٦٦هـ/١١٧٠	ابو محمد الحسن المستضيء بن المستنجد
٩-٥٧٥هـ/١١٨٠	ابو العباس احمد الناصر بن المستضيء

http://www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين إسلامية المقارنة الأديان

ملحق (٢) شجرة انساب البيت السلجوقي

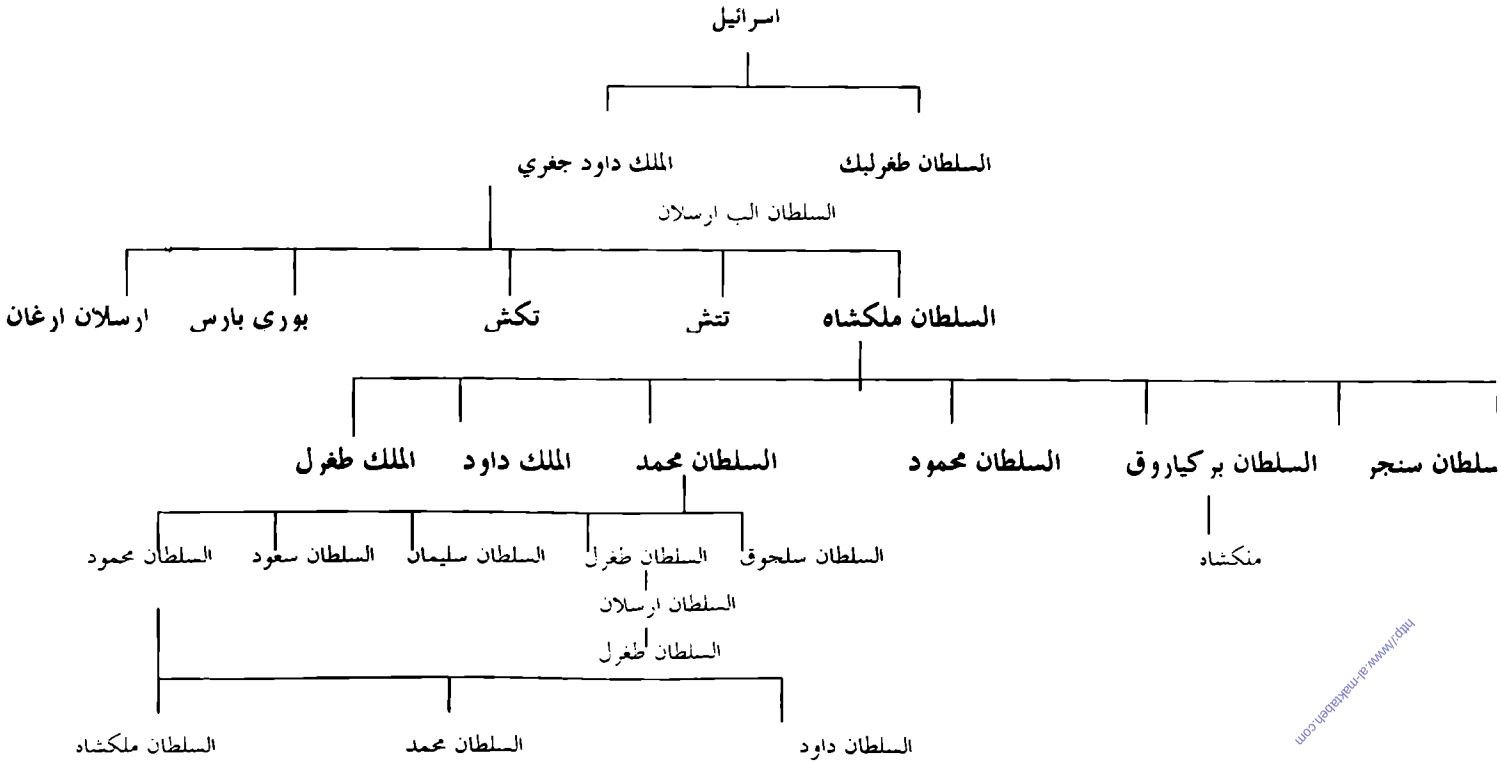

http://www.al-maktabeh.com

ملحق(٣)

قائمة الوزراء للسلاطين السلاجقة*

١-وزراء السلطان طغرلبك ٤٤٧-٤٥٥/١٠٥٥-١٠٦٣

أ-الوزير ابو الفتح رازي او ابو القاسم علي بن عبد الله الجويني سلار بوزجان.

ب-رئيس الرؤساء ابو عبد الله الحسيني بن علي بن ميكائيل

ج-نظام الملك ابو محمد حسن بن محمد الدهستاني

د-عمرك الرباطي.

٢-وزراء السلطان الب ارسلان ٤٥٥-٤٦٤هـ/١٠٦٣-١٠٧٢

أ-عميد الملك الكندري(قتله نظام الملك بعد سنة من وزارته)فجاء نظام الملك ابو علي الحسن بن اسحاق الطوسي.

٣-وزراء السلطان ملكشاه(٤٦٥-٤٨٥/١٠٧٢-١٠٩٢)

أ-الوزير نظام الملك ٤٦٥هـ-٤٨٥

المستوفي:شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور

النائب:الاستاذ ابو غالب البرافستاني

اعقبه:العز الكمال ابو الفضل اسعد بن محمد بن موسى البرافستاني

الطغرائي:كمال الدولة(كمال الملك)ابو الرضى فضل الله بن محمد

---

* جمعت معلومات هذه القوائم من البنداري خاصة وراحة الصدور وابن الاثير وعباس اقبال(كتابه الوزارة)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

نائبه:سيد الرؤساء بن كمال الدولة ابو الرضى

المشرف:كمال الدولة(كمال الملك)ابو الرضى

ب-الوزير:نظام الملك

المستوفي:شرف الملك ابو سعد

الطغرائي:مؤيد الملك بن نظام الملك

النائب:كمال الملك اديب ابو جعفر محمد احمد مختار زوزني

ج-الوزير:نظام الملك

المستوفي:شرف الملك ابو سعد

الطغرائي:كمال الملك اديب ابو جعفر محمد احمد مختار زوزني

العارض:سديد الملك ابو المعالي

د-الوزير :نظام الملك

المستوفي :مجد الملك ابو الفضل القمي البلاساني

الطغرائي:تاج الملك ابو الغنائم ابن دارست المرزبان بن خسرو

النائب:الكيا مجير الدولة ابو الفتح علي بن الحسين الاردستاني

٤-السلطان محمود بن ملكشاه(٤٨٥هـ -٤٨٧هـ/١٠٩٢-١٠٩٤)

الوزير:تاج الملك ابو الغنائم

المستوفي:مجد الملك ابو الفضل القمي البلاساني

المنشئ والمشرف:سديد الملك ابو المعالي.

٥-وزراء السلطان بركياروق بن ملكشاه(٤٨٧هـ -٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤

أ-الوزير:عز الملك بن نظام الملك(٤٨٦-٤٨٧هـ)

المستوفي:الاستاذ علي(كان سابقا وزير الاتابك كمشتكين)

اعقبه:مجد الملك البلاساني

الطغرائي:عبد الرحمن بن نظام الملك

ب-الوزير:مؤيد الملك بن نظام الملك (٤٨٧-٤٨٨هـ)

المستوفي:مجد الملك البلاساني

الطغرائي:ربما نفسه مجد الملك

جـ-الوزير:فخر الملك بن نظام الملك(٤٨٥-٤٩٢)

المستوفي:مجد الملك البلاساني(قتل سنة ٤٩٢هـ)

الطغرائي:نفسه

د-الوزير:اعز الملك ابو المحاسن الدهستاني(٤٩٣-٤٩٥)

هـ-الوزير:خطير الملك الميبوذي(٤٩٥-٤٩٨هـ)

المشرف:سديد الملك ابو المعالي

٦-وزراء السلطان محمد بن ملكشاه(٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٥-١١١٨

أ-الوزير:مؤيد الملك بن نظام الملك(٤٩٢-٤٩٤)

المستوفي:سعد الملك ابو المحاسن

ب-الوزير نصير الملك بن مؤيد الملك (٤٩٤هـ)

جـ-الوزير:خطير الملك الميبوذي(٤٩٤-٥٠٠هـ)

د-الوزير:سعد الملك ابو المحاسن(٤٩٦-٥٠٠)

المستوفي:زين الملك ابو سعد بن هندو

الطغرائي:نصير الملك بن مؤيد الملك

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

اعقبه:معين الدين مختص الملك ابو نصر الكشي

العارض:ابو المغافر القمي

اعقبه:عز الملك بن الكافي الاصفهاني

هـ-الوزير:ضياء الملك ابو نصر احمد بن نظام الملك(٥٠٠-٥٠٤)

المستوفي:خطير الملك الميبوذي

النائب:الصفي القمي ابو الفضل

الطغرائي:معين الدين مختص الملك

اعقبه:محمد الجوزاني الامير العميد

العارض:انوشروان بن خالد

اعقبه:شمس الملك عثمان بن نظام الملك.

و-الوزير:خطير الملك الميبوذي(٥٠٤-٥١١هـ)

النائب:الكمال ابن الكافي الاصفهاني

اعقبه:انو شروان بن خالد

المستوفي:معين الدين مختص الملك

الطغرائي:الامير العميد

اعقبه:ابو اسماعيل الطغرائي الذي كان يعمل كنائب.

المشرف:كمال الملك السميرمي

العارض:شمس الملك عثمان بن نظام الملك.

ز-الوزير المؤقت:انو شروان بن خالد(سنة ٥١١هـ)

ح-الوزير:ربيب الدولة ابو منصور بن الوزير ابو شجاع(٥١١-٥١٢)

المستوفي:معين الدين مختص الملك

اعقبه:كمال الملك السميرمي

الطغرائي:ابو اسماعيل الطغرائي

المشرف:كمال الملك السميرمي

العارض:انو شروان بن خالد.

٧-وزراء السلطان سنجر بن ملكشاه(٥١١-٥٥٢هـ/١١١٨-١١٥٧)

أ-الوزير:ابو الفتح علي بن حسين مجير الدين

ب-الوزير:فخر الملك بن نظام الملك(٥٠٠هـ)

جـ-الوزير:صدر الدين محمد بن فخر الملك(٥٠٠-٥١١هـ)

د-الوزير:شهاب الاسلام عبد الرزاق ابو المحاسن(٥١١-٥١٥هـ)

هـ-الوزير:شرف الدين ابو طاهر سعد بن علي القمي(٥١٥-٥١٦هـ)

و-الوزير:الكشغري(٥١٦-٥١٧هـ)

ز-الوزير:معين الدين مختص الملك ابو نصر احمد(٥١٧-٥٢١هـ)

ح-الوزير:نصير الدين ابو القاسم محمود بن ابي توبه المروزي(٥٢١-٥٢٦هـ)

ط-الوزير:ابو القاسم الدركزيني(٥٢٦-٥٢٧هـ)

النائب:ظهير الدين عبد العزيز الحامدي

ي-الوزير:نصير الدين طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك(٥٢٧-٥٤٧هـ)

ك-الوزير: نظام الملك حسن

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

٨-وزراء السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه(٥١١هـ - ٥٢٥/١١١٨-١١٢٩)

أ-الوزير:ربيب الدولة(٥١٢هـ)

المستوفي:كمال الملك السميرمي

الطغرائي:خطير الملك الميبوذي

اعقبه:الشهاب اسعد الطغرائي

العارض:انو شروان بن خالد

ب-الوزير:كمال الملك السميرمي(٥١٢-٥١٥هـ)

النائب:عبد العزيز (عزيز الدين ابو نصر احمد)

المستوفي:شمس الملك عثمان بن نظام الملك

النائب:عبد العزيز

الطغرائي:ابو القاسم الدركزيني

حل محله اخو السميرمي النصير

النائب:الشهاب اسعد

العارض:انو شروان بن خالد

جـ-الوزير:شمس الملك عثمان بن نظام الملك(٥١٥-٥١٧هـ)

النائب:ابن الكافي

المستوفي:عبد العزيز.

الطغرائي: الشهاب اسعد

العارض: ابو القاسم الدركزيني.

د-الوزير: ابو القاسم الدركزيني(٥١٨هـ-٥٢١هـ)

المستوفي: عبد العزيز جاء بعده الصفى الاوحد ابو القاسم الجنزي

الطغرائي: الشهاب اسعد

هـ-الوزير انوشروان بن خالد

المستوفي: الصفي الاوحد ابو القاسم

الطغرائي: الشهاب اسعد

و-الوزير: ابو القاسم الدركزيني(٥٢٢-٥٢٥هـ)

٩-وزراء السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه (عين كوريث لمحمود سنة ٥٢٥هـ لكنه استبدل بطغرل بن محمد).

١٠-وزراء السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه(٥٢٥-٥٢٩هـ)

ا-الوزير: ابو القاسم الدركزيني(٥٢٥-٥٢٧هـ)

المستوفي: الصفي الاوحد(قتله مسعود بن محمد)

ب-الوزير: شرف الدين علي بن الرجاء(٥٢٨-٥٢٩هـ)

المستوفي: كمال الدين ثابت القمي

الطغرائي: سعد الدين اسعد الخراساني

١١-السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه(٥٢٩-٥٤٧هـ/١١٣٤-١١٥١)

ا-الوزير: انوشروان بن خالد

ب-الوزير: عماد الدين ابو البركات الدركزيني(٥٣٠-٥٣٢هـ)

المستوفي: كمال الدين ثابت القمي

جـ-الوزير: كمال الدين الخازن(٥٣٣هـ)

المستوفي: كمال الدين

الطغرائي: مؤيد الدين المرزبان الاصفهاني

المنشيء: ولي الدين ويسمى سياه كاسه

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

المشرف: المهذب ابو طالب بن ابي البدر الاصفهاني

د-الوزير: عز الملك البروجردي(كان وزير الاتـــابك اقســنقر) ٥٣٣-٥٣٩هـ

النائب: نجيب الدين عبد الجليل

المستوفي: المهذب ابو طالب

اعقبه: كمال الدين ابو الريان الاصفهاني

الطغرائي: مؤيد الدين المرزبان

المنشيء: سعد الدين الخراساني

المشرف: ابن الحاكم

هـ-الوزير: مؤيد الدين المرزبان(٥٣٩-٥٤٠هـ)

المستوفي: رضي الدين ابو سعد

النائب: ابو الريان الاصفهاني

و-الوزير: تاج الدين بن دارست(وزير بوزابه صاحب فـــارس) ٥٤٠-٥٤١هـ

النائب: امين الدين ابو الحسن الكازروني

المستوفي: نفسه

العارض: عضد الدين وهو والد تاج الدين

ز-الوزير: شمس الدين ابو النجيب الاعسم الدركزيني(كان وزير خـاص بيك بن بلنكري، كذلك خدم تتار الحاجب الكبير)

المستوفي: نفسه

١٢-وزراء السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد بـــن ملكشـــاه(حكـم بضعة اشهر من سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢-١١٥٣)

الوزير: شمس الدين ابو النجيب الدركزيني

المستوفي: نفسه

١٣-السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه(٥٤٧-٥٥٤هـ/١١٥٣-١١٥٩)

ا-الوزير: جلال الدين بن القوام الدركزيني(٥٤٧-٥٤٩هـ)

المستوفي: نفسه

ب-الوزير: تاج الدين بن دارست(٥٤٩هـ)

المستوفي: نفسه

جـ-الوزير: شمس الدين ابو النجيب الدركزيني(٥٤٩-٥٥٤هـ)

المستوفي: رضي الدين ابو سعد الخوافي

النائب:كمال الدين ابو الريان

الطغرائي: ضياء الدين بن مجد الدين بن علجه الاصفهاني

د-الوزير: ضياء الدين بن مجد الدين(٥٥٤هـ)

١٤-السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه(اعترف به الخليفة سنة ٥٥١هـ كسلطان شرعي ووريث سنجر في العراق. اعقب محمد في همذان من ٥٥٥هـ. وخلع بعد ستة اشهر)

ا-الوزير: فخر الدين الكاشاني

ب-الوزير: شرف الدين الخراساني(عينه الخليفة سنة ٥٥٠هـ)

ج-الوزير: شهاب الدين محمود الثقة(الثقفي) وزير الامير ايناج امير الري(٥٥٥هـ)

١٥-وزراء السلطان ارسلان بن طغرل بن محمود بن ملكشاه(٥٥٥-٥٧١هـ/١١٦٠-١١٧٥)

http://www.al-maktabeh.com

http://www.al-maktabeh.com

أ-الوزير: شهاب الدين محمود بن الثقة(٥٥٥-٥٦٠هـ)

ب-الوزير: فخر الدين بن الوزير معين المختص(٥٦٠-٥٦٢هـ)

جـ-الوزير: جلال الدين بن القوام الدركزيني(٥٦٢-٥٧١هـ)

١٦-وزراء السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه(٥٧١-٥٩٠هـ/ ١١٧٥-١١٩٤)

ا-الوزير: جلال الدين بن يونس بن القوام(٥٧١-٥٨٣هـ)

ب-الوزير: اخو جلال الدين، قوام الدين

جـ-الوزير: كمال الدين الزنجاني التأجيلي

د-الوزير: صدر الدين(قاضي مراغه)

هـ-الوزير: عزيز الدين بن الرضي

و-الوزير: معين الدين الكاشي

ز-الوزير: فخر الدين بن صفي الدين الفرميني